

M

جامعة ابن خلدون-تيارت
University Ibn Khaldoun of Tiaret



كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
Faculty of Humanities and Social Sciences
قسم علم النفس والفلسفة والأرطفونيا
Departement of Psychology, Philosophie, and Speech Therapiy

مذكرة مكملة لنيل شهادة ماستر الطور الثاني ل.م.د.
تخصص فلسفة عامة

العنوان

مستقبل الفلسفة في عصر الذكاء الاصطناعي

إشراف:

د. بوعمود أحمد

إعداد:

■ رخيس مروة

لجنة المناقشة

الصفة	الرتبة	الأستاذ (ة)
رئيسا	أستاذ مساعد أ	راتية حاج
مشرفا ومقررا	أستاذ محاضر أ	بوعمود أحمد
مناقشا	أستاذ محاضر أ	حفصة طاهر

السنة الجامعية: (1445-1446 هـ / 2024-2025م)

شكر وعرفان

عند ما يكون العمل رائعا والعطاء مميزا وحين يكون الإبداع منهجا
سيصبح الشكر واجبا والثناء لازما.
نحمد الله عز وجل الذي وفقنا في إتمام هذا البحث العلمي والذي ألهمنا الصحة والعافية
والعزيمة فالحمد لله حمدا كثيرا.
نتقدم بجزيل الشكر والعرفان والتقدير إلى الأستاذ الدكتور المشرف
"بوعمود أحمد" حفظه الله وأطال في عمره
والذي لم ييخل علينا بتوجيهاته ونصائحه القيمة والعلمية التي ساهمت في إثراء موضوع
دراستنا في جوانبها المختلفة.
فله كل الاحترام والتقدير
كما نوجه تقديرنا إلى أعضاء لجنة المناقشة بقبول مناقشة مذكرتنا والحكم عليها

الإهداء

إلى من كانوا نورا في دربي، وإلى من قدموا لي الدعم والتشجيع
أهدي إليكم هذا العمل المتواضع.
إلى والدي الذي زرع في حب العلم والمعرفة.
وإلى أمي التي كانت دائما مصدر إلهامي وقوتي.
إلى إخوتي الذين شاركوني لحظات السعادة والتحديات وأمدوني بالدعم والتشجيع أهدي
إليكم هذا العمل.
أرجوا أن ينال استحسانكم وتقديركم.

مروة

مقدمة

مقدمة:

منذ فجر التاريخ، ظلّ الإنسان كائنًا باحثًا، يتأمل في ذاته وفي الكون من حوله، مدفوعاً برغبة لا تنضب في الفهم والمعرفة. وقد اتخذ هذا البحث عن المعنى أشكالاً مختلفة باختلاف العصور، من السرد الأسطوري إلى التأمل العقلي، ومن الإلهام الديني إلى المنهج التجريبي. غير أن الفلسفة، باعتبارها النشاط العقلي الذي يسعى إلى مساءلة الوجود والمعرفة والقيم، كانت دائماً في صميم هذا السعي البشري، تؤطره وتمنحه أفقاً عقلياً يتجاوز اليومي والسطحي نحو الكلي والعميق، إنها ليست فقط أداة معرفية، بل نمط وجود، يعبر عن شغف الإنسان بالتساؤل وتجاوزه لمألوف الواقع.

يتعالى السؤال الفلسفي: هل ما نعيشه هو مجرد تقدم علمي، أم أننا أمام تغيير جذري في شروط المعرفة والعمل والأخلاق؟ وهل لهذا التغيير أثر مباشر على القيم الإنسانية الأساسية مثل التضامن، الحرية، والمسؤولية؟ في شروط المعرفة، والعمل، والأخلاق، بل وحتى في تعريف الإنسان نفسه؟ وكيف يمكن للفلسفة أن تتأقلم مع هذه السرعة المتزايدة، دون أن تفقد جوهرها التأملي والنقدي؟ وقد عرفت الفلسفة عبر مسارها الطويل تحولات كبرى، من فلسفة الطبيعة إلى فلسفة الذات، ومن الميتافيزيقا إلى فلسفة اللغة، ومن النزعة العقلانية إلى التيارات التفكيكية، لكنها ظلت محافظة على وظيفتها الجوهرية: التفكير النقدي الحر في شروط الوجود الإنساني. غير أن هذا الوجود نفسه بات يشهد في العقود الأخيرة تحولات جذرية بفعل الثورة الرقمية، وتقدم التكنولوجيا، وبروز الذكاء الاصطناعي بوصفه تطوراً غير مسبوق في تاريخ التقنية. ولعل من أبرز تجلياته المعاصرة نذكر ظهور تطبيقات ك ChatGPT التي باتت تشارك الإنسان في الحوار والإبداع، أو السيارات ذاتية القيادة التي تتخذ قراراتها اعتماداً على خوارزميات متقدمة، مما يجعلنا أمام واقع جديد تتداخل فيه حدود الفاعلية بين الإنسان والآلة بفعل الثورة الرقمية، وتقدم التكنولوجيا، وبروز الذكاء الاصطناعي بوصفه تطوراً غير مسبوق في تاريخ التقنية. إذ أصبحنا نعيش واقعاً لم تعد فيه التقنية مجرد أداة في يد الإنسان، بل فاعلاً حقيقياً في تشكيل العالم، ومنافساً جدياً في ميادين المعرفة والإبداع واتخاذ القرار.

فمع ظهور الذكاء الاصطناعي، لم يعد العقل حكراً على الإنسان، بل دخلت الآلة مجال التفكير، بل وأحياناً تجاوزه في ميادين محددة هنا يبرز التحدي الفلسفي الأكبر: هل نحن بصدد نهاية الإنسان بوصفه مركز العالم، كما بشرت بذلك بعض التيارات ما بعد الإنسانية؟ أم أن الإنسان سيجد في هذا التحدي فرصة لإعادة صياغة ذاته ومفاهيمه وقيمه؟

نعيش اليوم لحظة فريدة في تاريخ الفكر، حيث أضحت الآلة قادرة ليس فقط على تنفيذ المهام، بل أيضاً على التعلم، والإبداع، واتخاذ القرار مع كل قفزة تقنية، وسيادة لغة الخوارزميات بدلاً من اللغة العادية.

من هنا تأتي أهمية التفكير الفلسفي في الذكاء الاصطناعي، لا باعتباره موضوعاً تقنياً محضاً، بل كأفق جديد يفرض إعادة صياغة مفاهيم أساسية مثل: العقل، والوعي، والحرية، والهوية، فالذكاء الاصطناعي لا يمثل فقط طفرة تقنية، بل يشكل منعطفاً وجودياً يتطلب من الفلسفة مراجعة أدواتها، وتجديد خطابها، وتوسيع مجالات تدخلها. إنها مدعوة أكثر من أي وقت مضى للانخراط في تحليل هذه الظاهرة، ومساءلتها، واستشراف تداعياتها، لا من موقع الرفض أو الانهيار، بل من موقع النقد المسؤول والبناء.

وانطلاقاً من هذا الوعي، جاءت فكرة هذه الدراسة الموسومة بـ "مستقبل الفلسفة في ظل الذكاء الاصطناعي"، كمساهمة فكرية تهدف إلى تفكيك الإشكاليات التي يطرحها هذا التحول الرقمي، واستكشاف إمكانيات تجديد الفعل الفلسفي وتوسيع مجالات اشتغاله، حتى لا تصبح الفلسفة هامشاً في عالم رقمي تصنعه الثورة التكنولوجية.

❖ أسباب اختيار الموضوع:

أسباب ذاتية: شكلت تطورات الثورة التكنولوجية المتسارعة وما تفرضه من تقنيات وبرمجيات وتطبيقات وصلت إلى حد محاولة محاكاة العقل البشري، هاجساً لكل متأمل في مستقبل الإنسان في ظل الوضعية الرقمية المعقدة وما تطرحه من تساؤلات على مستوى القيم والفكر الإنساني، حيث بات لزاماً على كل باحث ومفكر يشتغل بالفلسفة أن يتفطن إلى التهديدات والمخاطر التي تهدد مستقبل الإنسان ومن هنا تأتي مشروعية البحث والتساؤل عن دور الفلسفة في ظل الأنظمة الذكية ولغة الخوارزميات.

أسباب موضوعية: إن الوضع الفكري المتأزم وهيمنة الرقمنة وتطبيقات الذكاء الاصطناعي على مختلف مجالات الحياة وبروز مفهوم الإنسان الرقمي، يدفع إلى التساؤل عن دور الفلسفة واستشراف مستقبلها في ظل الأنظمة الذكية ولغة الخوارزميات، حتمية معرفية ومنطقية وأخلاقية تفرضها ممارسة فعل التفلسف في وضعية الفكر الإنساني عامة والفكر الفلسفي، خاصة في ظل التحولات والمستجدات التكنولوجية وما تطرحه من إشكاليات وتساؤلات ذات صلة بمباحث الفلسفة والإبستمولوجيا، حتى لا يبقى التفكير الفلسفي في حالة نكوص وعجز عن مسايرة تطورات المعرفة العلمية والثورة الرقمية.

❖ طرح الإشكالية: تتمحور الإشكالية الرئيسية حول مستقبل الفلسفة في ظل التحول الرقمي والعالم الذي فهل بإمكان الفلسفة أن تسير التطورات التكنولوجية المتسارعة في مجال الرقمنة والبرمجيات

وتطبيقات الذكاء الاصطناعي، من خلال تجديد أو تحديث التساؤل الفلسفي لتنتج لنا فلسفة جديدة من خلال المسألة النقدية للمشكلات الفلسفية المترتبة عن الثورة التكنولوجية المعاصرة المتعلقة بالإنسان والقيم والمعرفة والوجود؟، وهل يمكن الحديث عن فلسفة الذكاء الاصطناعي أو فلسفة الخوارزميات؟

يمكن تفكيك الإشكالية إلى تساؤلات فرعية للإمام بالموضوع من كل جهاته:

- التساؤل عن مفهوم الذكاء الاصطناعي وتطبيقاته وما تروم إليه؟
- التساؤل عن ماهية فلسفة العلوم والبحث الإستيمولوجي ومدى مساهمة التطور العلمي؟
- التساؤل عن أبعاد الثورة الرقمية والتكنولوجية وما طرحه من إشكاليات إستيمولوجية؟
- استشراف مستقبل الفعل الفلسفي في ظل تطورات الذكاء الاصطناعي والتساؤل عن إمكانية الحديث عن فلسفة الذكاء الاصطناعي أو فلسفة الخوارزميات وموقف الإنسان من ذلك؟

❖ **منهج الدراسة:** اعتمدنا في معالجة الإشكالية المطروحة على المنهج التحليلي بإتباع خطواته وتقنياته بغية تحليل وتفكيك مختلف جوانب الموضوع التي تقتضي الدراسة والبحث بهدف استشراف مستقبل الفلسفة، واستقصاء طبيعة العلاقة بين الفلسفة والعلوم عموماً والثورة التكنولوجية والرقمية خصوصاً، واستجلاء أهم النقاط والفواصل التي تسترعي البحث والاستبطان لبيان أهمية التحليل الفلسفي والإستيمولوجي إزاء القضايا والمشكلات الإستيمولوجية التي يطرحها موضوع الذكاء الاصطناعي والثورة الرقمية إزاء الإنسان عامة والفكر الفلسفي خاصة في ظل الحديث عن الآلة الذكية والوعي التي بإمكانها محاكاة الذكاء البشري، علاوة على توظيف منهج المقارنة في تحليل المقاربات الفلسفية والمواقف الفكرية حول النتائج المترتبة عن استخدامات تطبيقات الذكاء الاصطناعي في مجال الفكر وإنتاج المعرفة، كما أن طبيعة الدراسة تقتضي اعتماد المنهج الفلسفي النقدي في فحص وتمحيص الأفكار والمواقف ونقدها بغية الإثراء والتجاوز لتقفي أهمية التفكير الفلسفي النقدي الهادف إلى التفلسف في موضوع الذكاء الاصطناعي مادام أن النقد هو جوهر الفعل الفلسفي وبالتالي إمكانية الحديث عن فلسفة الذكاء الاصطناعي أو فلسفة الخوارزميات.

❖ **هيكلية الموضوع:**

سيتم تناول هذه الإشكالات عبر خطة بحث تضم مقدمة، وفصولاً تتوزع وفق تسلسل منطقي ينطلق من التاريخ الفلسفي، ويمر بعلاقة الفلسفة بالثورة التكنولوجية، ليصل إلى التحديات المعاصرة التي تفرضها أنظمة الذكاء الاصطناعي في عالم الإنسان والفكر والمعرفة، تحديات تواجه العقل الفلسفي وتجعله في وضع لا يحسد عليه.

❖ الدراسات السابقة:

في الحقيقة لم نعثر على دراسات سابقة على مستوى أطروحات الدكتوراه والمجستير إلا بعض المقالات والمؤلفات القليلة جداً ذات الصلة منها:
أولاً، مستقبل الإنسان الرقمي بين الفلسفة والعلم: دراسة في التحولات الأنطولوجية والأخلاقية لمفهوم الإنسان.

المؤلف: د. انجي حمدي عبد الحافظ، الرابط: mrk.journals.ekb.egmrk.journals.ekb.eg

تناقش الدراسة التحولات التي طرأت على مفهوم الإنسان في ظل التطور التكنولوجي، وتسلط الضوء على التحديات الفلسفية والأخلاقية المرتبطة بالذكاء الاصطناعي.
ثانياً، مقال موسوم ب: الذكاء الاصطناعي ومصير الفلسفة، للمؤلف د. حسام عبد الغفار، مجلة الفكر المعاصر، العدد 15، 2021، يحلل الباحث تأثير التطورات التقنية على بنية الفكر الفلسفي. ويرى أن الفلسفة مهددة بالتجاوز إن لم تُعد تعريف ذاتها. يدعو إلى فلسفة ما بعد رقمية تتعامل مع الذكاء الاصطناعي ليس كموضوع خارجي، بل كأداة منهجية لتحليل الإنسان والوجود، تسهم هذه الدراسة في بناء تصور نقدي للفلسفة المستقبلية في ظل التكنولوجيا.

ثالثاً، كتاب للمؤلف "لوسيانو فلوريدي" (Luciano Floridi) بعنوان مثير نهاية الفلسفة كما عهدناها فالذكاء الاصطناعي يعيد النظر في عملية التفكير بلغة الخورزميات يطرح مسألة تفكير الآلة
The End of Philosophy as We Know It? AI and the Future of Thinking
Luciano Floridi, The End of Philosophy as We Know It?, Oxford Internet Institute Working Papers, 2021 يرى فلوريدي، وهو أحد أبرز فلاسفة المعلومات، أن الذكاء الاصطناعي لا يُنهي الفلسفة، بل يدفعها لإعادة التفكير في أدواتها ومنهجياتها، يناقش كيف أن مجالات مثل الأخلاقيات، الإبتيمولوجيا، والأنطولوجيا، أصبحت مضطرة لمواكبة التغيرات التي تفرضها تقنيات الذكاء الاصطناعي، من خلال تطوير فلسفة معلوماتية جديدة، تؤكد هذه الدراسة على ضرورة التحول البنيوي في الفلسفة لمواكبة التحولات التقنية، ما يعزز محور مستقبل الفلسفة.

رابعاً، كتاب للمؤلف، "توماس ميتزينغر" (Thomas Metzinger)، بعنوان:

Can Philosophy Survive Artificial Intelligence Thomas Metzinger, "Can Philosophy Survive Artificial Intelligence?", The New Yorker, April 2019.

يحاول "توماس ميتزينغر" الإجابة عن سؤال جوهري حول ما إذا كانت الفلسفة قادرة على مواكبة تطور الذكاء الاصطناعي. يرى أن بعض وظائف التفكير المجرد التي كانت حكرًا على الفلاسفة،

بدأت تتحول إلى أنظمة معرفية تعتمد على خوارزميات متقدمة، مما يهدد دور الفيلسوف التقليدي. كما يحذر من التهميش المستقبلي للفلسفة إذا لم تتكيف مع التكنولوجيا الجديدة.

❖ **الصلة بالبحث:** تسهم هذه الدراسة في توضيح التحول الذي قد يطرأ على دور الفلسفة نتيجة تفوق الذكاء الاصطناعي في تحليل البيانات واتخاذ القرار.

❖ **هدف الدراسة:**

لعل أهمية هذا البحث تتجلى في راهنيته، واتصاله الوثيق بهواجس الإنسان المعاصر في ظل الحديث عن الإنسان الرقمي، إذ يشكّل استجابة فكرية ضرورية لتحولات غير مسبوقه باتت تؤثر في صميم القيم الإنسانية، مثل التضامن والحرية. كما يمكن ملاحظة تنامي الاهتمام العربي بهذه الإشكالات من خلال مؤتمرات حديثة، على غرار ملتقى "الفلسفة والذكاء الاصطناعي" المنعقد في تونس 2023، أو عدد من المقالات المنشورة في مجلات فكرية عربية تبحث في تحديات الذكاء الاصطناعي وانعكاساته على الإنسان والمجتمع. إذ لم تعد الفلسفة تملك هوية التملص وترف الانعزال عن العالم الواقعي، بل أصبحت مطالبة بالتفاعل مع قضاياها ومشكلاته الناجمة عن استخدامات الذكاء الاصطناعي، بما يطرحه من رهانات وتحديات، هذا الوضع المتأزم يمثل اختباراً لقدرة الفلسفة على البقاء والاستمرارية. كما أنه يتيح لها فرصة فريدة للانفتاح على علوم وتكنولوجيات جديدة، والتفاعل مع قضايا غير مسبوقه، والعودة إلى مركز النقاشات الكبرى حول المصير الإنساني.

وبذلك فإن هذه الدراسة تسعى إلى تحقيق الأهداف التالية:

- توضيح العلاقة التاريخية والمعرفية بين الفلسفة والعلم والتقنية.
- تحليل الإشكالات الفلسفية الكبرى التي يثيرها الذكاء الاصطناعي.
- اقتراح أفق جديد للفعل الفلسفي في ظل التحولات الرقمية.

❖ **آفاق البحث:**

بهذه المقاربة، نأمل أن يساهم بحثنا في إغناء و إثراء النقاش الفلسفي، وإبراز الحاجة إلى فلسفة منفتحة، متجددة، ترتبط بعمق التحولات العلمية والتكنولوجية والثورة الرقمية، دون أن تتخلى عن بعدها الإنساني التأملّي النقدي الذي ظل دائماً يشكل جوهرها الثابت على أساس التلازم الحاصل بين وجود الإنسان وممارسة فعل التفلسف حول مختلف القضايا والمشكلات ذات الصلة بالوجود الإنساني .

الفصل الأول: "السياق التاريخي والكرونولوجي"

المبحث الأول: ضبط المفاهيم.

المبحث الثاني: تاريخية الفلسفة بين الغاية والوظيفة

المبحث الثالث : التطور التاريخي للذكاء الاصطناعي: من الأحلام الفلسفية إلى الواقع التكنولوجي

تمهيد:

إن الحديث عن الفلسفة هو حديث عن التاريخ، بل هو استدعاء مستمر لذاكرة الإنسان المفكر، منذ اللحظة التي قرّر فيها أن يتجاوز ظاهر الأشياء ليبّلع باطنها، ويتأمل في وجوده، في الكون، وفي معنى الحقيقة والخير والعدل. وإذا كانت الفلسفة تُعرّف بأنها "حب الحكمة"، فإن هذه الحكمة لم تنشأ دفعة واحدة، بل تخلقت عبر مسار طويل ومعقد من التحولات، والتراكمات، والقطائع المعرفية، التي أنتجها العقل البشري على مر العصور. وهكذا فإن تاريخية الفلسفة لا تعني فقط تتبع مسارها الزمني من الشرق إلى الغرب، أو من العصور القديمة إلى المعاصرة، وإنما تعني أيضاً إدراك أن الفلسفة ذاتها مشروطة بسياقاتها الثقافية والحضارية، ومفتوحة دوماً على أفق التحوّل والتجاوز.

لقد ارتبطت الفلسفة، منذ بداياتها، بمشكلات الإنسان الكبرى، وأسئلته الوجودية التي لم تفقد راهنتها رغم تغير الأزمنة. فسواء في الميتافيزيقا اليونانية، أو في العقلانية الحديثة، أو في النقدية الكانطية، أو في التفكيك المعاصر، نجد أن الفلسفة كانت دوماً استجابة لما يطرحه الوجود من استفسارات، وما تفرضه الحياة من تحديات. ومن هذا المنظور، فإن تاريخ الفلسفة ليس مجرد سرد لأسماء ومذاهب، بل هو تحليل لمسارات الفكر، وتشخيص لمواقف العقل في مواجهته للواقع والمعرفة والقيم. وهو ما يجعل من هذا التاريخ، في جوهره، تاريخاً للعقل الإنساني في سعيه الدائم لفهم ذاته والعالم الذي يعيش فيه.

إن تاريخ الفلسفة لا ينفصل عن التاريخ العام للبشرية، بل يمكن القول إنه يشكل أحد أكثر مستوياته تعقيداً وعمقاً. فالفيلسوف لا يعيش في عزلة عن مجتمعه أو عصره، بل يُنظر إنطلاقاً من واقع سياسي، واجتماعي، وعلمي معيّن، ويتفاعل مع تراث سابق عليه، ويترك أثراً في من يليه. وهكذا فإن كل لحظة فلسفية هي في ذاتها لحظة تاريخية مشروطة بظروفها، لكنها في ذات الوقت تسعى لتجاوز هذه الشروط نحو أفق كوني، يجعل من الفلسفة خطاباً يتجاوز الحدود الجغرافية واللغوية والثقافية.

وفي هذا الإطار، يأتي هذا الفصل ليتناول البعد التاريخي للفلسفة في امتدادها الكوني، بدءاً من الجذور الشرقية التي احتضنت بذور التفكير الفلسفي، مروراً بفلسفة الإغريق التي أرست المبادئ الأولى للتفكير العقلاني، وصولاً إلى الفلسفة الإسلامية التي أعادت إنتاج الفلسفة ضمن أفق توحيدي، ثم إلى الفلسفة الحديثة التي وضعت العقل في مركز الوجود، وانتهت بالتوجهات الفلسفية المعاصرة التي تعيد مساءلة الفلسفة نفسها. إنها رحلة طويلة من التأمل، والشك، والنقد، والحوار بين الإنسان ونفسه، وبين الإنسان والعالم.

ولا بد من التأكيد أن هذه التاريخية لا تعني بحال من الأحوال أن الفلسفة أصبحت ملكاً للماضي، أو أنها حُصرت في متاحف الأفكار، بل على العكس، إن الوعي بتاريخ الفلسفة هو شرط ضروري لفهم

حيويتها المعاصرة، وقدرتها على الاستمرار والتجدد. فكما لا يمكن للفرد أن يفهم نفسه دون وعي بتاريخه الشخصي، لا يمكن للفلسفة أن تنهض بوظيفتها دون أن تعي تاريخها، وتستأنف الحوار مع مفكرها الكبار، وتعيد قراءة تراثها قراءة نقدية خلّاقة.

المبحث الأول: ضبط المفاهيم.

"الفلسفة، العلم، التكنولوجيا، الذكاء الاصطناعي، والمصطلحات التابعة له".

1- مفهوم الفلسفة: Philosophy

لغة: كلمة فلسفة غريبة عن اللسان العربي وهي مشتقة من الكلمتين الفرنسية Philosophie والانجليزية Philosophy، وهما مشتقتان بدورهما من الكلمة اليونانية Pinooopia. وهي مؤلفة من شطرين فيلو Philo وصوفيا Sophia فيلو تعني محبة وصوفيا تعني الحكمة، أي أن الفلسفة هي محبة الحكمة والفيلسوف هو المحب لها. ويقال أن أول من استعمل كلمة فلسفة هو المؤرخ اليوناني "هيرودوت"، أما من وضع لها معنى محدد هو "فيتاغورس" الذي وصف نفسه بأنه ليس حكيماً بل محباً للحكمة، والفيلسوف هو المحب للحكمة والمؤثر لها وليس حكيماً لأنها صفة من صفات الإلهة، ووحده الإله الذي يملك معرفة مطلقة بالأشياء¹.

إصطلاحاً: وقبل أن يكون لنا تحديد لماهية كلمة فلسفة، وقبل أن يكون لنا تعريف بمعناها نرى لزماً علينا مراعاة هاتين الظاهرتين:

- إن كلمة فلسفة هي من الكلمات الغامضة، ويصعب تحديد معناها تحديداً جامعاً مانعاً، تحديداً حاسماً شاملاً لكل زمان ومكان، لا تحديداً احتمالياً نسبياً يختلف من عصر إلى عصر، ومن حال إلى حال.
- قديماً، كل المسائل التي تدخل في باب المعرفة كانت تندرج تحت اسم الفلسفة. لكن الفلسفة .. في أيامنا صعب تحديدها تحديداً جامعاً مانعاً، لأن كل المعطيات قابلة للشك والنقد وتحتمل أكثر من تفسير.

يُعد من الصعب، إن لم يكن من المستحيل، الوصول إلى تعريف موحد وشامل للفلسفة، نظراً لطبيعتها الجدلية وتنوع اهتماماتها وتاريخها الطويل الممتد عبر العصور. وقد عبّر الفيلسوف رينيه ديكارت

¹ حربي عباس عتيطو، موزة محمد عبيدان، مدخل إلى الفلسفة ومشكلاتها، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 2003، ص 16.

عن هذه الإشكالية بدقة حينما قال في مقال في المنهج: "ليس في نطاق الفلسفة أمر واحد ليس موضع خلاف حتى اليوم. وهذا قول يصدق في القرن العشرين صدقه في القرن السابع عشر".¹

وتعود هذه الصعوبة إلى أن الفلسفة ليست مفهوماً ثابتاً، بل هي ظاهرة فكرية خضعت لعوامل النمو والحركة والتطور عبر العصور. فكما أن مفاهيم مثل "الحرية" و"العدل" تتغير باختلاف الزمان والمكان والأشخاص، فإن معنى الفلسفة كذلك يختلف باختلاف روادها ومناهجهم واهتماماتهم.

لقد تطورت الفلسفة من كونها مجرد تأملات نظرية إلى أن أصبحت مرتبطة بالعصر والواقع التاريخي والاجتماعي الذي تظهر فيه، كما يؤكد هيجل بقوله إن الفلسفة هي "استيعاب فكري للعصر".² ومن هذا المنطلق، فإن الفلسفة ليست نشاطاً ملائكياً منزهاً عن الواقع، ولا شيطانياً معادياً له، بل هي في جوهرها نشاط إنساني يعكس مشاغل الإنسان وقضاياها وتطلعاته.

كما أن لكل إنسان فلسفة خاصة به، تمثل موقفه من الحياة، وتصوراته عن الوجود والمعرفة والقيم. فالفلسفة ليست نظرية معزولة في برج عاجي، بل هي تفاعل حي مع مشكلات الإنسان وأسئلته المصيرية.

ومن حيث الأصل اللغوي، فإن كلمة "فلسفة" مشتقة من الكلمة اليونانية فيلوسوفيا (Philosophia)، والتي تعني "محبة الحكمة". ويُعد هذا التعبير أول تعريف للفلسفة، وهو لا يعزفها بقدر ما يصف اتجاهها العام. فكلمة "سوفوس" في اليونانية القديمة كانت تُطلق على كل من بلغ درجة عالية من التميز العقلي والمعرفي. ومع أن بعض الترجمات تشير إلى أن الفلسفة تعني "محبة الحكيم"، إلا أن الأنسب هو ترجمتها إلى "محبة المعرفة".³

ولذلك، فإن الفلسفة في بداياتها لم تكن تخصصاً معرفياً منفصلاً، بل كانت تشمل كل مجالات البحث عن الحقيقة، وهو ما يفسر شمولها للمعارف والعلوم الطبيعية والإنسانية على حد سواء.

لا يمكن اعتبار كل المعارف والمعلومات التي يمتلكها الإنسان ذات طابع فلسفي، فالمعلومات الجزئية والعملية، مثل معرفة أسماء الجيران أو طرق تحضير بعض المشروبات، لا تدخل ضمن اهتمامات الفيلسوف، إذ تفتقر إلى البُعد النظري أو العمق التأملي. ومع ذلك، فإن الفلسفة في بداياتها لم تكن مقتصرة على الأسئلة الميتافيزيقية أو القضايا النظرية فقط، بل كانت تشمل مجموعة واسعة من

¹ رينيه ديكارت، مقال في المنهج، ترجمة جميل صليبا، منشورات عويدات، بيروت، 1986، ص 52

² زكريا إبراهيم، مشكلة الفلسفة مكتبة مصر، بيروت، 2001، ص 14

³ عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، ج 1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1984، ص 125

المعارف التي يُنظر إليها اليوم على أنها خارجة عن النطاق الفلسفي، مثل العلوم الطبيعية، والرياضيات، وحتى الجغرافيا.

وقد ذهب الجغرافي الإغريقي "سترابو" إلى اعتبار الجغرافيا جزءاً من الفلسفة، في ضوء النظرة الشاملة التي كانت تُمنح لأي بحث يتولد عن حب الاستطلاع النظري لا عن الحاجة العملية المباشرة¹. فكل مجال من مجالات المعرفة كان يُنظر إليه في الأصل على أنه فلسفة، طالما أن الدافع إليه هو الرغبة العقلية في الفهم، لا المنفعة اليومية المباشرة.

وهكذا، كانت الحكمة في الحضارة اليونانية تعتبر أرقى مراتب المعرفة، لأنها تعالج القضايا الكبرى، وتتناول المبادئ العامة التي تنظم الفكر والوجود. غير أن هذا التعريف لم يكن يخلو من التواضع أمام عظمة الحكمة، إذ يرى فيثاغورس أن الإنسان لا يستطيع أن يدعي امتلاك الحكمة الكاملة، فهي شأن خاص بالآلهة، لا يُدرِكها البشر في تمامها².

ورفض فيثاغورس أن يُلقب بـ"الحكيم"، قائلاً إنه مجرد "فيلسوف"، أي "محب للحكمة"، لأن الحكمة لا تُمنح إلا للآله، وما الإنسان إلا ساعٍ إليها، باحث عنها، ومشتاق إلى المعرفة والحق. ومن هنا، يُعتبر فيثاغورس أول من أطلق على نفسه اسم "فيلسوف"، وبهذا أعاد صياغة علاقة الإنسان بالحكمة من التملك إلى التوق، ومن الادّعاء إلى السعي³.

وأطلق هذا اللقب – فيلسوف – على من انصرفوا إلى دراسة طبيعة الأشياء والبحث في أصل الكون وقوانينه، دون أن يدّعوا لأنفسهم المعرفة المطلقة أو الحكم القطعي. فكانوا طلاب حكمة، لا حكماء؛ يطلبون المعرفة، ويجهّدون في سبيلها، دون أن يدّعوا امتلاكها بالكامل.

ويرى بعض المفكرين المتأخرين أن سقراط، وليس فيثاغورس، هو أول من استخدم لفظ "فلسفة" بمعنى "محبّة الحكمة". ويُنسب إليه قوله: "الحكمة لله وحده، أما الإنسان فلا يملك إلا أن يسعى ليعرف، وفي استطاعته أن يكون محباً للحكمة، توافاً إلى المعرفة، باحثاً عن الحقيقة"⁴. بهذا الفهم، تجاوز سقراط مفهوم الحكمة باعتبارها امتلاكاً، ليُجعل منها غاية إنسانية ترتبط بالسعي الدائم لا بالتحقق التام.

وقد عرّف سقراط الفلسفة بأنها "محبّة الحكمة الخلقية"، وبذلك انصرف اهتمامه إلى الإنسان وأخلاقه، مبتعداً عن استغلال الفلسفة كوسيلة للمنفعة كما فعل السفسطائيون. ومع أن الفلسفة في

¹ سترابو، الجغرافيا، ترجمة محمد سليم حسن، ج1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1980، ص 12.

² يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، دار القلم، بيروت، 2008، ص 25.

³ عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، ج1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1984، ص 126.

⁴ يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، دار القلم، بيروت، 2008، ص 35.

عصره كانت قد أخذت بعداً جديداً يتجاوز التنظير السماوي، فإن سقراط أنزلها إلى الواقع الإنساني، لتصبح أداة لفهم الذات وممارسات الحياة اليومية.¹

ثم جاء أفلاطون، تلميذ سقراط، ليمنح الفلسفة بُعداً أكثر شمولاً، حيث عرفها بأنها "تحصيل المعرفة"، أو "العلم بالحقائق المطلقة المستترة خلف ظواهر الأشياء".² وتلك الرؤية جعلت الفلسفة جهداً عقلياً يسعى لاكتشاف ما وراء الواقع الظاهر، ويطمح إلى بلوغ الحقائق الثابتة، في مقابل الآراء الظنية والتغيرات السطحية.

أما أرسطو، فقد بلغ بالفلسفة مرحلة النضج والتكامل، إذ لم يكتف بتوسيع موضوعاتها، بل دقق في مناهجها وحدد موضوعها بدقة، فعرفها بأنها: "العلم بالأسباب القصوى" أو "العلم بالموجود بما هو موجود"، أي دراسة الكائن من حيث وجوده، في ضوء مبادئه وعقله وصفاته الجوهرية.³ كما اعتبرها "البحث في العلل الأولى والمبادئ الأولى"، بما يعني معرفة الوجود في ذاته. غير أن هذا الطموح الفلسفي إلى إدراك جوهر الوجود أثار تساؤلات لاحقة حول إمكانية بحث "الوجود في ذاته"، ومدى جدواه، إذ رأى بعض المفكرين أن مثل هذا البحث مجرد تجريد لا طائل من ورائه.

لقد أكد أرسطو على أن الفلسفة علم، لأنها تقوم على اليقين لا الظن، وهي علم بالموجودات لا من حيث تفصيلها، لأن تلك مهمة العلوم الجزئية، بل من حيث مبادئها العامة وعقلها البعيدة. فالفيلسوف، من وجهة نظره، ينظر إلى العالم ككل مترابط، ويدرسه في ضوء علله الكلية، لا في أجزائه المتفرقة.⁴

ومع دخول الفلسفة الأوروبية إلى العصور الوسطى، تطور معناها لتشمل كل علم يتوصل الإنسان إلى تأسيسه عبر التفكير المجرد. وأصبحت تُطلق على كل فرع معرفي يُؤسس بالعقل، بعيداً عن الانفعالات الدينية أو المسلمات غير المفحوصة، ما يدل على توسع نطاقها وميلها إلى المنهج العقلي التأملي.⁵ رغم أن العلوم الحديثة قد انفصلت تدريجياً عن الفلسفة، كل واحدة منها على حدة، إلا أن بعض الفلاسفة ظلوا ينظرون إلى الفلسفة بوصفها تشمل جميع المعارف الإنسانية. من هؤلاء الفيلسوف الفرنسي رينيه ديكارت، الذي اعتبر أن الفلسفة تهدف إلى تحقيق معرفة شاملة بكل ما يمكن للعقل

¹ إمام عبد الفتاح إمام، الطبيعة البشرية: دراسة في فلسفة الأخلاق مكتبة مدبولي، القاهرة، 1996، ص 42.

² أفلاطون، الجمهورية، ترجمة فؤاد زكريا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1986، ص 98.

³ أرسطو، ما بعد الطبيعة، ترجمة إسحاق عبّود، دار الحقيقة، بيروت، 1983، ص 14.

⁴ عبد الرحمن بدوي، الزمان الوجودي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1979، ص 31.

⁵ حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1991، ص 128.

الإنساني إدراكه. فقد قال في تعريفه لها: "إن الغرض الرئيسي من الفلسفة هو تحصيل العلم التام بكل ما يمكن العلم به عن طريق العقل"¹. وبهذا المعنى، تصبح الفلسفة عند ديكرت مشروعاً معرفياً كلياً، يُعتمد فيه على العقل وحده، بعيداً عن المعارف الحسية أو المسلمات غير المؤكدة.

وفي السياق الإسلامي، نجد الفارابي يعرّف الفلسفة بأنها: "العلم بالموجودات بما هي موجودة"، وهو تعريف مستمد من الإرث الأرسطي. غير أن الفارابي أضاف بعداً لاهوتياً خاصاً، حيث جعل الغاية من دراسة الفلسفة هي "معرفة الخالق تعالى، وأنه واحد غير متحرك، وأنه العلة الفاعلة لجميع الأشياء، وأنه المرتب لهذا العالم بجودته وحكمته وعدله"². بهذا، تظهر الفلسفة عند الفارابي كأداة عقلية للوصول إلى الحقيقة الإلهية والنظام الكوني.

ولقد كان التصور القديم للفلسفة يتضمن شمولية معرفية واضحة، حيث وُصفت بأنها "العلم بحقائق الأشياء والعمل بما هو أصلح". وكانت تشمل جميع فروع المعرفة المعروفة آنذاك، وتنقسم إلى قسمين رئيسيين: الفلسفة النظرية، والفلسفة العملية.

أما القسم النظري، فيتفرع إلى:

- العلم الإلهي (ما وراء الطبيعة)، ويعدّ أرقى فروع الفلسفة.
 - العلم الرياضي، ويُعتبر علماً وسطاً.
 - العلم الطبيعي، ويُنظر إليه بوصفه أدنى مراتب العلوم النظرية.
 - أما القسم العملي، فينقسم بدوره إلى ثلاثة مجالات:
 - علم الأخلاق، ويختص بسلوك الفرد وتربية النفس.
 - تدبير المنزل، ويهتم بإدارة شؤون الأسرة.
 - السياسة المدنية، وهي أرقى صور الفلسفة العملية، حيث تعنى بتنظيم شؤون المجتمع والدولة³.
- وعلى الرغم من تطور الفلسفة عبر العصور، فإن تحديد معناها ظل موضع جدل ونقاش، خصوصاً مع الفلاسفة المحدثين والمعاصرين. فقد تنوعت اتجاهاتهم بين من يرى الفلسفة تحليلاً لغوياً أو

¹ رينيه ديكرت، مقال في المنهج، ترجمة جميل صليبا، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1986، ص 54.

² الفارابي، الجمع بين رأيي الحكيمين أفلاطون وأرسطو، تح: محمد يوسف موسى، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1944، ص 22.

³ محمد عابد الجابري، تكوين العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1986، ص 67.

منطقيًا، ومن يراها موقفًا وجوديًا، أو منهجًا نقديًا، أو تأملًا في القيم والمعنى. ولذلك، لا يزال تعريف الفلسفة إلى اليوم مسألة مفتوحة، تختلف بحسب الزمان والمكان والسياق الثقافي الذي تُمارس فيه.¹ إذا لا يمكن حصر الفلسفة في تعريف جامع مانع، ولا يمكن الوصول إلى تحديد موحد تلتقي عنده مختلف الاتجاهات الفكرية، ولا إلى نطاق دقيق تتوقف عنده أسئلتها، أو يُحسم به الجدل المتواصل الذي يميزها. ولعل هذا هو أحد أبرز سماتها، فهي نشاط دائم، مفتوح على التساؤل المستمر والشك الإيجابي.

وقد عبّر الفيلسوف الألماني إيمانويل كانط عن هذه الطبيعة المتحركة والمتجددة للفلسفة بقوله: "ليس هناك فلسفة لتعلمها، كل ما هنالك أننا نتعلم كيف نتفلسف"²، أي أن الفلسفة ليست نسقًا مغلقًا من المعارف بل هي تدريب على التفكير الحر والنقدي، وموقف عقلي يتجاوز المقررات الجاهزة. ومن جانبه، يرى الفيلسوف الوجودي كارل ياسبرز أن جوهر الفلسفة لا يكمن في امتلاك الحقيقة النهائية، بل في السعي نحوها والبحث عنها. إذ يقول: "إن جوهر الفلسفة يقوم في البحث عن المعرفة لا في امتلاكها، وإن الفلسفة لتخون نفسها حين تصبح مجرد قوالب ثابتة، لأن كل جواب في الفلسفة يصبح بدوره سؤالاً جديداً يطرح ويثير النقاش"³. وهذه النظرة تؤكد على الطابع الجدلي للفكر الفلسفي، بوصفه مسعى لا ينتهي إلى يقين مطلق، بل إلى وعي متجدد بحدود المعرفة.

2- العلم Science :

لغة: يُعدّ العلم نقيضًا للجهل، ويُطلق في اللغة على معنى "المعرفة"، حيث يُقال: "علمت الشيء"، أي عرفته وأدركته. فالعلم في معناه اللغوي اشتق من مادة "عَلِمَ"، وسُعي علمًا لأنه بمنزلة "العلامة" التي يهتدي بها الإنسان في طريق المعرفة، كما يهتدى بالعلم (الرؤية) المنصوبة في الطريق لبيان الاتجاه.⁴ ومن هنا فإن وظيفة العلم هي الإرشاد والتمييز، تمامًا كما تميز العلامات بين المعروف والمجهول، وتدل على ما خفي على الإنسان في واقعه أو في الطبيعة من حوله.

¹ مصطفى النشار، مشكلة مفهوم الفلسفة، دار قباء، القاهرة، 1999، ص 10

² إيمانويل كانط، نقد العقل المحض، ترجمة موسى وهبة، دار الفارابي، بيروت، 2005، ص 35.

³ كارل ياسبرز، مدخل إلى الفلسفة، ترجمة فؤاد كامل، دار المعارف، القاهرة، 1970، ص 12.

⁴ ابن منظور، لسان العرب، مادة "علم"، ج 12، دار صادر، بيروت، 1990، ص 416.

اصطلاحاً: يُعدّ تحديد مفهوم "العلم" في الاصطلاح أمراً عسيراً، لما يتضمنه من تشعب واختلاف بين المدارس الفكرية والفلسفية، سواء في التراث القديم أو في الفكر المعاصر، حيث لم يُجمع العلماء والفلاسفة على تعريف موحد متفق عليه.¹

وقد وردت كلمة "العلم" في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة مطلقة دون قيد أو تحديد، بحيث تشمل كل معرفة نافعة تعود بالخير على الإنسان، وتحقق عمارة الأرض وصلاح البشرية، وتدعم وظيفة الإنسان كخليفة في هذا العالم.²

العلم عند فخر الدين الرازي:

عرّف الإمام فخر الدين الرازي (543-606هـ / 1148-1209م) العلم بأنه مراتب متعددة، تبدأ من الاتصال الحسي بالمحسوسات، وتترقى إلى مراتب الإدراك العقلي والتجريد. وهو في رأيه إدراكٌ يتنوع بين الحسي والعقلي والقلبي، ويشمل معرفة الجزئيات والكميات، البسيط منها والمركب. كما يميز الرازي بين العلم البدهي الذي لا يحتاج إلى دليل، والعلم الكسبي الذي يتطلب النظر والاستدلال.³

العلم والمعرفة (Science and Knowledge):

يحمل مفهوم العلم والمعرفة في اللغة العربية عدداً كبيراً من المرادفات، وقد جاء استعمالها في السياق القرآني وفي اللغة اليومية بشكل متنوع، ما يعكس عمق المعنى وثرأه في الثقافة الإسلامية. وقد قام الإمام فخر الدين الرازي (رحمه الله) بإحصاء هذه المرادفات في تفسيره مفاتيح الغيب، فوجد أنها تبلغ ثمانية وعشرين لفظاً مختلفاً، تدل جميعها على وجوه متعددة من المعرفة والإدراك. ومن هذه الألفاظ: الحفظ، التذكر، الذكر، المعرفة، الفهم، الفقه، العقل، الدراية، الحكمة، علم اليقين، الذهن، الفكر، الحدس، الذكاء، الفطنة، الخاطر، الوهم، الظن، الخيال، البديهة، الأوليات، الروية، الكياسة، الخبرة، الرأي، الفراسة، الإدراك، والشعور.⁴

¹ زكي نجيب محمود، تجديد الفكر العربي، دار الشروق، القاهرة، 1981، ص 74.

² أنظر: قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: 31]، وقول النبي ﷺ: "من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة"، رواه مسلم، كتاب الذكر والدعاء، رقم الحديث: 2699.

³ فخر الدين الرازي، محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين، تحقيق حسين عطوان دار الكتب العلمية، بيروت، 1992، ص 32-34.

⁴ فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، تح: عبد الكريم النمري، ج 1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، ص 129.

3- التكنولوجيا (Technology):

لغةً، تتألف كلمة "تكنولوجيا" من مقطعين: "تكنو" (Techno) و"لوجيا" (Logos).

المقطع الأول "تكنو" مأخوذ من الكلمة اليونانية "تكنوس" (τέχνο) التي تعني الفن أو الحرفة، أي الفنون الصناعية والتشغيلية.

أما المقطع الثاني "لوجيا" فهو مشتق من الكلمة اليونانية "لوجوس" (λόγος) التي تعني العلم أو المنهج. وبالتالي، فإن كلمة "تكنولوجيا" تعني بشكل حرفي "علم التشغيل الصناعي" أو "علم الفنون التقنية".

ولا تقتصر التكنولوجيا على كونها مجرد آلات وأجهزة تُستخدم لتسهيل الإنتاج والحياة اليومية، بل تُعد أيضًا أسلوبًا للاتصال والتبادل، واقتباس ما يتوافق مع النمو الحضاري في المجتمع بهدف حماية القيم الاجتماعية والثقافية والأخلاقية من التدهور.

ومن الجدير بالذكر وجود اختلاط في اللغة الفرنسية بين لفظي "Technique" و"Technologie"، حيث الأول أقدم ويعني التقنية كأسلوب أو طريقة يستخدمها الإنسان لإنجاز عمل أو عملية ما، بينما الثانية تشير إلى علم الفنون والمهن ودراسة خصائص المواد التي تُصنع منها الآلات والمعدات.¹

اصطلاحًا:

التكنولوجيا هي تركيبة من التجهيزات والوسائل والمعارف التطبيقية في الصناعة، حيث تضم معارف مرتبطة بالعلم وتطبيقاته في الصناعة والاستخدام، بالإضافة إلى معارف ترتبط برأس المال البشري، أي معرفة كيفية العمل والإنتاج. هذه المعارف تكون منظمة ومشكلة كتقنيات مجمعة لدى الأفراد، تشمل إمكانيات وطاقات تمكنهم من توجيه الآلة وتنظيم الإنتاج.

التكنولوجيا هي نتاج تراكم سنوات من التجارب الإيجابية التي يستخدمها عدد معين من الأفراد في مجال الإنتاج.² وقد أصبحت كلمة "تكنولوجيا" من أكثر الألفاظ شيوعًا في عصرنا، مما أدى إلى وجود لبس وغموض في معناها، إذ تحمل معاني متعددة ومفاهيم متضاربة حسب سياق استخدامها.³

أما التقنية (Technology) فهي كيفية التصرف أو طريقة أو وسيلة أو فعل يتجسد من خلال تجميع خاص لعناصر مثل الموارد والمعرفة وقوة العمل، مما يسمح بتحويل المواد الأولية إلى منتجات.⁴

¹ محمد عبد الرحمن، مدخل إلى فلسفة التكنولوجيا، دار الفكر العربي، القاهرة، 2005، ص ص 34-36

² نفس المرجع، ص ص 45-46.

³ ليلى المكي، تكنولوجيا ومجتمع، مركز دراسات العلوم الاجتماعية، بيروت، 2010، ص ص 22-23.

⁴ عبد الله أحمد، مبادئ التقنية الصناعية، دار المعرفة، الرياض، 2012، ص 10.

تعرف التقنية أيضًا بأنها العملية التي يتم من خلالها تطوير المعلومات الفنية المتولدة في بلد ما لاستخدامها في بلد آخر¹.

أما التكنولوجيا فتقصد بها المعرفة المنهجية للتقنية، أي مجموع المعارف العلمية والتقنية التي ينبغي التحكم بها لتشكيل الأهداف². فالتكنولوجيا تتطور مع تطور العلوم والتقنيات، وهما مرتبطان ارتباطاً وثيقاً، وتنتشر عبر التقليد أو السريان الطبيعي³.

كما تُعرف التكنولوجيا بأنها عملية أو مجموعة عمليات تسمح بتحسين التقنيات الأساسية وتطبيق المعارف العلمية من خلال منهج البحث العلمي بهدف تطوير الإنتاج الصناعي⁴.

التكنولوجيا تمثل التطبيق الأمثل للمعرفة في القطاعات الصناعية والزراعية والاجتماعية والاقتصادية⁵، وقد برز استخدام مصطلح التكنولوجيا بوضوح منذ الثورة الصناعية حين أخذت الآلات مكانتها المهمة في الإنتاج الصناعي⁶.

يمكن النظر إلى التكنولوجيا كطريقة لعمل شيء ما، وتحتاج إلى ثلاثة عناصر رئيسية: معلومات عن الطريقة، وسائل لتنفيذها، وعمليات الاستيعاب التي لا تُكتسب إلا من خلال الدراسة والخبرة. بناءً على ذلك، يلاحظ أن بعض التعريفات تركز على الجانب المادي الذي يشمل الآلات والمعدات والإنشاءات الفنية، بينما تعطي تعريفات أخرى أهمية للجانب الفكري، وهو مجموعة الأسس المعرفية والتقنية والمنهجية التي تقف وراء إنتاج الجانب المادي.

4- الذكاء الاصطناعي :

لغة: الذكاء: مشتق من الفعل "ذَكَا"، أي اشتدَّ وازداد، ويعني الفطنة، سرعة الفهم، والقدرة على التحليل والاستنتاج.

الاصطناعي: من "الصَّنْع"، ويعني الشيء المصنوع أو المبتكر بواسطة الإنسان، وليس الطبيعي أو الفطري. بالتالي، من الناحية اللغوية، يمكن تعريف الذكاء الاصطناعي بأنه "الفطنة أو القدرة على التفكير والتحليل التي يتم تصنيعها أو برمجتها بواسطة الإنسان"⁷.

¹ عبد الله أحمد، المرجع السابق، ص 15.

² عمر الطاهر، تطور الفكر التكنولوجي، دار الثقافة، دمشق، 2008، ص 37.

³ نفس المرجع، ص 40.

⁴ فاطمة يوسف، التكنولوجيا والتنمية الاقتصادية، دار الفجر، الجزائر، 2015، ص 55.

⁵ محمد عبد الرحمن، المرجع السابق، ص 47.

⁶ نفس المرجع، ص 48.

⁷

اصطلاحات:

لا يتجاوز عمر تقنية الذكاء الاصطناعي 60 عامًا، وعلى الرغم من ذلك فإن له جذور راسخة في مجالات متعددة مثل: الرياضيات، والعلوم، علوم الحاسوب، والفلسفة، وعلم النفس، واللغويات.¹ يرى بعض العلماء أن بدايات ظهور الذكاء الاصطناعي كانت أثناء الحرب العالمية الثانية عندما قام رائد علم الحاسوب آلان تورينج بشفرة آلة "إنجما Enigma": لاعتراض الاتصالات النازية، وهي نموذج حاسوب ذكي مثالي يطور نظرية "الأوتوماتا Automata Theory" (نظرية التشغيل الذاتي).² ونتيجة لذلك، اهتم باحثون آخرون بإنشاء "آلة تفكير" لديها القدرة على التفكير مثل البشر.³ تمت صياغة مصطلح الذكاء الاصطناعي لأول مرة في مؤتمر "دارتموث" في عام 1956، في الوقت نفسه بدأ في الظهور الجيل الأول من أجهزة الحاسوب الرقمية في مختبرات الجامعة. كان المشاركون في هذا المؤتمر في الغالب من علماء الرياضيات، والإحصاء، والحاسوب. ونظرًا لتداخله مع التحليل الإحصائي المتقدم، وحادثة عهد هذا المفهوم، واختلاف الاتجاهات الفكرية لتناوله، فإننا نفتقر إلى تحديد مفهوم واضح، ومحدد للذكاء. الاصطناعي؛ لأنه في تطور مستمر جنبًا إلى جنب مع التقدم التكنولوجي. وفي هذا السياق تعددت التعريفات، حيث يرى بعض العلماء أن الذكاء الاصطناعي قائم على ذكاء حوسبي * Computational Intelligence. حيث تتمتع الآلات الذكية بالقدرة على الفهم، والتعلم، ومعالجة تعليمات معينة يجب اتباعها، أو القيام بعمل ما. وهناك اتجاهات تركز على مدى قدرة الآلات الذكية على محاكاة السلوك الإنساني أو العقل البشري، أو بمعنى أدق قدرة الآلات على أداء المهام التي يقوم بها البشر.⁴ وهناك اتجاه يشير إلى الذكاء الاصطناعي على أنه مجموعة من التقنيات التي تجمع بين البيانات، والخوارزميات*، وقوة الحوسبة. وفي هذا الإطار تبنت منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية OECD تعريف الذكاء الاصطناعي باعتباره "نظام قائم على الآلة يمكنه وفق مجموعة معينة من الأهداف المحددة من قبل الإنسان وضع تنبؤات، أو توصيات، أو قرارات تؤثر على البيئات الحقيقية، أو الافتراضية".⁵

¹ عبد الرزاق مختار محمود، تطبيقات الذكاء الاصطناعي، مدخل لتطوير التعليم في ظل فيروس كورونا، المجلة الدولية للبحوث في العلوم التربوية، مجلد 03، العدد 04، المؤسسة الدولية لأفاق المستقبل، مصر، 2020، ص 183

² سندس عزيز فارس، تقنيات الذكاء الاصطناعي وتطبيقاتها في الرياضيات، ط1، منصة أريد العلمية، 2024، ص 98.

³ عادل عبد النور (2005)، مدخل إلى عالم الذكاء الاصطناعي، مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، السعودية، ص 08.

⁴ أحمد عبد الفتاح حمدي الهنداوي، الذكاء الاصطناعي وتطبيقاته في تطوير الإدارة الجامعية "رؤية مقترحة"، مجلة التربية لجماعة الأزهر، الجزء 02، العدد 192، 2021، ص 08.

⁵ عبد الرزاق مختار محمود، المرجع السابق، ص 184.

وهناك اتجاهات أخرى ترى أن تقنيات الذكاء الاصطناعي لا تقتصر على محاكاة البشر بل تشمل أنظمة مستوحاة من الكائنات الحية الأخرى من خلال بناء نماذج افتراضية تحاكي سلوك أنواع مختلفة من الحيوانات الأليفة أو الفيروسات¹، ومن ثم يمكن تعريف الذكاء الاصطناعي بأنه محاكاة لسلوك الكائنات الحية عن طريق البرامج، والآلات الذكية. فالذكاء الاصطناعي الأكثر تقدمًا هو آلة لحل المشكلات، يمكنها حتى اكتساب بعض التعلم. ومن المهم الإشارة إلى أن الذكاء الاصطناعي لا يطبق فقط على الأجهزة، والآلات (الروبوتات)، ولكن يتم إنشاء الذكاء الاصطناعي داخل أنظمة الحاسوب (البرامج الذكية، أو الخوارزميات)، كما تعتمد تقنيات الذكاء الاصطناعي على تحليل البيانات، وفي القلب منها البيانات المتاحة على منصات التواصل الاجتماعي.

وبناء على ما سبق، فإن تطبيقات الذكاء الاصطناعي هي مزيج من التقنيات المختلفة سواء كانت برامج، أو أجهزة، أو مزيجًا بين الاثنين. فبعض هذه التقنيات قائمة على البرمجيات، والشبكات العصبية الاصطناعية Artificial Neural Network، والحوسبة التطورية Evolutionary Computation (الذي يتكون من الخوارزميات الجينية Genetic Algorithms، والاستراتيجية التطورية Evolutionary Strategy، والبرمجة الجينية Genetic Programming)، والنظم الخبيرة Expert Systems، والتعلم الآلي Machine Learning. وهناك تقنيات تستند إلى البرامج الذكية، والبرمجيات التي تعمل على استخراج البيانات، والنصوص، وتحليل المشاعر. بالإضافة إلى تقنيات تعتمد على الأجهزة وبالأخص الروبوتات، والمركبات المستقلة، والرؤية الاصطناعية.²

ومن ناحية أخرى، باتت البيانات الضخمة Big Data تلعب دورًا حيويًا في إطار تقنيات الذكاء الاصطناعي. يتم تعريف البيانات الضخمة على أنها "البيانات ذات الحجم الكبير يتم إنتاجها من خلال الأنشطة الحكومية، أو التجارية، أو الخاصة. وتتسم بكونها شديدة التعقيد؛ حيث يتم معالجتها من خلال نظم قواعد البيانات، أو البرمجيات، أو الخوارزميات الذكية، والتطبيقات الإحصائية. بالإضافة إلى ضخامة حجمها فإنها تتسم بالسرعة غير المسبوقة في الحصول عليها، وتشغيلها، علاوة على تعدد، وتنوع مصادرها، وعدم تجانسها.³

¹ عبد الرزاق مختار محمود، المرجع السابق، ص 184.

² محمد حسام محمود لطفي وآخرون، دليل أخلاقيات استخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي في مجال البحث العلمي، الاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات، دار سوهام للنشر والتوزيع قسنطينة، الجزائر، 2023، ص 23.

³ جهاد أحمد عفيفي، الذكاء الاصطناعي والأنظمة الخبيرة، ط1، دار أمجد للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ص 23.

المبحث الثاني: تاريخية الفلسفة بين الغاية والوظيفة

1- الفلسفة في العهد اليوناني: البدايات الأولى للتفكير الفلسفي

تُعدّ الفلسفة اليونانية نقطة الانطلاق الأساسية للفكر الفلسفي في الحضارة الغربية، وقد ظهرت خلال القرن السادس قبل الميلاد في مدن أيونيا الواقعة على الساحل الغربي لآسيا الصغرى، في بيئة ثقافية وسياسية واقتصادية مهيأة للتحوّل نحو التفكير العقلاني. وقد مثّل فلاسفة ما قبل سقراط أولى البذور الحقيقية للفلسفة، حيث اتجهوا إلى تفسير الكون وأصله بطريقة عقلية، مبتعدين عن الطابع الميثولوجي السائد آنذاك.

كان طاليس الملطي (546-624 ق.م) أول من طرح سؤالاً فلسفياً حول أصل الكون، معتبراً أن الماء هو المبدأ الأول الذي تنبثق منه جميع الكائنات، نظراً لحضوره في مختلف أشكال الحياة¹، تبعه أنكسيماندر الذي خالفه الرأي وطرح مفهوم "اللامحدود" أو "الأبيرون" (Apeiron) "كمصدر أول، لأنه لا يتولد عن شيء آخر ولا يزول، ما يعكس تفكيراً تجريبياً جديداً². أما هيراقليطس فقد نظر إلى النار كمبدأ كوني، وركّز على فكرة التغير الدائم بقوله الشهير: "لا يمكنك أن تسبح في النهر نفسه مرتين"، معتبراً أن الصراع هو جوهر الوجود³.

مع مجيء سقراط (399-470 ق.م)، حدث تحوّل كبير في مسار الفلسفة، حيث تحوّل الاهتمام من العالم الخارجي إلى العالم الداخلي، أي إلى الإنسان وسلوكه وأخلاقه. رفض سقراط الانشغال بالظواهر الطبيعية، وركّز على الحياة الفاضلة والمعرفة الذاتية، وقد استعمل الحوار كمنهج للوصول إلى الحقيقة، مؤمناً أن الجهل هو أصل الخطأ، وأن "الحكمة هي أن تعرف أنك لا تعرف"⁴. وقد أُعدم بتهمة إفساد الشباب والازدراء بالآلهة، لكنه ترك أثراً عميقاً في تلامذته وفي الفكر الفلسفي عمومًا.

كان من أبرز تلامذته أفلاطون (347-427 ق.م)، الذي أسس مدرسة "الأكاديمية"، وطرح فلسفة مثالية ترى أن العالم الحسي زائف، وأن الحقيقة توجد في "عالم المثل" الأزلي. لقد اعتبر أن النفس خالدة، وأن المعرفة الحقّة لا تُكتسب بالحواس، بل بالعقل وحده، عبر التذكر والتأمل⁵.

¹ جون كوبر، تاريخ الفلسفة الغربية، ط3، مطبعة جامعة أكسفورد، نيويورك، 2016، ص 23.

² جون هولاند، الفلسفة الطبيعية في العصور القديمة، منشورات جامعة السوربون، باريس، 2017، ص 58.

³ أليسون تاكر، هيراقليطس: التغير والكون، مطبعة روتليدج، لندن، 2018، ص 35.

⁴ ميلتون روبنز، سقراط والمنهج الفلسفي، مطبعة هارفارد، بوسطن، 2019، ص 12.

⁵ بول ألين، أفلاطون وعالم المثل، مطبعة جامعة أكسفورد، 2016، ص 60.

أما أرسطو (322-384 ق.م)، تلميذ أفلاطون، فقد رفض نظرية المثل وركز على الواقع الحسي، مؤسساً للمنطق الصوري كأداة للفكر، ومطوِّراً مبادئ الميتافيزيقا، والفيزياء، والسياسة، والأخلاق. اعتبر أرسطو أن كل شيء يتكون من مادة وصورة، وأن لكل كائن غاية، وهو ما يعرف بمبدأ الغائية في الطبيعة¹. لقد اتخذ منهجه طابعاً موسوعياً، حتى وُصف بـ"المعلم الأول" في الحضارة الإسلامية. إنَّ الفلسفة في العهد اليوناني لم تكن مجرد مجموعة من الأفكار، بل كانت نمط حياة وطريقة في التفكير، وسعيًا دائمًا نحو الحقيقة والحكمة. وهي بذلك أرسّت الأسس الكبرى للفكر الفلسفي، التي ستظل حاضرة في كل المراحل التالية من تطور الفلسفة.

2- الفلسفة في العصور الوسطى: التوفيق بين الفلسفة والدين

مع أفول الحضارة اليونانية-الرومانية، وبداية العصور الوسطى، انتقلت الفلسفة إلى فضاءات جديدة، فدخلت في تفاعل عميق مع الديانات السماوية، خاصة الإسلام والمسيحية، حيث لم تعد الفلسفة مشروعاً مستقلاً عن الدين، بل أصبحت أداة لفهمه وتبريره في كثير من الأحيان. وقد اتسم هذا العصر بتوجه عام نحو التوفيق بين العقل والإيمان، أو بين الفلسفة والوحي.

في العالم الإسلامي، بلغت الفلسفة ذروتها في الفترة الممتدة بين القرن التاسع والثالث عشر الميلادي، وقد تأثر فلاسفة الإسلام بالفلسفة اليونانية، خاصة الأرسطية منها، بعد أن تُرجمت مؤلفات أفلاطون وأرسطو إلى العربية عبر السريانية. كان يعقوب بن إسحاق الكندي (ت. 873م) أول من دشن الفلسفة الإسلامية، حيث عمل على "تعريب الفلسفة" اليونانية ودمجها في الثقافة الإسلامية، مع محاولات لتوفيقها مع الشريعة².

ثم جاء أبو نصر الفارابي (ت. 950م) الذي عمّق البُعد المنهجي للفلسفة الإسلامية، واعتبر أن الفيلسوف هو من يجمع بين الحكمة النظرية والعملية، وسعى إلى التوفيق بين أفلاطون وأرسطو، كما أرسى أسس فلسفة سياسية مثالية مستلهمة من "المدينة الفاضلة"³.

أما ابن سينا (980-1037م)، فقد طوّر الميتافيزيقا والعلم الطبيعي والطب والفلسفة النفسية، وطرح برهانه الشهير على وجود الله بـ"واجب الوجود"، ما جعله من أبرز فلاسفة الإسلام تأثيراً في أوروبا القرون الوسطى⁴. وقد تعرّض للانتقاد من طرف أبو حامد الغزالي (ت. 1111م)، الذي رأى أن الفلاسفة

¹ نيكولاس هارت، أرسطو والمنهج العلمي، مطبعة جامعة كولومبيا، نيويورك، 2021، ص 90.

² محمد عابد الجابري، نحن والتراث: قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1980، ص 65.

³ ماجد فخري، تاريخ الفلسفة في الإسلام، دار النهار، بيروت، 1979، ص 123.

⁴ أبو حامد الغزالي، تهافت الفلاسفة، تحقيق سليمان دنيا، مكتبة القاهرة، 1955، القاهرة، ص 112.

انحرفوا عن الدين في قضايا مثل قدم العالم وإنكار البعث، وذلك في كتابه *تهافت التهافت*، حيث كَفَرهم في ثلاث مسائل.¹

غير أن ابن رشد (1126-1198م) دافع عن الفلسفة، وردَّ على الغزالي في كتابه *تهافت التهافت*، مؤكداً أن لا تعارض جوهرى بين الشريعة والحكمة، وأن الفلسفة واجبة شرعاً لأنها تُعين على فهم النصوص الدينية وفقاً لقواعد العقل.²

في أوروبا المسيحية، بدأت الفلسفة في الاندماج مع اللاهوت، فيما يُعرف بـ "الفلسفة المدرسية" (سكولاستيكية)، والتي بلغت ذروتها مع توما الإكويني (1225-1274م)، الذي تبَنَّى الفلسفة الأرسطية في تبرير العقيدة المسيحية، مؤسساً لما عُرف بـ "اللاهوت الطبيعي"³، وقد حاول الإكويني، كما فعل ابن رشد، البرهنة على وجود الله بالعقل، من خلال أدلته الخمسة المشهورة، أبرزها "دليل الحركة".

تميزت هذه المرحلة إذًا بمحاولات جادة للجمع بين العقل والنقل، واعتبار الفلسفة خادمة للدين. لكنها في نفس الوقت كانت مقيدة بسلطة الكنيسة في أوروبا، وبالمرجعية الدينية في العالم الإسلامي، ما جعلها تفتقر في كثير من الأحيان إلى الطابع النقدي المستقل الذي ميّز الفلسفة اليونانية.

3- الفلسفة الحديثة: العقلانية النقدية والقطيعة مع الميتافيزيقا التقليدية

تُعدّ الفلسفة الحديثة امتداداً لتحولات عميقة عرفت أوروبا خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، ترافقت مع تحولات كبرى على المستويات العلمية، الدينية، والسياسية. فقد ساهمت النهضة الأوروبية، والاكتشافات الجغرافية، والإصلاح الديني، وثورة كوبرنيكوس الفلكية، في زعزعة التصورات التقليدية للعالم، وفتحت الباب أمام فكر جديد يتخذ من "العقل" أداة مركزية للمعرفة، ومن "الشك" منهجاً لفحص كل ما كان يُعتبر مسلماً به.

تجلّى هذا التحول في رينيه ديكارت (1596-1650م)، الذي يُعدّ بحق مؤسس الفلسفة الحديثة، بفضل محاولته بناء معرفة يقينية تنطلق من الشك المنهجي، الذي مارسه على كل المعارف السابقة، وصولاً إلى الحقيقة الأولى التي لا تقبل الشك: "أنا أفكر، إذن أنا موجود" (*Cogito, ergo sum*)⁴ وقد قام

¹ ابن رشد، *تهافت التهافت*، تح: سليمان دنيا، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1964، ص 89

² ف. كوبليستون، *تاريخ الفلسفة الغربية: العصر الوسيط*، تر: عزت قرني، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1982، ص 211.

³ ر. م. بيرنت، *الفكر المسيحي في العصور الوسطى*، ترجمة جوزيف عيسى الخوري، دار المشرق، بيروت، 1999، ص 156.

⁴ رينيه ديكارت، *تأملات ميتافيزيقية*، تر: جون سميث، دار الفنون، باريس، 1641، ص 22.

ديكارت بفصل صارم بين النفس والجسد، بين الفكر والمادة، مؤسسًا بذلك لـ"ثنائية ديكارتية" أثرت لاحقًا على الفكر الغربي. كما سعى إلى بناء نسق معرفي عقلاني شبيه بالرياضيات، حيث تكون المبادئ واضحة بديهية، والاستنتاجات منطقية، وهو ما تجلّى في كتابه تأملات ميتافيزيقية.¹

في المقابل، عارضه فرانسيس بيكون (1561-1626م) من زاوية منهجية، حيث اعتبر أن المعرفة لا تُبنى على التأمل العقلي المجرد بل على التجربة والملاحظة. دعا بيكون إلى التخلي عن "أوهام العقل الأربعة" وبناء العلم على منهج استقرائي تجريبي، واعتبر أن "المعرفة قوة"، أي أنها لا تكون غاية في ذاتها، بل وسيلة لتسخير الطبيعة لخدمة الإنسان.²

أما باروخ سبينوزا (1632-1677م) فقد خالف الثنائية الديكارتية، واعتبر أن الوجود يتكوّن من جوهر واحد، هو الله أو الطبيعة (*Deus sive Natura*)، في تأويل فلسفي قائم على وحدة الوجود. وقد طوّر سبينوزا فلسفة عقلانية صارمة، تقوم على البرهان الهندسي، كما في كتابه *الأخلاق*، حيث مزج بين الفلسفة والدين والرياضيات بطريقة ثورية.³

وفي إنجلترا، ظهر جون لوك (1632-1704م) مؤسس التجربة الحديثة، الذي رفض وجود أفكار فطرية، واعتبر أن العقل البشري عند الولادة "صفحة بيضاء" (*Tabula Rasa*)، وأن كل المعارف تأتي من التجربة الحسية والتأمل في التجربة.⁴ وتطورت هذه الرؤية مع ديفيد هيوم (1711-1776م)، الذي شكك في مبدأ السببية، واعتبر أن العقل لا يدرك العلاقة الضرورية بين الأشياء، بل يعتمد على العادة والتكرار. وقد أدى هذا الشك التجريبي إلى أزمة في الفلسفة الحديثة، لأنه قوض الأسس التي يقوم عليها العلم نفسه.⁵

في مواجهة هذا الشك، جاء إيمانويل كانط (1724-1804) (ليُحدث ثورة معرفية جديدة، مزج فيها بين العقلانية والتجريبية، من خلال ما سماه بـ"النقد"، أي نقد ملكات العقل وحدوده. في كتابه *نقد العقل/المحض*، يبيّن كانط أن العقل لا يتلقى المعرفة فقط من الخارج، بل يساهم في تشكيلها من خلال مفاهيمه القبلية، مثل الزمان، المكان، والسببية. وقد اعتبر أن المعرفة العلمية ممكنة، لأنها تتم داخل إطار

¹ جون لويس ماثيوز، الفلسفة الحديثة: من ديكارت إلى كانط، مطبعة جامعة أكسفورد، لندن، 2004، ص ص 58-62.

² فرانسيس بيكون، *Novum Organum*، تر: ليونيل جودفري، كامبريدج، لندن، 2000، ص ص 38-42.

³ باروخ سبينوزا، *الأخلاق*، تر: نزار علي عبد الحميد، دار العلم للملايين، بيروت، 1998، ص ص 25-30.

⁴ جون لوك، مقالة في الفهم البشري، تر: عبد الرحمن بدوي، دار الشروق، القاهرة، 2001، ص ص 45-50.

⁵ ديفيد هيوم، بحث في الفهم البشري، تر: عبد الله عبد الكريم، دار النهار، بيروت، 1984، ص ص 78-85.

"الظواهر"، في حين تبقى "الشيء في ذاته" مجهولة¹. بهذا أعاد كانط الاعتبار للعقل، لكنه وضع له حدودًا صارمة، مؤسسًا لما يسمى بالفلسفة النقدية أو المثالية الت. ranscendentale

لقد مثلت الفلسفة الحديثة تحولًا جوهريًا في تاريخ الفكر البشري، حيث بدأت تُطرح الأسئلة حول إمكانية المعرفة، حدود العقل، أسس الأخلاق، ومشروعية الدين، في استقلال شبه تام عن السلطة الكنسية. وقد فتحت هذه المرحلة الطريق أمام الحداثة، ومهدت لبروز فلسفات الذات، والحرية، والعلم، مما سيكون له أثر بالغ في الفلسفة المعاصرة، خصوصًا مع بروز فلسفة العلم والوجود.

أ- الإبستمولوجيا: من نقد المعرفة إلى فهم منطق العلم

تُعدّ الإبستمولوجيا واحدة من أبرز الفروع الحديثة في الفلسفة، وقد نشأت استجابة لتحولات جذرية عرفت المعرفة العلمية منذ العصر الحديث. إنها ليست مجرد نظرية في المعرفة، كما في التصور الكلاسيكي لـ "المعرفة" عند ديكارت وكانط، بل هي تحليل نقدي لطبيعة العلم ذاته، ولشروط إنتاجه، ومناهجه، وتاريخه، ومعاييره، ومشكلاته. وبذلك، صارت الإبستمولوجيا اليوم تحتل موقعًا مركزيًا في كل نقاش فلسفي حول العقل والمعرفة والحقيقة، خصوصًا في ظل التطور المتسارع للعلوم والذكاء الاصطناعي.

يرجع أصل الكلمة إلى اليونانية، حيث تعني "epistēmē المعرفة" و"logos الخطاب" أو "العلم"، أي "الخطاب عن المعرفة"، لكن استعمالها كمفهوم مستقل بدأ في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، لتمييز هذا الحقل الفلسفي الجديد الذي يهتم بالعلم في حد ذاته، لا كمعرفة جاهزة، بل كعملية ديناميكية معقدة. وقد برز في هذا الإطار مفكرون كبار أمثال إرنست ماير، رينيه ديكارت، كانط، وصولًا إلى باشلار، بوانكاريه، كارل بوبر، توماس كون، فيريابند، ولاكاتوش، وكلهم ساهموا في بناء تصور إبستمولوجي عميق ومتشعب حول تطور العلم.²

في بداياتها، ركزت الإبستمولوجيا على مسألة المنهج العلمي، فكانت متأثرة بما يُعرف بالنموذج الكلاسيكي أو التجريبي، الذي يرى أن العلم يتقدم عبر ملاحظة الواقع، وصياغة فروض، ثم اختبارها تجريبيًا. وقد شكّل هذا النموذج الأساس الذي قامت عليه الوضعية، خصوصًا عند أوغست كونت والوضعيين المناطقية، الذين سعوا إلى جعل المعرفة العلمية "خالية من القيم"، ومنزهة عن الميتافيزيقا، وقائمة فقط على ما يمكن التحقق منه تجريبيًا.³

¹ إيمانويل كانط، نقد العقل المحض، تر: جورج طرايشي، دار العلم للملايين، بيروت، 1981، ص ص 45-60.

² محمد عبد الكريم، مقدمة في فلسفة العلم والإبستمولوجيا، دار الفكر العربي، القاهرة، 2010، ص ص 15-18.

³ بيتر غودفريت، فلسفة العلم: مدخل تاريخي ونقدي، تر: أحمد السيد، دار الشروق، القاهرة، 2015، ص ص 47-52.

غير أن هذا النموذج لم يصمد طويلاً، إذ جاءت الإبستمولوجيا النقدية لتشكك في بساطة هذا التصور. ففي كتابه *منطق الاكتشاف العلمي*، رفض كارل بوبر اعتبار العلم قائماً على التحقق، واقترح بدلاً منه مبدأ "قابلية التفنيد"، حيث النظرية العلمية لا تثبت صحتها، بل تقاوم محاولات دحضها. وفي نظره، كلما صمدت نظرية أمام محاولات التكذيب، كلما زادت قوتها العلمية¹. وهذا ما يبرز الطابع الجدلي للعلم، فهو لا يتقدم بتراكم المعارف، بل بنقدها المستمر.

تطورت الإبستمولوجيا أكثر مع توماس كون الذي أدخل البعد التاريخي إلى فهم العلم. ففي كتابه *بنية الثورات العلمية*، بين أن تطور العلم لا يحدث عبر التراكم، بل عبر ثورات علمية تقلب النموذج السائد رأساً على عقب، محدثة تحولات جذرية في المفاهيم والأدوات. وبهذا، ربط كون بين العلم والتاريخ، مؤكداً أن الجماعات العلمية تتأثر بالسياقات الاجتماعية والثقافية، ما يجعل المعرفة العلمية غير معزولة عن العالم².

وقد ذهب باشلار في نفس الاتجاه، معتبراً أن تاريخ العلم ليس مساراً مستقيماً نحو الحقيقة، بل سلسلة من "القطائع الإبستمولوجية"، حيث تتجاوز كل مرحلة ما قبلها عبر تجاوز أخطائها وأساطيرها. فالعقل العلمي، في نظره، لا يُبنى على بدايات، بل عبر صراع ضد التمثيلات السابقة، مما يجعل التقدم العلمي دائماً ثورياً، ومشحوناً بالصراع المعرفي³.

أما بول فيريابند فقد ذهب إلى حد التشكيك في وجود منهج علمي موحد، وقال في كتابه *ضد المنهج* إن العلم مليء بالفوضى، والتاريخ يثبت أن الاختراقات الكبرى حدثت غالباً ضد القواعد والمنهج. ولذلك اعتبر أن "كل شيء مباح" في سبيل اكتشاف الحقيقة، داعياً إلى تعددية معرفية، ورفضاً للطابع السلطوي للعلم الحديث⁴.

ومع تطور النقاش الإبستمولوجي، بدأت الإبستمولوجيا تنفتح على علوم الإنسان والمجتمع، وأصبحت تساؤل العلاقة بين المعرفة العلمية والقيم، واللغة، والسياق، وحتى الإيديولوجيا. وهذا ما فعله

¹ كارل بوبر، *منطق الاكتشاف العلمي*، تر: محمد عبد السلام، دار الطليعة، بيروت، 2010، ص ص 68-75.

² توماس كون، *بنية الثورات العلمية*، تر: محمد ناصف، دار النهضة العربية، بيروت، 1995، ص ص 45-92.

³ غاستون باشلار، *البنية المنطقية للعلوم التجريبية*، تر: محمد عبد الحفي، دار الطليعة، بيروت، 1973، ص ص 120-157.

⁴ بول فيريابند، *ضد المنهج: تحليل نقدي لأسس البحث العلمي*، تر: أحمد عكاشة، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2002، ص ص 45-78.

ميشال فوكو، الذي تحدّث عن "حفريات المعرفة"، كاشفًا كيف أن أنظمة المعرفة تخضع لما سماه "نظام الخطاب"، وأن العلم ليس بريئًا، بل يتداخل مع السلطة والمعايير الأخلاقية والاجتماعية.¹

هكذا أصبحت الإستيمولوجيا فضاءً مفتوحًا للتفكير النقدي في أسس المعرفة العلمية، من منظور فلسفي وتاريخي واجتماعي. إنها الحقل الذي يقف في التماس بين العلم والفلسفة، بين العقل والنقد، بين الحقيقة والممكن. وهي، بفضل هذا الموقع، الأكثر أهلية اليوم لمساءلة ما يحدث في ثورة الذكاء الاصطناعي، وعلاقته بالمعرفة، بالعقل، وبمصير الإنسان نفسه.

ب - من نقد العقل العلمي إلى مساءلة العقل الاصطناعي: تمهيد للانتقال

إن استعراضنا لمسارات الإستيمولوجيا، من جذورها العقلانية مع ديكارت وكانط، إلى منعطفاتها المعاصرة مع بوبر وكون وفوكو، يكشف أن هذا الحقل الفلسفي لم يكن يومًا مجرد تحليل للنظرية أو وصف للمنهج، بل كان على الدوام أداة نقد جذري للعقل نفسه، في علاقته بالواقع، بالمعنى، وبالسلطة. فالإستيمولوجيا لا تدرس فقط كيفية إنتاج المعرفة العلمية، بل تحفر في الأسس العميقة التي تجعل من "المعرفة" ممكنة أصلاً، وتطرح باستمرار السؤال حول من يعرف؟ وكيف نعرف؟ وبماذا نعرف؟، أي أنها تفكك باستمرار المفاهيم المؤسسة للعقل الحديث.

وإذا كانت الإستيمولوجيا قد وُلدت في لحظة صعود العلم الكلاسيكي، كتعبير عن يقظة العقل الأوروبي، فإنها اليوم تواجه لحظة تاريخية مختلفة كليًا: لحظة صعود العقل غير البشري، المتمثل في الذكاء الاصطناعي. وهذا الأخير، بخلاف الأدوات العلمية التقليدية، لا يقدم نتائج فقط، بل يُنتج معرفة، ويتخذ قرارات، ويتعلّم، بل ويطوّر نماذج تفسيرية خاصة به، بشكل قد يجعل منه، في نظر البعض، فاعلاً معرفيًا مستقلًا أو على الأقل شبه فاعل معرفي.

وهنا تطرح الإستيمولوجيا نفسها من جديد، لكن ليس فقط بصفتها نقدًا للعلم، بل كحَكَمٍ فلسفي بين الإنسان وآلته، بين العقل الطبيعي والعقل المصطنع، بين المعرفة القائمة على الوعي والمعنى، وتلك القائمة على المعالجة الرياضية الصورية. فهل يمكن اعتبار المعرفة المنتجة من طرف الخوارزميات علمًا بالمعنى الفلسفي؟ هل يمتلك الذكاء الاصطناعي "موضوعية" أم فقط "فعالية تقنية"؟ وهل يحق لنا أن ننسب إليه "إدراكًا" أو "فهمًا"؟ أم أنه مجرد امتداد لمنطق الأدوات؟

¹ ميشال فوكو، حفريات المعرفة: علم الآثار للعلوم الإنسانية، تر: حسني عبد السلام، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2006، ص ص 23-56.

إن هذه الأسئلة لا تخص فقط اختصاصي التقنية، بل هي في صميم الرهانات الإستيمولوجية المعاصرة، لأنها تعيد طرح القضايا الكبرى التي اشتغلت عليها الفلسفة منذ أفلاطون: الحقيقة، الموضوعية، الذات، العقل، وحدود المعرفة. بل إنها تتطلب منا اليوم أن نُعيد تعريف مفهوم "العقلانية" ذاته، بعدما صار الذكاء الاصطناعي يعيد رسم خريطة الذكاء البشري، ويعيد تشكيل تصوراتنا عن الفهم، والوعي، بل وحتى عن الإنسان.

من هنا، فإن النقاش حول الذكاء الاصطناعي ليس فقط نقاشًا تكنولوجيًا، بل هو، في عمقه، نقاش إستيمولوجي-أنطولوجي بامتياز، يستدعي كل تراث الفكر الفلسفي، ويختبر قدرتنا على مساءلة ما نعتبره بديهياً: من هو العارف؟ وما معنى أن نعرف؟ وهل ما زال الإنسان هو مركز المعرفة كما عهدناه؟ إن هذه التحولات تفرض علينا اليوم، ونحن نطرق عتبة القرن الحادي والعشرين، أن نعيد موضوعة الفلسفة لا كرفيق للعلم فحسب، بل كضرورة قصوى لفهم العلم الجديد، المتمثل في الذكاء الاصطناعي، وما يحمله من وعود ومخاطر، من إمكانيات وتحديات. وهنا بالضبط، تلتقي الإستيمولوجيا من جديد مع الفلسفة العامة، لتفتح باباً جديداً للسؤال: ما مستقبل الفلسفة في ظل الذكاء الاصطناعي؟

المبحث الثالث: التطور التاريخي للذكاء الاصطناعي: من الأحلام الفلسفية إلى الواقع التكنولوجي

منذ فجر الفلسفة لم يتوقف الإنسان عن التساؤل حول طبيعة الذكاء، وحدود العقل، وإمكانات المعرفة، وقد مثلت هذه الأسئلة جوهر المشروع الفلسفي منذ أفلاطون وأرسطو، إلى ديكارت وكانط وهيغل، حيث كان العقل يُعدّ جوهرًا مميزًا للإنسان، ومصدرًا للمعنى، والحقيقة، والسيادة. لكن ما كان يومًا حلمًا فلسفيًا أو تخمينًا ميتافيزيقيًا، أصبح اليوم واقعًا تقنيًا مذهلًا: الآلة لم تعد فقط تنفذ، بل تفكر، تتعلم، تحلل، وتنتج قرارات قد تفوق في بعض الأحيان قدرات العقل البشري.

يعد الذكاء الاصطناعي (AI) واحدًا من أكبر إنجازات الفكر البشري في العصر الحديث، لكنه في الوقت نفسه نتاج تراكم طويل من الأفكار الفلسفية، والمفاهيم العلمية، والابتكارات التقنية. وتعود جذور الذكاء الاصطناعي إلى الخيال الفلسفي الذي طرحه المفكرون القدامى، حيث كانت فكرة خلق كائنات قادرة على التفكير والتعلم من خلال الآلات فكرة تُعتبر من مستحيلات العقل البشري. إلا أن معالم هذا الحلم بدأت تتبلور بشكل أكثر تحديدًا في القرن العشرين، على إثر الانتصارات العلمية الكبرى التي حققتها الفيزياء والرياضيات، وظهور الحواسيب.

أولاً: الأسس الفلسفية والعلمية لنشأة الذكاء الاصطناعي

قبل أن يصبح الذكاء الاصطناعي مجالًا علميًا ملموسًا، كانت الفلسفة تلعب دورًا محوريًا في بلورة الفكرة. إذ يعتبر الفيلسوف الإنجليزي آلان تورينغ (Alan Turing)، في الأربعينيات من القرن العشرين، واحدًا من المؤسسين الرئيسيين لفكرة الذكاء الاصطناعي، من خلال طرحه لمفهوم آلة تورينغ، التي يمكنها محاكاة أي عملية حسابية بشرية. في عام 1950، طرح تورينغ سؤالًا إشكاليًا في مقاله الشهير "Computing Machinery and Intelligence": "هل يمكن للآلات أن تفكر؟"، وهو السؤال الذي شكل حجر الزاوية لفهم العلاقة بين الذكاء البشري والآلات. وقد قدم اختبارًا شهيرًا يُعرف باسم "اختبار تورينغ"، الذي يقيس ما إذا كانت آلة يمكنها تقليد السلوك البشري بما يساوي أو يفوق الإنسان في محادثة معينة. هذا المفهوم لم يكن فقط تحديًا تقنيًا، بل كان في أساسه إشكالية فلسفية تتعلق بالطبيعة الحقيقية للذكاء.¹

ثانيًا: بداية تطور الذكاء الاصطناعي في منتصف القرن العشرين

في الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين، بدأ العلماء والباحثون في العمل على تطوير الأنظمة البرمجية القادرة على تنفيذ مهام محددة كانت تتطلب في السابق التفكير البشري. في هذا السياق، كان جون مكارثي، أحد العلماء المؤسسين لهذا المجال، قد ابتكر في عام 1956 مصطلح "الذكاء

¹ آلان تورينغ، "الآلات الحاسوبية والذكاء"، مجلة مايند، مج 59، ع: 236، 1950، ص ص 433-460.

الاصطناعي" في مؤتمر دارتموث، الذي جمع مجموعة من أبرز العلماء آنذاك. وقد اقترح مكارثي أنه في غضون فترة قصيرة جدًا، ستكون الآلات قادرة على محاكاة الذكاء البشري في مهام متنوعة، بما في ذلك التعلم، والتفكير، واتخاذ القرارات. كما طور في ذلك الوقت أول لغات البرمجة الخاصة بالذكاء الاصطناعي مثل LISP، التي أصبحت من الأسس التقنية لهذا المجال.¹

وقد شهدت هذه الفترة الطفرات الأولى في بناء أنظمة قادرة على محاكاة قدرات بشرية معينة، مثل حل المشكلات (مشكلة الأمثلة الرياضية)، ولعب الشطرنج، وترجمة اللغات. هذه الأنظمة كانت تُعتبر خطوات أولية نحو تطوير الذكاء الاصطناعي الحقيقي، رغم أنها كانت محدودة من حيث القدرات.

ثالثًا: مرحلة "الشتاء" والإحباط في السبعينيات والثمانينيات

ولكن بحلول السبعينيات والثمانينيات، شهد الذكاء الاصطناعي انتكاسة كبيرة، أو ما يُعرف بظاهرة "الشتاء". السبب الرئيسي لهذه الانتكاسة كان عدم قدرة الأنظمة المبكرة على التكيف مع تعقيدات الواقع. فعلى الرغم من الإنجازات التي تم تحقيقها، فقد أظهرت الأنظمة التي تم تطويرها أنها لا تستطيع معالجة المهام المعقدة التي كان الإنسان قادرًا على إنجازها. هذا التراجع في التوقعات أدى إلى انخفاض التمويل، وانخفاض الاهتمام في البحث والتطوير في هذا المجال. كما أن الخوارزميات التي كانت موجودة في تلك الفترة لم تكن قادرة على التعامل مع التغيرات الكبيرة في المعلومات، وكان من الصعب جعل الأنظمة أكثر "ذكاءً" خارج نطاق مهامها المحددة.²

رابعًا: النهضة الحديثة في الذكاء الاصطناعي: التحولات من التسعينيات حتى اليوم

لكن بداية من التسعينيات، بدأ الذكاء الاصطناعي يشهد نهضة جديدة، بفضل التطورات الكبيرة في الحوسبة، وظهور البيانات الضخمة، وابتكار الخوارزميات المتقدمة مثل التعلم العميق (Deep Learning) والتعلم الآلي (Machine Learning). هذه التقنيات مكّنت الآلات من التعلم من البيانات وتحسين أدائها مع الوقت. بفضل هذه الأنظمة، أصبحت الآلات قادرة على التعرف على الأنماط، والتكيف مع المواقف غير المتوقعة، ما جعلها أكثر فعالية في معالجة المهام المعقدة مثل الرؤية الحاسوبية، والتعرف على الصوت، والترجمة الآلية.

¹ جون مكارثي، "ما هو الذكاء الاصطناعي؟"، جامعة ستانفورد، 2007، على الرابط الإلكتروني: <https://stanford.edu/~jmc/whatisai/>، تم الاطلاع عليه في 03 ماي 2025، على الساعة: 10:00.

² ستيفارت راسل وببتر نورفيج، الذكاء الاصطناعي: منهج حديث، ط3، أبر سادل ريفر، نيوجيرسي: برنتيس هول، 2010، ص ص 26-28.

من أبرز المعالم الحديثة في هذا المجال تفوق الأنظمة الذكية على البشر في بعض الأنشطة، مثل لعب الشطرنج، حيث نجح حاسوب "ديب بلو" في عام 1997 في هزيمة بطل الشطرنج العالمي غاري كاسباروف، ولعب Go، حيث تمكن الحاسوب AlphaGo في عام 2016 من الفوز على بطل العالم في اللعبة، وهو ما يعد مقياساً مهماً في القدرة على محاكاة الذكاء البشري. إن هذه التحولات التكنولوجية السريعة قد غيرت تمامًا المفاهيم التقليدية للذكاء والمعرفة.¹

خامساً: الذكاء الاصطناعي اليوم وتحدياته المستقبلية

اليوم، لا يُعد الذكاء الاصطناعي مجرد مجال أكاديمي أو تكنولوجي محصور في مختبرات البحث، بل أصبح جزءاً من الحياة اليومية في شكل تطبيقات الذكاء الاصطناعي المنتشرة في العديد من المجالات: من محركات البحث مثل غوغل، إلى المساعدين الشخصيين مثل سيرى وأليكسا، وصولاً إلى السيارات الذاتية القيادة، والرعاية الصحية، والتمويل، وحتى الفن²، لكن ما يزال هناك العديد من التحديات الفلسفية والإبستمولوجية المرتبطة بمستقبل الذكاء الاصطناعي. أبرز هذه التحديات هو السؤال حول ما إذا كانت الآلات قادرة على تحقيق نوع من "الوعي" أو "الفهم" الذي يمتلكه الإنسان، وكيف يمكن للذكاء الاصطناعي أن يتفاعل مع القيم الأخلاقية³.

إن الحديث عن الذكاء الاصطناعي (Artificial Intelligence) لم يعد مجرد انشغال للمهندسين أو علماء الحاسوب، بل أصبح يمثل تحولاً إبستمولوجياً عميقاً يمس جوهر المعرفة نفسها: من ينتجها؟ وفق أي منطق؟ ولمن تُنسب؟ لقد كسر الذكاء الاصطناعي الثنائية القديمة بين الذات والموضوع، وجعل من "الآلة العارفة" فاعلاً جديداً في منظومة العقل المعاصر، يُزاحم الإنسان في مجالات لطالما ظن أنها حكر عليه: الترجمة، التنبؤ، الإبداع، التفسير، بل وحتى في إنتاج الفرضيات العلمية⁴.

إن أكثر ما يجعل الذكاء الاصطناعي موضوعاً فلسفياً بامتياز هو طبيعته الإشكالية المزدوجة: فهو من جهة ثمرة للعقل البشري، ومن جهة أخرى تحدٍ له، لأنه يعيد طرح السؤال الجوهري: هل الذكاء

¹ ستيوارت راسل وبيتر نورفيج، الذكاء الاصطناعي: منهج حديث، ط3، أبر سادل ريفر، نيوجيرسي: برنتيس هول، 2010، ص ص 310-315.

² نيك بوستروم، الذكاء الخارق: المسارات، المخاطر، والاستراتيجيات، مطبعة جامعة أوكسفورد، أوكسفورد، 2014، ص 19.

³ مارغريت بودن، الذكاء الاصطناعي: طبيعته ومستقبله، مطبعة جامعة أوكسفورد، أوكسفورد، 2016، ص ص 57-60.

⁴ عبد الله بن عبد الرحمن العجلان، "الذكاء الاصطناعي والإشكاليات الفلسفية: من سؤال الإمكان إلى سؤال الأثر"، مجلة الكلية الجامعية بالجموم، ع: 12، 2023، ص ص 122-124.

الاصطناعي مجرد امتداد للأداة؟ أم هو بداية كينونة معرفية جديدة، مستقلة، قادرة على إعادة تعريف العقل نفسه؟¹

لقد حوّل الذكاء الاصطناعي النظرة إلى المعرفة من كونها محصورة في الذات العارفة الواعية، إلى كونها ممكنة من خلال الأنظمة الخوارزمية التي لا تعي ما تفعل، لكنها تحقق نتائج معرفية فعالة. وهذا التحول لا يمس فقط العلوم التطبيقية، بل يهزّ أسس الفلسفة، ويطرح تحديات كبرى على الإبستمولوجيا التي لطالما افترضت أن المعرفة تمرّ عبر الذات، الوعي، والنية.²

من هذا المنطلق، فإن دراسة الذكاء الاصطناعي لا يمكن أن تُفهم فقط كمسار تقني، بل يجب أن تُدرج داخل مسار فكري أوسع، يُعيد مساءلة مفاهيم مثل: العقل، الفهم، الإدراك، الذات، والمعنى. فهل يمكن للآلة أن تعي؟ أن تفهم؟ أن تُبدع؟ وهل الذكاء الاصطناعي هو فقط "ذكاء بلا وعي"، أم هو تمهيد لعصر تتفوق فيه "الأنظمة غير الواعية" على الإدراك البشري؟

إن هذه التساؤلات، وغيرها، ستقودنا في الفقرات التالية إلى الغوص في نشأة الذكاء الاصطناعي، تطوره، وموقعه داخل الحقل الفلسفي، لنكتشف كيف أصبح الفكر الإنساني اليوم مضطراً إلى التفكير في نفسه من خارج نفسه، أي من خلال مرايا اصطناعية، قد تعكسه، أو قد تشوّهه.

¹ هوبرترديافوس، ما زالت الحواسيب لا تستطيع فعله: نقد للعقل الاصطناعي، مطبعة معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا، كامبريدج، ماساتشوستس، 1992، ص ص 101-103.

² جان غابرييل جاناسيا، "إبستمولوجيا الذكاء الاصطناعي"، مجلة العقول والآلات، مج 27، ع 3، 2007، ص 20.

الفصل الثاني: "الفلسفة في عصر العلم والتكنولوجيا"

تمهيد:

عرفت الفلسفة منذ نشأتها الأولى باعتبارها خطابًا عقلائيًا يسعى إلى إدراك الحقيقة وتأمل الوجود الإنساني في مختلف مظاهره، بدءًا من الطبيعة ووصولًا إلى العقل واللغة والمجتمع، غير أن هذا الخطاب الفلسفي لم يكن يومًا منفصلًا عن المعطيات المادية والواقعية وظروف عصره، بل ظل دائمًا في حالة تفاعل وتوتر مع مختلف التغيرات والتطورات العلمية والتقنية التي عرفتها الإنسانية في كل مرحلة من مراحلها. وفي هذا السياق، يطرح عصر العلم والتكنولوجيا الحديثة – الذي يتسم بسرعة تطور العلم ونتائجه، وما نتج عنه من تطور تكنولوجي الذي أفرز الثورة الرقمية و الذكاء الاصطناعي، وتنامي الاعتماد على تحولات الثورة الرقمية وتطبيقات الذكاء الاصطناعي – تحديات جديدة للفكر الفلسفي، ويدفعه إلى إعادة النظر في مفاهيمه الكلاسيكية، بل وقدرته على الاستمرار كمرجعية تأملية ونقدية في عالم تحكمه الآلة والخوارزميات ومختلف البرمجيات.

لقد أصبحت التكنولوجيا المعاصرة لا تقتصر على كونها أدوات في خدمة الإنسان، بل صارت بنى شاملة تؤثر في طرائق التفكير، وفي العلاقات الاجتماعية، وفي ماهية الوعي نفسه. وبفعل هذا التحول العميق، لم تعد الفلسفة قادرة على تجاهل الأسئلة التي تطرحها التقنية، سواء تعلّق الأمر بمكانة الإنسان في ظل الأتمتة، أو بمفهوم الحرية في زمن الذكاء الاصطناعي، أو حتى بإعادة صياغة معنى العقل والمعرفة والأخلاق. فالعلاقة بين الفلسفة والعلم والتكنولوجيا، إذن، لم تعد علاقة خارجية أو هامشية، بل غدت ضرورة معرفية تدفع إلى التساؤل عن مصير الإنسان في ظل هذه التحولات فغدت حتمية فلسفية، تتساءل حتى عن مستقبل الفلسفة في عالم الرقمنة والروبوتات التي أصبحت تقوم بمهام من اختصاص الإنسان حتى على مستوى الفكر والمعرفة.

ويندرج هذا الفصل في إطار استكشاف هذه العلاقة المركّبة بين الفلسفة والثورات العلمية والتحولات التكنولوجية، من خلال ثلاث مباحث أساسية:

- المبحث الأول، يتناول علاقة الفلسفة بالعلم، وكيف يمكن للفكر الفلسفي أن يواكب مسيرة العلم دون أن يفقد هويته التأملية والنقدية.
- المبحث الثاني، يتعمق في علاقة الفلسفة بالتقنية، من خلال مساءلة التطبيقات العلمية والتكنولوجية التي غيّرت بنية الحياة الإنسانية، وما أفرزته من إشكالات أخلاقية وإنسانية.
- المبحث الثالث، يبحث في "التكنولوجيا والمشكلات الفلسفية"، عبر الوقوف عند الأبعاد المعرفية والوجودية والأخلاقية التي تطرحها التكنولوجيا الحديثة، وخاصة الذكاء الاصطناعي، وأثرها في بنية التفكير الفلسفي المعاصر.

إنّ هذا الفصل لا يسعى إلى تمجيد الفلسفة أو الدفاع عنها بطريقة تقليدية، كما لا يهدف إلى إدانة التطورات العلمية والتكنولوجية أو معاداتها، بل يرمي إلى مساءلة جدلية بين المجالين، تهدف إلى توضيح كيف يمكن للفلسفة أن تظل ذات راهنية، (الفلسفة والراهن)، بل ضرورة في عصر يُعاد فيه تعريف الإنسان ذاته على ضوء تقنيات لا تكف عن التوسع والاختراق.

من هنا، تبرز أهمية هذا الفصل في الكشف عن الإمكانيات النقدية والتوجيهية للفكر الفلسفي، من خلال إعادة صياغة العلاقة بين الإنسان والعلم، وبين القيم والتقنية، وبين المستقبل والهوية. فهل بإمكان الفلسفة أن تواكب عصر الذكاء الاصطناعي دون أن تفقد معناها وجدواها؟ وهل ما زالت تملك القدرة على مساءلة حدود المعرفة التقنية، وتوجيهها نحو إنسانية أكثر عدالة وكرامة؟ هذه هي الأسئلة التي سيحاول هذا الفصل معالجتها، ضمن مسار نقدي وتحليلي يجمع بين العمق الفلسفي والانفتاح على مستجدات العصر.

المبحث الأول : العلاقة بين الفلسفة والعلم

يُعتبر العلم من أكثر مجالات المعرفة تطوراً في العصر الحديث، لما يتمتع به من قدرة على تقديم تفسيرات علمية دقيقة للظواهر الطبيعية وتوفير حلول تقنية لمشاكل الإنسان. غير أن هذه النجاحات تخفي خلفها حدوداً عميقة لا يمكن تجاوزها إلا من خلال التفكير الفلسفي. فالعلم، بمنهجه التجريبي والرياضي، لا يستطيع أن يفارق مجاله الطبيعي و يجب عن الأسئلة الميتافيزيقية والأخلاقية التي تتعلق بالوجود والمعنى والقيم. كالتساؤل عن سبب وجود الكون، أو عن الغاية من الحياة، أو عن طبيعة الخير والشر، هي أسئلة ذات دلالة ميتافيزيقية تتجاوز قدرات العلم وتدخل في صميم الحقل الفلسفي التأملي. ولتبسط حيثيات طبيعة العلاقة أو التماثل بين العلم كقوانين ونظريات وبين الفلسفة كتساؤل وحالة من الشك والتأمل حددنا جملة من النقاط التي يجب تحليلها ومناقشتها لتحديد طبيعة العلاقة

1- حدود العلم وأسئلته الفلسفية

يُعتبر العلم من أكثر مجالات المعرفة تطوراً في العصر الحديث، لما يتمتع به من قدرة على تقديم تفسيرات دقيقة للظواهر الطبيعية وتوفير حلول تقنية لمشاكل الإنسان. غير أن هذه النجاحات تخفي خلفها حدوداً عميقة لا يمكن تجاوزها إلا من خلال التفكير الفلسفي. فالعلم، بمنهجه التجريبي والرياضي، لا يستطيع أن يجيب عن الأسئلة الميتافيزيقية والأخلاقية التي تتعلق بالوجود والمعنى والقيم. إن السؤال عن سبب وجود الكون، أو عن الغاية من الحياة، أو عن طبيعة الخير والشر، هي أسئلة تتجاوز قدرات العلم وتدخل في صميم الحقل الفلسفي.

وقد نبه فلاسفة العلم إلى هذه الإشكالية، ف "كارل بوبر (Karl Popper)" أكد أن ما يميز الفلسفة عن العلم هو أنها تطرح أسئلة لا يمكن حسمها تجريبياً، لكنها ضرورية لفهم الإطار العام الذي يعمل ضمنه العلم¹، وهذا يعني أن الفلسفة لا تقف على هامش العلم، بل تمثل جزءاً من بنيته التحتية، حيث تزوده بالإطار المفاهيمي والنقدي الذي يحتاجه لتبرير مناهجه ونتائجه¹.

فمثلاً، عندما يفسر العلم نشأة الكون عبر نظرية الانفجار العظيم، فإنه لا يوضح لماذا حدث هذا الانفجار، ولا لماذا توجد قوانين طبيعية أصلاً. هذه التساؤلات تقع في قلب التفكير الفلسفي. كذلك، عندما يطرح العلم نظريات عن الذكاء الاصطناعي أو عن التطور البيولوجي، فإن الفلسفة تتدخل لتتساءل عن الأسس الأنطولوجية والمعرفية والأخلاقية لهذه التصورات.

¹ كارل بوبر، منطق الكشف/العلمي، تر: كمال التابعي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1995، ص 14

ومن جهة أخرى، تظهر حدود العلم في عجزه عن تقديم إجابات نهائية. فالعلم يتغير ويتطور، وما يُعتبر اليوم حقيقة علمية قد يُستبدل غداً بنظرية جديدة. هذه الطبيعة الديناميكية للعلم تجعل الفلسفة ضرورة لا غنى عنها لتأطير هذا التحول المستمر¹، ولطرح الأسئلة حول ماهية التقدم، وحقيقة المعرفة، وقيمة ما نكتشفه. وهكذا، تبرز الفلسفة كمرآة تعكس للعلم حدوده، وتدعوه إلى التواضع والوعي بشروطه المعرفية.

إن العلم في حد ذاته لا يسعى إلى المعنى؛ بل يهتم بالكيفية، بينما تتولى الفلسفة التساؤل عن الغاية والسبب والمآل. ومن دون هذا التكامل، يصبح العلم مجرد أداة تقنية غير موجهة، قابلة للاستخدام في الخير أو الشر على حد سواء. لذلك، فإن حضور الفلسفة يظل أساسياً في ضبط مسيرة العلم وتحديد وجهته الأخلاقية والأنطولوجية².

2- الإبستمولوجيا كجسر بين الفلسفة والعلم

تُعد الإبستمولوجيا - أو نظرية المعرفة (العلمية) كما يسميها البعض - الوسيط النقدي بين الفلسفة والعلم، حيث تتساءل عن شروط المعرفة العلمية، ومبادئها ومناهجها، وقيمتها، حيث لا تكتفي بوصف المناهج، بل تطرح أسئلة حول: كيف نعرف أن ما نعرفه علمي؟ ما حدود المنهج العلمي؟ ما مدى صدق وموضوعية النتائج العلمية؟

لقد كانت الإبستمولوجيا منذ نشأتها ميداناً خصباً للتفاعل والتكامل بين المقاربات الفلسفية والتطبيقات العلمية. فهي الحقل الذي يتعامل مع المفاهيم الأساسية التي تشكل بنية العلم ذاته: كالبرهان، التفسير، التجريب، الفرضية، والنظرية، ومن خلال هذا التفاعل، تؤدي الإبستمولوجيا دوراً حاسماً في الكشف عن الطابع التاريخي والمعياري للعلم.

فالعلم لا يتحرك في فراغ مفاهيمي، بل ضمن شروط معرفية تتطلب مساءلة معرفية نقدية دائمة، وهو ما تضطلع به الإبستمولوجيا. وقد أشار (غاستون باشلار) إلى هذه الفكرة حين قال " إن المعرفة العلمية تمر بتحويلات وانقطاعات وليست مجرد تراكمات، بل تُبنى من خلال الصراع مع التمثلات السابقة³. وبهذا المعنى، تصبح الإبستمولوجيا أداة لتحليل كيفية نشأة المفاهيم العلمية وتطورها، وتحقيق الوعي التاريخي والنقدي حول طبيعة المعرفة العلمية.

¹ كارل بوبر، منطق الكشف العلمي، المرجع السابق، ص 14.

² المرجع نفسه، ص 14.

⁽³⁾ -غاستون باشلار، تكوين العقل العلمي، ترجمة خليل أحمد خليل، بيروت: دار الطليعة، 1984، ص 10

كما أن الإستيمولوجيا تُساعد في تحديد معايير التمييز بين العلم والزيغ العلمي، أو بين العلم واللاعلم بتعبير (كارل بوبر) أو بين المعرفة الموثوقة والادعاءات غير العلمية، من خلال تحليل أسس الدقة والصرامة المنهجية. وهي بذلك تُسهم في تأسيس الوعي النقدي الذي يحصّن المجتمعات من السقوط في مغالطات العلموية أو النزعة التقنية المطلقة.

وقد تطورت الإستيمولوجيا لتشمل مقاربات متعددة، من بينها الإستيمولوجيا الاجتماعية التي تؤكد أن إنتاج المعرفة لا يتم بمعزل عن السياقات الاجتماعية والثقافية¹، مما يربط بين الفلسفة والعلم من جهة، والمجتمع من جهة أخرى، وهو ما يعزز من أهمية التفكير الفلسفي في توجيه البحث العلمي. وعلى هذا الأساس، فإن الإستيمولوجيا لا تدرس العلم من الخارج فقط، بل تُمارس نقدًا داخليًا يهدف إلى فهم آليات بناء المعرفة، وتقييم أدواتها، وتسلط الضوء على حدودها. وهذا ما يجعلها الجسر الحقيقي بين الفلسفة والعلم، بل ويمكن القول إنها تمثل أرضية مشتركة يلتقي فيها المفكر التجريبي بالفيلسوف التأملي.

3- من النزعة الوضعية إلى فلسفة ما بعد العلم

سادت خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين نزعة فلسفية تُعرف باسم الوضعية، وكان من أبرز ممثليها (أوغست كونت، وهيكلم، وهيربرت سبنسر)، حيث دعت هذه النزعة إلى حصر المعرفة العلمية فيما هو تجريبي ولملموس، ورفضت أي تأملات ميتافيزيقية باعتبارها غير ذات معنى. وقد رأت أن العلم وحده قادر على تفسير الظواهر وفهم العالم، ما أدى إلى نوع من "القطيعة" بين الفلسفة والعلم.

غير أن هذه النزعة سرعان ما واجهت تحديات معرفية كبرى، خاصة بعد تطور الفيزياء الحديثة والنتائج المعقدة لنظرية النسبية وميكانيكا الكم، حيث لم تعد التفسيرات الوضعية كافية لفهم الظواهر الدقيقة، وظهر أن المفاهيم العلمية نفسها تحتاج إلى مراجعة فلسفية. كما بيّنت المدرسة التفكيكية وما بعد الحداثة أن كل معرفة، بما في ذلك العلمية، مشروطة بلغة وسياقات ثقافية وفكرية، مما أعاد للفلسفة دورها النقدي في فهم طبيعة المعرفة.

وقد عبّر (توماس كون) في كتابه "بنية الثورات العلمية" عن هذا التحول حين أشار إلى أن تطور العلم لا يسير وفق مسار تراكمي أو خطية تراكمية كما تزعم الوضعية، بل عبر ثورات وانقطاعات

¹-Sandra Harding, *The Science Question in Feminism* (Ithaca, NY: Cornell University Press, 1986), p 29.

مفاهيمية¹، وبذلك، ظهرت فلسفة ما بعد العلم، وهي الفلسفة التي لا تكتفي بتأمل العلم من الخارج، بل تنخرط معه في نقده وتفكيكه ومساءلة مفاهيمه الأساسية.

ويُعد هذا التحول بمثابة إعادة الاعتبار للدور الفلسفي في التأمل في بنية المعرفة العلمية، ومعنى الحقيقة، وحدود العقلانية العلمية. فبدلاً من تقديم العلم على أنه الحقيقة المطلقة، بات يُنظر إليه كنتاج بشري خاضع للتاريخ، وللتحولات الثقافية والاجتماعية. وقد أدى ذلك إلى نشوء فروع جديدة مثل فلسفة العلم الاجتماعية، وفلسفة التكنولوجيا، التي تؤكد على أن العلم لا يمكن فصله عن البنى السياسية والأخلاقية والثقافية.

وهكذا، فإن الانتقال من النزعة الوضعية إلى فلسفة ما بعد العلم يمثل عودة الروح للعلاقة بين الفلسفة والعلوم، بعد أن كاد الطابع التجريبي الصارم يقصي الفلسفة خارج دائرة التأثير. بل إن ما بعد الوضعية أظهرت أن العلم نفسه يتطلب فلسفة لتأويل نتائجه وتحديد معانيه، ما يعزز من ضرورة التكامل بينهم.

4- الفلسفة ومسألة أخلاقية العلم

من أبرز التحديات التي واجهت العلم في العصر الحديث هي مسألة التحييد الأخلاقي، إذ اعتبر العلم محايداً بطبيعته، لا يهتم إلا بما هو كائن دون النظر إلى ما ينبغي أن يكون. ومع التقدم التكنولوجي والصناعي المتسارع، بات واضحاً أن هذا الحياد المزعوم لا يُعفي العلم من نتائجه، خصوصاً حين تُستخدم المعرفة العلمية في تطوير أسلحة الدمار الشامل، أو في انتهاك الخصوصية، أو في تطبيقات تمييزية وعنصرية. هنا تتدخل الفلسفة بوصفها الضمير الأخلاقي للعلم، لتتساءل ليس فقط عن النتائج والوسائل، بل أيضاً عن الغايات والتوظيف ومسألة تطبيق واستخدام النتائج العلمية.

فالعلم الحديث أصبح يمتلك قدرة هائلة على التأثير في الحياة الإنسانية، لكنه يفتقر إلى البوصلة الأخلاقية التي توجه هذا التأثير. من هنا، برز دور الفلسفة كحقل تأملي قادر على توجيه استخدامات العلم وتقويم نتائجه من منظور إنساني وقيمي. وقد أشار (هانز يونس) في كتابه "مبدأ المسؤولية" إلى الحاجة إلى أخلاقيات جديدة تتناسب مع القدرة التقنية المعاصرة، وهي أخلاقيات لا تنبع من العلم نفسه، بل من الفلسفة الأخلاقية التي تُعلي من قيمة الإنسان².

¹-Thomas Kuhn, *The Structure of Scientific Revolutions* (Chicago: University of Chicago Press, 1962), p 10.

²-Hans Jonas, *The Imperative of Responsibility: In Search of an Ethics for the Technological Age* (Chicago: University of Chicago Press, 1984), p 7.

وفي هذا السياق، فإن الفلسفة تسهم في طرح أسئلة من قبيل: هل كل ما يمكن تحقيقه علميًا يجب أن نحققه في حياة البشر؟ ما حدود التدخل في الطبيعة أو في الجينات البشرية؟ ما هي المعايير التي تحكم القرارات العلمية ذات الأثر المجتمعي؟ هذه الأسئلة لا يمكن للعلم وحده أن يجيب عنها دون خلفية فلسفية وأخلاقية، بمعنى أن العلم يبقى في حاجة إلى إتيقا (قيم أخلاقية ومبادئ سامية) كما أن الفلسفة تساعد على توسيع الأفق الأخلاقي للعلماء وصنّاع القرار، بحيث لا يقتصر التفكير على الفائدة التقنية أو الربح الاقتصادي، بل يشمل كذلك الكرامة الإنسانية، والعدالة، وحقوق الأجيال القادمة. وهذا ما يجعل الفلسفة ضرورة وجودية في عالم تسيره التكنولوجيا والعلم، لكنها لا تضمن دائمًا الخير أو العدالة.

وقد دعا الفيلسوف المعاصر (يورغن هابرماس) إلى تأسيس نوع من "العقل التواصلي" الذي يُدمج المعرفة العلمية بالمداورات الأخلاقية والاجتماعية، بما يسمح بدمج الخبرة العلمية ضمن أفق القيم الإنسانية والديمقراطية¹. فالفلسفة، من هذا المنظور، لا تعارض العلم، بل تمنحه بعده الإنساني وتمنع انزلاقه نحو التثبيء أو التوظيف الأيديولوجي.

إن الحاجة إلى الفلسفة الأخلاقية تتعاظم في عصر الذكاء الاصطناعي والتكنولوجيا الحيوية، حيث لم يعد الخطر مقتصرًا على الآلات، بل امتد إلى قلب الإنسان نفسه، في جيناته وهويته وكرامته. وهنا يصبح صوت الفلسفة الأخلاقي بمثابة التحذير العقلاني من مغبة التقدم الأعلى، وضرورة الموازنة بين الإبداع العلمي والمصلحة البشرية.

ولا يقتصر الدور الأخلاقي للفلسفة على التوجيه، بل يشمل أيضًا النقد والكشف، أي أنها تمارس دورًا رقابيًّا على العلم، تكشف فيه الأبعاد المستترة أو المسكوت عنها، مثل الأبعاد السياسية أو الاقتصادية أو الإيديولوجية التي قد تحكم التوجهات العلمية. فكما يحذر بول فينغر من "أسطورة العلم"، فإن الفلسفة تُعيد للعلم موقعه كمنتج اجتماعي-تاريخي قابل للنقد والتقويم².

وعليه، فإن حضور الفلسفة كموجه أخلاقي ليس رفاهًا فكريًّا، بل هو ضرورة لضمان الاستخدام الإنساني والمسؤول للعلم. وهذا الحضور يجب أن يُكرس في السياسات العلمية، وفي تعليم العلوم، وفي خطاب الإعلام العلمي، حتى لا يتحول العلم إلى أداة عمياء تقود العالم نحو الكارثة باسم التقدم.

¹-يورغن هابرماس، العقلانية التواصلية ونقد المجتمع، ترجمة سعيد الغانمي، بيروت: المركز الثقافي العربي، 2002، ص 45.

²-Paul Feyerabend, *Science in a Free Society*, London: NLB, 1978, p. 90.

5- الفلسفة والتكامل بين العلوم: (العلوم البيئية)

في ظل التخصص المتزايد للعلوم الحديثة، واجه الفكر الإنساني تحدياً معرفياً أساسياً يتمثل في خطر التفتت المعرفي وفقدان الرؤية الشمولية. فقد أصبحت المعارف تتجه إلى التجزئة والتخصص الدقيق، ما أدى إلى تعقيد الفهم الشامل للعالم والإنسان. هنا تبرز الفلسفة كقوة جامعة، تسعى إلى إعادة بناء الجسور بين مختلف الحقول المعرفية من خلال تقديم إطار نقدي ومفاهيمي يسمح بربط الأجزاء بالكل.

لقد أدرك فلاسفة مثل (إدغار موران) Edgar Morin أهمية الفلسفة في تجاوز هذا التفتت، حيث دعا إلى "تفكير مركب" (La pensée complexe) "يجمع بين المعارف بدل أن يعزلها، ويعيد للإنسان قدرته على التأمل في معاني الكليات بدل التورط في تفاصيل التقنيات فقط".¹

هذا ما يجعل الفلسفة ضرورية لفهم الترابط بين نتائج العلوم وتأثيراتها على مستوى القيم، والسياسة، والبيئة، والمصير الإنساني.

كما أن الفلسفة لا تسعى إلى السيطرة على باقي المعارف، بل تقترح حواراً نقدياً بينها، من أجل تكوين وعي معرفي شامل. فالمعرفة العلمية، رغم دقتها وصرامتها، لا تستطيع وحدها تقديم أجوبة على أسئلة المصير، والغاية، والمعنى، أو ما أصبح يعرف بالعلوم البيئية، وهنا تتكامل مع الفلسفة التي تسأل: ما مغزى هذا التقدم؟ وإلى أين نمضي؟

إن الفلسفة، من خلال مقاربتها التأويلية والنقدية، تحرر العقل من النزعة الاختزالية، وتساعد على إدراك العلاقات المتشابكة بين الطبيعة والمجتمع، بين التقنية والثقافة، بين الفرد والكون. ومن دون هذا التكامل، تغدو العلوم أدوات وظيفية فحسب، تخدم غايات قصيرة المدى قد تتعارض مع المصلحة الإنسانية الأشمل.

وقد أشار (بول ريكور) إلى أهمية ما سَمَّاه "القراءة التأويلية للعلم" التي تمكّن الفلسفة من استعادة معناها في عصر العلم، من خلال مساهمتها في فهم دلالات التحولات المعرفية وليس فقط وصفها² فالفلسفة بذلك لا تقف على هامش العلوم، بل تشارك في تعميق فهمها وتوجيه نتائجها نحو أفق إنساني أرحب.

¹-Edgar Morin, *La Méthode 6. Éthique*, Paris: Seuil, 2004, p. 22.

²-Paul Ricoeur, *Du texte à l'action: Essais d'herméneutique II*, Paris: Seuil, 1986, p. 327.

وعليه، فإن الفلسفة في عصر العلم لا تكتفي بمرافقة العلم نقدياً أو أخلاقياً، بل تسهم كذلك في تحقيق وحدة المعنى وسط تعددية التخصصات، فتغدو بذلك شرطاً ضرورياً لتكوين معرفة إنسانية متكاملة، قادرة على مواجهة تحديات العصر في شتى الميادين.

6- القيمة الاستيمولوجية في نقد مناهج العلم ونتائجه :

لا تقف الفلسفة موقف المتفرج من العلم، بل تمارس دوراً نقدياً عميقاً تجاه مناهجه ونتائجه، محاولة كشف ما يتوارى خلف دقة المعادلات أو صرامة المناهج. فالفكر الفلسفي لا ينظر إلى المنهج العلمي على أنه معطى نهائي لا يقبل النقاش، بل يعتبره بناءً تاريخياً قابلاً للنقد والمراجعة. لقد أبانت الفلسفة، خاصة مع فلاسفة العلم المعاصرين، عن أن المنهج العلمي لا يخلو من الافتراضات المسبقة، ومن الرؤى الميتافيزيقية التي تشكل رؤيتنا للعالم.

إذا كان العلم الحديث قد تميز بالمنهجية الصارمة والتجريبية الدقيقة، فإن هذه المزايا لا تلغي محدوديته ولا تعفيه من المراجعة النقدية. وهنا تظهر الفلسفة كفاعل لا غنى عنه، إذ إنها تمارس دوراً نقدياً مزدوجاً: فهي من جهة تحلل مناهج البحث العلمي وتعيد مساءلتها، ومن جهة أخرى تتأمل في نتائج العلم وانعكاساتها على الوعي والمعنى والواقع الإنساني.

لقد أظهر تاريخ العلم أن ما يُعتبر "حقائق علمية" ليس دائماً نهائياً أو معصوماً من الخطأ. بل إن تطور العلم ذاته ارتكز في كثير من الأحيان على نقد داخلي وخارجي لمناهجه ومفاهيمه. وقد كانت الفلسفة، خصوصاً الاستيمولوجيا، من أبرز القوى التي دفعت بهذا النقد. فقد شكّل عمل غاستون باشلار مثلاً واضحاً على ذلك، حين أكد أن المعرفة العلمية لا تتقدم إلا عبر "قطائع إستيمولوجية" تفكك التصورات السابقة وتعيد بناء المفاهيم على أسس جديدة¹.

إن هذا النقد الفلسفي لا يقتصر على المنهج التجريبي وحده، بل يمتد إلى الأسس اللغوية والمنطقية التي يُبنى عليها الخطاب العلمي. ففلاسفة مثل فتجنشتاين في مرحلته الثانية وجيل دولوز لاحقاً، أثاروا أسئلة حول حدود اللغة العلمية وعمّا إذا كانت قادرة على تمثيل الواقع بشكل كاف، أو ما إذا كانت تعيد إنتاجه وفق شبكة مفاهيمية مغلقة تحجب جوانب من الوجود الإنساني والمعياري².

ومن جهة أخرى، تتدخل الفلسفة لتفكيك الأوهام المرتبطة بنتائج العلم. فالعلم، وإن كان قادراً على تفسير الظواهر الطبيعية وتقديم حلول تقنية لمشكلات متعددة، فإنه لا يملك المعايير الأخلاقية أو

¹-Gaston Bachelard, La formation de l'esprit scientifique, Paris: Vrin, 1938, p. 15.

²-Ludwig Wittgenstein, Philosophical Investigations, Oxford: Blackwell, 1953. p.12

القيمة التي تحدد كيفية استعمال هذه الحلول. ولهذا فإن التقدم العلمي قد يؤدي - كما في حالة الأسلحة النووية أو تقنيات المراقبة البيولوجية - إلى نتائج كارثية على الإنسانية، ما لم يُصَحَّب بمساءلة فلسفية تقيم النتائج وتُحَكِّم الضمير الإنساني في مسارها.

وقد نبّه (هانس يوناس) إلى هذا الخطر حين دعا إلى "أخلاق من أجل المستقبل" تأخذ بعين الاعتبار عواقب أفعالنا العلمية على الأجيال القادمة والبيئة والطبيعة، وهي أخلاق لا يمكن للعلم وحده أن يؤسسها¹، فالعلم يملك القدرة على الفعل، لكن لا يملك الحكمة الكافية لتحديد ما يجب فعله. وهنا تأتي الفلسفة لتملأ هذا الفراغ المعياري وتعيد توجيه المعرفة نحو غايات إنسانية.

وعلاوة على ذلك، فإن الفلسفة تسهم في مساءلة التصورات الكونية التي تنتجها العلوم. فمثلاً، هل ما نعتبره "واقعاً" في الفيزياء الحديثة - ميكانيكا الكم والنسبية - يعكس الواقع كما هو، أم هو مجرد تمثيل رياضي مقبول وظيفياً؟ هذا السؤال، الذي لا يستطيع العلم الإجابة عنه وحده، يجد في الفلسفة أفقاً تأملياً يسمح بفهم طبيعة العلاقة بين النموذج والواقع، بين التجريب والتصور، بين الواقع الموضوعي والذات العارفة.

ولا يقتصر دور الفلسفة هنا على تأمل النتائج فحسب، بل يمتد إلى مساءلة الأسس العميقة التي يُبنى عليها العلم، كفكرة الموضوعية، والتجريب، والتكرار، والسببية. وقد أظهرت فلسفات ما بعد الحداثة - مثل فلسفة ميشيل فوكو وبول فايرابند - أن العلم لا ينفصل عن السلطة ولا عن الخطابات المهيمنة، وأن ما نعتبره معرفة محايدة قد يكون محملاً بإيديولوجيات خفية توجه مسارات البحث وتحد من تنوع المناهج. وقد ذهب (بول فايرابند) Paul Feyerabend إلى القول إن المنهج العلمي ليس واحداً، وإن التعدد المنهجي هو الطريق الأنجع لتقدم المعرفة². أو كما يسميه البعض باللامنهج أو الفوضوية.

إن القيمة الفلسفية في نقد العلم تكمن إذًا في قدرتها على تحرير العقل من وهم الحياد المطلق، وعلى دفع التفكير نحو تعددية خصبة تأخذ بعين الاعتبار أبعاد الإنسان والبيئة والمعنى، فالعلم من دون نقد فلسفي قد يتحول إلى أداة منفصلة عن الغايات الإنسانية، بل قد يتحول إلى تهديد. أما حين يقترن بالوعي الفلسفي، فإنه يجد طريقه إلى التوازن والمسؤولية.

وهكذا فإن الفلسفة، من خلال النقد الإبيستيمولوجي، تعمل على تعرية البنية المعرفية للعلم، وتبيان حدود ادعاءاته بالحياد والموضوعية. فالعلم ليس ممارسة تقنية فحسب، بل هو مشروع إنساني

¹-Ludwig Wittgenstein, Philosophical Investigations, Oxford: Blackwell, 1953. p.12

²-Paul Feyerabend, Against Method, London: Verso, 1975, p. 23

يحمل في طياته قيمًا واختيارات وتحيزات. هذا ما يؤكد إيان هاكينغ حين يشير إلى أن «العلم ليس فقط تمثيلاً للعالم، بل هو أيضاً تدخل في هذا العالم»⁽¹⁾، ومن هذا المنطلق، تصبح الفلسفة ضرورة لا غنى عنها لضمان اتساق العلم مع القيم الإنسانية والمعايير العقلانية.

¹-Ian Hacking, *Representing and Intervening: Introductory Topics in the Philosophy of Natural Science* (Cambridge: Cambridge University Press, 1983), p-27–45.

المبحث الثاني: الفلسفة والتقنية – تطبيقات العلم والمشكلات التي أفرزتها التقنية

إنَّ العلاقة بين الفلسفة والتقنية علاقة متشابكة ومعقدة، بدأت منذ اللحظة التي تحوّل فيها الإنسان من مجرد متأمّل في الطبيعة إلى فاعل فيها ومؤثر على مجرياتها عبر أدواته ومخترعاته. وقد شهد القرن العشرون، ومعها الحادي والعشرون، قفزات هائلة في تطور التقنيات، سواء في مجالات الطب، الإعلام، النقل، الذكاء الاصطناعي، أو حتى في الحياة اليومية، مما أدى إلى بروز إشكاليات جديدة تستوجب قراءة فلسفية متأنية. لم تعد التقنية مجرد "وسيلة" بل غدت "قوة" تُعيد تشكيل العالم والإنسان معاً، وهو ما يفرض على الفلسفة واجب مساءلتها وتحليل أبعادها الأخلاقية، الوجودية، والإبستمولوجية. انطلاقاً من هذا السياق، يسعى هذا المبحث إلى تحليل علاقة الفلسفة بالتقنية من زوايا متعددة، أبرزها: التقنية كامتداد للعلم، وتحولها من وسيلة إلى سلطة، وتأثيرها على مفهوم الإنسان، وعلى طبيعة العقل والوعي، مع التطرق إلى المخاطر التي أفرزتها على مستوى الحريات والقيم الإنسانية

1- التقنية كامتداد للعلم: من الاكتشاف إلى التطبيق

لم تعد التقنية مجرد تفاعل مع العالم الطبيعي، بل أصبحت مكوّناً من مكونات الوجود في القرن العشرين، أصبحت التقنية أكثر من مجرد أدوات تُستخدم لتسهيل الحياة اليومية؛ لقد تحولت إلى مجال يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالاكتشافات العلمية ويشكل في كثير من الأحيان تجسيداً مباشراً لتلك الاكتشافات. الفكرة الأساسية البشري، وهي لا تقتصر على كونها تطبيقاً للعلم، بل أصبحت أداة تُحوّل المعرفة إلى ممارسات يومية ملموسة.¹

• التطور التاريخي للتقنية :

منذ بداية العصر الحديث، شهدت البشرية تطوراً متسارعاً في حقل العلوم التطبيقية، حيث بدأ العلم في إعطاء الأجوبة التي يمكن تطبيقها في الحياة العملية. في العصور القديمة، كانت التكنولوجيا عبارة عن أدوات بسيطة كالعجلة والنار، بينما مع الثورة الصناعية في القرن التاسع عشر، انفجر هذا التفاعل بين العلم والتقنية في مجالات مثل الكهرباء والميكانيكا، مما أثر بشكل عميق في حياة الإنسان. لكن مع ظهور علم الكمبيوتر في منتصف القرن العشرين، بدأت التقنية تتحول إلى علم بحد ذاته، يعتمد على الأسس العلمية لإنتاج الآلات والبرمجيات المتطورة.²

¹ هايدغر، مارتين. *سؤال التقنية*. ترجمة: خالد غزال، بيروت: المركز الثقافي العربي، 1977، ص 86.

² أحمد، سامي. "الثورة الصناعية والتطور التكنولوجي". *دراسات في الفلسفة والتقنية*، 2008، ص 120.

2- التطبيقات العلمية والتقنية :

التقنية اليوم تُترجم الاكتشافات العلمية إلى تطبيقات عملية في جميع المجالات. من الطب حيث تُستخدم التقنيات الطبية لعلاج الأمراض المستعصية مثل السرطان، إلى الهندسة الوراثية التي تفتح آفاقاً جديدة في علم الوراثة. هذا التفاعل بين العلم والتقنية يعد مجالاً خصباً لفلسفة العلم، حيث يتساءل الفلاسفة: هل تُعتبر التقنية امتداداً طبيعياً للعلم أم أن هناك تداخلاً يُحوّل التقنية إلى مجال مستقل¹.

3- التحديات الفلسفية :

التحدي الذي يطرحه الفلاسفة هو: هل يمكن اعتبار التقنية مجرد امتداد للعلم؟ بعض الفلاسفة مثل هايدغر في كتابه "سؤال التقنية" (1977)، يرون أن التقنية ليست مجرد أداة لحل المشاكل، بل هي شكل من أشكال التأثير على الإنسان والطبيعة. هي تُملي على الإنسان طريقة تفكيره وتعاملاته مع الواقع الطبيعي والاجتماعي، هذه الفكرة تدعو إلى التساؤل حول ما إذا كانت التقنية تُحرك الإنسان، أم أن الإنسان هو الذي يوجه التقنية².

رغم ما وفرتة التقنية من تسهيلات وابتكارات غيّرت معالم الحياة البشرية، فإن آثارها لم تكن إيجابية دائماً. فقد أفرزت هذه التحولات التقنية العديد من الإشكالات التي أثرت على طبيعة العلاقات الاجتماعية، والتوازن النفسي، وخصوصية الأفراد، بل وحتى على البنية الاقتصادية التقليدية للمجتمعات. من هذا المنطلق، يصبح لزاماً على الفلسفة المعاصرة والعلوم الإنسانية أن تنخرط في محاولة فهم هذه المشكلات ومساءلتها، ومن ثمّ اقتراح حلول مناسبة لها في إطار أخلاقي وإنساني شامل، فالرهان لا يكمن فقط في تطوير التكنولوجيا، بل في كيفية تسخيرها لخدمة الإنسان دون المساس بإنسانيته وكرامته³.

أولاً: المشاكل الاجتماعية الناتجة عن التقنية

شهدت العلاقات الاجتماعية تغيراً جذرياً بفعل الانتشار الواسع للتقنيات الرقمية، حيث بدأت التفاعلات الافتراضية تحل محل اللقاءات المباشرة. فقد أدى الإفراط في استخدام الهواتف الذكية ومنصات التواصل الاجتماعي إلى تراجع ملموس في جودة التواصل البشري، إذ أصبحت الروابط الإنسانية خاضعة لإيقاع العالم الرقمي السريع، مما أضعف التفاعل الوجداني الحقيقي وأدى إلى نوع من التفكك

¹-جونسون، جيمس. *التقنية والعلوم: أفق تطور الفهم*. دار نشر الفكر، نيويورك، 2012، ص 45.

²-هايدغر، مارتين. *سؤال التقنية*. تر: خالد غزال، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1977، ص 96.

³-خليل، محمد. *التكنولوجيا والعلاقات الاجتماعية: من التواصل إلى العزلة*. بيروت: دار المدى، 2018، ص. 140.

الاجتماعي⁽¹⁾. كما أن بعض الأفراد، خصوصًا من فئة الشباب، باتوا يعيشون عزلة اختيارية داخل عوالم افتراضية لا تتيح لهم تنمية مهاراتهم الاجتماعية بشكل طبيعي³. وهذا الواقع الجديد يدفعنا للتساؤل عن طبيعة المجتمع الذي تشكله التكنولوجيا: هل هو مجتمع تواصل حقيقي أم مجتمع تغريب وانفصال عن الذات والآخر؟

ثانيًا: المشكلات النفسية المرتبطة بالتقنية

يرتبط الاستخدام المفرط للتقنيات الرقمية بعدد من التأثيرات النفسية السلبية التي باتت تظهر بوضوح في المجتمعات الحديثة. فقد أكدت دراسات متعددة وجود علاقة قوية بين الإدمان على وسائل التواصل الاجتماعي وارتفاع معدلات القلق والاكتئاب، خصوصًا بين المراهقين والشباب⁽²⁾. يعود ذلك إلى الضغط المستمر للمقارنة مع الآخرين، ما يخلق شعورًا دائمًا بعدم الكفاءة أو النقص⁽³⁾. كما أن نمط الحياة الرقمي المستمر يُضعف قدرة الإنسان على التركيز والانخراط في أنشطة ذهنية عميقة، مما يُسهم في تراجع الأداء العقلي والمعرفي، ويدفع نحو ثقافة "السطحية السريعة"⁽⁴⁾.

ثالثًا: الأخطار الأمنية ومشكلة الخصوصية

في ظل تعاظم الاعتماد على الإنترنت والخدمات الرقمية، أصبحت الخصوصية الفردية مهددة بشكل غير مسبوق. إن قدرة الشركات الكبرى على تتبع المستخدمين، وتخزين بياناتهم، وتحليلها لأغراض تجارية أو سياسية، أثار قلقًا عالميًا بشأن مصير هذه البيانات وسوء استغلالها⁵، كما أن حالات الاختراق الأمني التي تستهدف مؤسسات وأفرادًا على حد سواء تطرح إشكاليات أخلاقية وقانونية تتعلق بحدود السلطة الرقمية⁶، لمتعد الخصوصية مسألة اختيارية، بل أصبحت جزءًا من المعركة الوجودية للإنسان المعاصر في الحفاظ على ذاته داخل فضاء رقمي متداخل.

رابعًا: التحديات الاقتصادية الناتجة عن الأتمتة

¹ يونس، خالد. *التكنولوجيا والمجتمع: تحليل الفوائد والأضرار*. دار الفكر، عمان، 2020، ص. 56.

² -سميث، كارين، *الصحة النفسية وعصر التكنولوجيا: دراسة تحليلية*. تر: هالة فوزي، القاهرة: دار العلم، 2021، ص 77.

³ -نفسه، ص 77.

⁴ إريك، جون، *التقنية والإنسان: تحديات العصر الحديث*. تر: سامي عبد الفتاح، القاهرة: مكتبة الشروق، 2019، ص 102.

⁵ - داوود، سامية. *الأمن الرقمي وحماية البيانات: التحديات المعاصرة*، دار النشر العالمية، بيروت، 2017، ص. 34.

⁶ - عيسى، يوسف. *تسريعات حماية البيانات: الطريق إلى الأمن الرقمي*. دار المعارف، القاهرة، 2022، ص. 112.

شكّلت الثورة التقنية تهديدًا مباشرًا لعدد كبير من الوظائف التقليدية، إذ أضحت الأتمتة والذكاء الاصطناعي بديلاً عن الإنسان في عدة ميادين إنتاجية¹، لم يعد الإنسان العامل هو العنصر المحوري في العملية الإنتاجية، بل أصبح في كثير من الأحيان مجرد مراقب لما تؤديه الآلات. هذا التحول يُنبئ بأزمة بطالة حادة، خصوصاً في الدول النامية التي لم تواكب بعد هذا الانتقال التكنولوجي². وهكذا، فإن التقنية، رغم دورها في تحسين الإنتاج، قد تفرز فجوات اقتصادية واجتماعية تهدد التماسك المجتمعي والاستقرار الوظيفي.

خامساً: الفلسفة والتقنية (مواقف فلسفية)

من أبرز الفلاسفة الذين اشتغلوا على العلاقة بين التقنية والفلسفة في القرن العشرين، نجد الفيلسوف الألماني يورغن هابرماس، Jürgen Habermas، الذي يُعد امتداداً نقدياً لمدرسة فرانكفورت، لكنه انفتح على أفق جديد يُعرف بـ "الفعل التواصلي"، رافضاً اختزال العقل في بعده الأداتي، كما فعلت الحداثة الغربية، ومُقتراحاً بديلاً يقوم على العقل التواصلي القائم على التفاهم لا على السيطرة.

يرى هابرماس أن المشكلة الأساسية في التقنية الحديثة ليست في تقدمها نفسه، بل في الطريقة التي تُمارس بها على الإنسان والمجتمع. فهي لا تُوظف فقط لتطوير الحياة، بل تستعمل أحياناً كأداة للهيمنة وإعادة إنتاج السيطرة الاجتماعية عبر أنظمة مغلقة لا تسمح بالنقاش العمومي أو التفاهم الحر. وهكذا فإن الخطر لا يكمن في التقنية كأداة، بل في غياب الفضاء الذي يُمكن فيه مناقشة التقنية، وتحديد أهدافها أخلاقياً وسياسياً³.

في كتابه "التقنية والعلم كأيديولوجيا" (*Technology and Science as Ideology*)، انتقد هابرماس بشدة تحول التقنية إلى أيديولوجيا، أي إلى نسق فكري يُبرر نفسه ويُقصي أي بديل، بحجة الكفاءة أو الحتمية التقنية. ففي ظل هذا التصور، يصبح كل ما هو تقني "صائب"، لمجرد أنه "ينجح"، ويُقصي كل رأي أخلاقي أو إنساني أو فلسفي، بدعوى أنه "غير علمي". وهذا يؤدي إلى إفراغ المجال العام من النقاش القيمي وتحويله إلى حقل تقني محض⁴.

¹ - أحمد، عادل. *التكنولوجيا والعمل: مستقبل الوظائف في عصر الأتمتة*. دار المستقبل، بيروت، 2019، ص. 89.

² - المرجع نفسه، ص 89.

³ - Habermas, Jürgen. *The Theory of Communicative Action*, Beacon Press, 1984, P48.

⁴ - Habermas, Jürgen. *Technology and Science as Ideology*, in: *Toward a Rational Society*, Beacon Press, 1970, P120.

وهنا يُميز هابرماس بين العقل الأداتي (instrumental reason) الذي يُوجّه التقنية والعلم اليوم، والذي يبحث فقط عن الوسائل الأكثر نجاعة لتحقيق الأهداف، دون مساءلة هذه الأهداف نفسها، وبين العقل التواصلّي (communicative reason) الذي يسعى إلى التفاهم والمشاركة واتخاذ القرارات الأخلاقية بشكل جماعي حر. وهو يرى أن الخطر الأكبر هو أن يُهيمن العقل الأداتي على كل مجالات الحياة، من الاقتصاد إلى السياسة، بل وحتى التربية، مما يُحوّل الإنسان إلى مجرد "كائن وظيفي" فاقد للمعنى والكرامة.

من هذا المنطلق، يُقدّم هابرماس مشروعاً فلسفياً يهدف إلى إعادة تفعيل الفضاء العمومي كحيز للنقاش الديمقراطي، حيث يُمكن للمجتمع المدني أن يُشارك في تحديد توجهات التقنية والعلم، لا أن يُفرض عليهما من فوق. الفلسفة، بالنسبة لهابرماس، لا ترفض التقنية من حيث المبدأ، بل ترفض صيغتها الحالية المنفلتة من أي رقابة أخلاقية أو تواصلية. ولذلك فهو لا يدعو إلى "إيقاف التقنية"، بل إلى أنسنتها وتسييسها، أي جعلها موضع نقاش عام، تُدار فيه قراراتها الكبرى من طرف عقل جماعي حر، لا من نخب تكنوقراطية مغلقة.

وهكذا، فإن هابرماس يُعيد للفلسفة دورها الحيوي كوسيط بين العلم والمجتمع، وكضامن لحوار عقلاني شامل حول مستقبل الإنسان. وهو في ذلك يُكمل مشروع الفلسفة النقدية التي بدأت مع كانط واستمرت مع مدرسة فرانكفورت، لكنه يُطوّره ليُصبح مشروعاً عملياً للتواصل الاجتماعي والسياسي في زمن تسيطر فيه التقنية على كل شيء.

أ. التمييز بين الرؤية الفلسفية والرؤية التقنية للإنسان: من العقل إلى الآلة

من بين أهم القضايا التي طرحها هابرماس تتعلق بالفرق الجوهرية بين الرؤية الفلسفية والرؤية التقنية للإنسان، حيث يتضح جلياً أن الفلسفة الحديثة كانت دائماً مهتمة بالإجابة على سؤال "ما هو الإنسان؟"، أو "ما هو معنى الوجود الإنساني؟"، بينما نجد أن الرؤية التقنية تقدم إجابات تُركّز بشكل رئيسي على الكفاءة والإنتاجية والقدرة على التنظيم في إطار محدود من الأهداف العملية.

في الفلسفة، الإنسان يُعتبر كائنًا عاقلًا، صاحب إرادة حرة، قادر على التأمل والتفكير النقدي، وعلى اختيار أهدافه بحرية. إذًا، هناك في الفلسفة عنصر إنساني أصيل يشمل الفكر والوعي والاختيار الحر. الفلسفة هي سياق تأملي، حيث يتم البحث عن معنى الحياة ومغزى الوجود البشري. كما يرى

هابرماس أن العقل في هذه الرؤية هو عقل تواصل يسهى إلى التفاهم، ويعتمد على التفاعلات الإنسانية التي تُشكّل قواسم مشتركة للقرارات الإنسانية¹.

على الجانب الآخر، تنظر التقنية إلى الإنسان باعتباره مجموعة من الأنظمة التي تُقاس بالأداء والوظيفة. في هذا السياق، يُختزل الإنسان إلى مجموعة من الوظائف القابلة للتحسين أو الاستبدال، ويتم تقييمه وفقًا لمعايير الكفاءة وليس الوجود أو المعنى. وتُركز التقنية على العقل الأداة، أي العقل الذي يُوجه العمل نحو تحقيق هدف محدد، بعيدًا عن التأملات الفلسفية أو الأخلاقية. وبالتالي، عندما تصبح التقنية هي المعيار، يتم التخلص من الجانب الكوني للإنسان لصالح فكرة الإنسان القابل للقسم والقياس، والذي يتم تحديده بناء على كفاءته في إنجاز المهام.

إن هذا الاختلاف العميق بين الرؤية الفلسفية والرؤية التقنية للإنسان يتطلب إعادة تأهيل الفلسفة في عالم التكنولوجيا. الفلسفة اليوم، كما يرى هابرماس، يجب أن ترد الاعتبار للإنسان ككائن عاقل قادر على التفاهم والاختيار الحر، حتى لا يتحول الإنسان إلى "شيء" في منظومة التقنية الضاغطة، بل يجب أن يكون عنصرًا فاعلًا في تحديد معايير قيمته وأهدافه. ومن هنا جاء ضرورة تقاطع الفلسفة مع أخلاقيات التقنية لتمكين الإنسان من مقاومة الهيمنة التقنية وتوجيهها بما يخدم القيم الإنسانية⁽²⁾.

ب. التحكم الاجتماعي عبر التقنية: الهيمنة الرقمية وصناعة الرأي العام

بعد التمييز بين الرؤية الفلسفية والتقنية للإنسان، ننتقل إلى إشكالية التحكم الاجتماعي عبر التقنية، التي أصبحت من أهم القضايا المطروحة في الفكر الفلسفي المعاصر. ففي عالم اليوم، تتداخل التقنيات الرقمية بشكل غير مسبوق مع الحياة اليومية، مما يطرح تساؤلات فلسفية عميقة حول التحكم الاجتماعي الذي تُمارسه التقنيات الحديثة.

هابررت ماركيز، من خلال نقده للحدثة التقنية، وصف المجتمع المعاصر بأنه مجتمع "أداة"، حيث كل شيء يُحوّل إلى أداة لتحقيق غايات محددة. في هذا السياق، تبرز التقنيات الرقمية كأدوات فعالة لزيادة التحكم الاجتماعي عبر المراقبة الشاملة وتوجيه سلوك الأفراد من خلال البيانات، الخوارزميات، ومنصات التواصل الاجتماعي. لا يمكن النظر إلى هذه التقنيات على أنها محايدة، فهي ليست فقط وسائل لتحسين حياة الإنسان، بل أدوات للهيمنة على الرأي العام وتوجيه القرارات.

¹ Habermas, Jürgen. The Theory of Communicative Action. Vol. 1, Reason and the Rationalization of Society. Boston: Beacon Press, 1984, P 82.

² Habermas, Jürgen. The Future of Human Nature, Polity, 2003, P 86.

من جهة أخرى، يتناول يورغن هابرماس في نقده لعصر الإعلام الرقمي مسألة التواصل المغلق الذي تُؤسس له منصات التواصل الاجتماعي، والتي تنتهي بتشكيل ما أسماه "الفضاءات العامة المعولة" التي لا تُعطي فرصة للإنسان العادي للمشاركة الحرة في النقاشات العامة. فالذكاء الاصطناعي، في نظر هابرماس، قد يساهم في تحويل الإنسان إلى كائن خاضع لما يراه النظام التكنولوجي مناسباً. بدلاً من أن يُفتح النقاش وتُطرح الآراء المتباينة، أصبح الرأي العام يتشكل وفق معايير خوارزمية، مما يحد من الحرية والاختيار.¹

ومع ذلك، فإن هابرماس لا يُنكر أهمية التقنية في تحقيق الرفاهية والتقدم المعرفي، لكنه يُحذر من استخدامها لفرض الهيمنة. في هذا السياق، يُعيد التأكيد على الحاجة إلى المساءلة الأخلاقية لكل تقنيات تسعى للتأثير على الإنسان والجماعة. وبذلك، تصبح الفلسفة ضرورة عقلية لدعم الحرية الفردية والحفاظ على الديمقراطية في مواجهة الهيمنة الرقمية.²

¹ يورغن هابرماس، نظرية الفعل/التواصلي، المجلد الثاني: العالم/المعيش والنظام: نقد العقلانية الوظيفية، ترجمة

العنوان، بوسطن: دار بيكون، 1987، ص 375-

² المرجع نفسه، ص 375-

المبحث الثالث: التكنولوجيا والمشكلات الفلسفية

شكّلت التقنية منذ فجر الحضارة أداة أساسية في يد الإنسان لتطويع الطبيعة وتسهيل شروط الحياة، فقد تمثلت بداياتها في أدوات بسيطة مثل المطرقة والمحراث، وهي أدوات تُستخدم مباشرة من طرف الإنسان لتحقيق غرض معين. غير أن هذا الفهم البسيط للتقنية قد تغيّر جذرياً مع ظهور العلم والتكنولوجيا وبروز الرقمنة والحوسبة والذكاء الاصطناعي، مما فرض ضرورة إعادة النظر في ماهية التقنية بنظرة فلسفية نقدية شاملة.

ففي العصر الحديث، لم تعد التكنولوجيا تقتصر على أدوات فيزيائية، بل تحوّلت إلى بنى ذكية، وأنظمة متكاملة، وخوارزميات قادرة على اتخاذ قرارات تتعلق بحياة البشر، إن التحول أو الانتقال من الأدوات إلى الأنظمة الذكية هو تحول من علاقة استعمال إلى علاقة اندماج، فلم تعد التقنية شيئاً خارجياً نستعمله، بل أصبحت بيئة نعيش داخلها، بل حتى جزءاً من إدراكنا وهويتنا.

وقد كان الفيلسوف (مارتن هايدغر) من أوائل الفلاسفة الذين نهوا إلى الطابع الوجودي العميق للتكنولوجيا، فاعتبر أن جوهر التقنية لا يكمن في الأدوات بل في "نمط انكشاف للعالم"، حيث يُعاد تشكيل الواقع نفسه ضمن أفق النفعي والتوظيفي¹، في هذا السياق، تصبح الموجودات مجرد "موارد" معدة للاستغلال، ويُعاد تشكيل علاقة الإنسان بالعالم من منظور الهيمنة والسيطرة.

هذا التحول البنيوي للتكنولوجيا يتجلى بوضوح في الانتقال من المطرقة والمحراث إلى الخوارزميات والروبوتات، فالمطرقة أداة تتطلب تدخلاً بشرياً مباشراً، أما الخوارزمية فهي بنية غير مرئية تُقرر وتُدير دون تدخل بشري مباشر. الروبوتات لا تنقذ فقط، بل تتعلّم وتتكيف بفضل تقنيات التعلم الآلي، ما يعني أن القرار بات مندمجاً في الآلة ذاتها، ولم يعد الإنسان مركز التحكم الوحيد. وهذا ما يجعل الفلسفة أمام إشكال جديد: كيف نفهم الذات الإنسانية في عالم أصبحت فيه الأنظمة الذكية تتحكم بقرارات مصيرية في الاقتصاد والسياسة والطب والتعليم والتربية؟

بل أكثر من ذلك، أصبح الواقع نفسه يُعاد تشكيله عبر صياغات وتطبيقات رقمية توجّه الإدراك البشري، فشبكات التواصل الاجتماعي، مثلاً لا تُقدّم الواقع بل تُشكّله عبر خوارزميات تُقرّر ما نراه ونفكر

¹ Martin Heidegger, *The Question Concerning Technology*, trans. William Lovitt (New York: Harper & Row, 1977, p.18).

فيه. وهذا التحول من التقنية كوسيط إلى التقنية كواقع بديل يدفعنا إلى إعادة التفكير في مفاهيم مثل "الواقع"، "الحقيقة"، و"الحرية".¹

1- مشكلة تعريف الإنسان في ظل التكنولوجيا :

لقد ارتبط سؤال "ما الإنسان؟" منذ سقراط وأفلاطون بمفاهيم مثل العقل، النفس، الأخلاق، الحرية... لكن في العصر الرقمي، أُعيد طرح هذا السؤال داخل سياق جديد تمامًا، حيث تداخلت البيولوجيا مع المعلوماتية، والجسد مع السيليكون. فظهور الذكاء الاصطناعي، والواجهات الدماغية-الآلية، وزراعة الرقائق العصبية، غير من صورة الإنسان كما عرفها الفكر الفلسفي الكلاسيكي وأصبح الحديث عن الإنسان الرقمي.

إن العلاقة بين الإنسان والتقنية لم تعد علاقة استعمال بل علاقة اندماج وتجاوز، نحن لا نستعمل التقنية فحسب، بل نُعاد تشكيلنا من خلالها. أصبح الإنسان هجيناً رقمياً-بيولوجياً، يتفاعل داخل شبكات معرفية تعتمد على سرعة المعالجة، والاتصال الفوري، وتراكم البيانات. وهذا ما دفع البعض للحديث عن نهاية "الإنسان الطبيعي"، وبداية كائن جديد: الإنسان المرقم (Digital Human) في هذا السياق، يُعاد طرح الجدل حول وعي الآلة: هل تستطيع الآلة أن تُدرك وتعي؟ وهل يمكن اختزال الوعي البشري في عمليات حسابية؟ يعود هذا الإشكال إلى مناقشات فلسفية عميقة حول ماهية العقل. فقد جادل (جونسيرل) John Searle في تجربته الشهيرة "الغرفة الصينية" بأن تنفيذ الآلة لسلوك ذكي لا يعني أنها تفهم أو تعي ما تفعله. إذ يمكن لآلة أن تُعالج رموزاً دون أن يكون لها أي فهم لمضمونها²، وبالتالي، فإن الذكاء الاصطناعي لا يرقى - بحسب (جونسيرل) - إلى وعي حقيقي.

في المقابل، يرى أنصار ما يُعرف بـ "ما بعد الإنسانية" (Transhumanism) "أن العقل الإنساني ليس إلا بنية معلوماتية يمكن نقلها أو محاكاتها رقمياً، ويعتقدون أن مستقبل الإنسان هو في تجاوز الحدود البيولوجية، ودمج وعيه في أنظمة رقمية خالدة. وهنا يصبح سؤال "من هو الإنسان؟" محل نزاع إبستمولوجي وأونطولوجي، ويطرح ضرورة تحديد ما يميز الإنسان فعلاً: هل هو الوعي؟ المشاعر؟ الأخلاق؟ أم قدرته على التأمل الذاتي؟³

¹ Martin Heidegger, *The Question Concerning Technology*, trans. William Lovitt, Harper & Row, New York, 1977, p 18.

² John Searle, "Minds, Brains, and Programs", *Behavioral and Brain Sciences*, Vol. 3, No. 3, 1980, P 417-424..

³ Ibid, P 417-424..

إن هذا التحول يفرض على الفلسفة تحدياً جديداً يتمثل في إعادة التفكير في ماهية الإنسان ضمن أفق لم تعد فيه الحدود بين الطبيعة والصناعة (التكنولوجيا) واضحة، فقد بات الجسد نفسه يُعدّ قابلاً للتعديل والتصميم، والهوية يُعاد تشكيلها عبر الشبكات الاجتماعية والواقع المعزز، ما يجعل مهمة الفلسفة أكثر تعقيداً في ظل ذوبان الثنائيات الكلاسيكية بين الإنسان والآلة، والذات والموضوع.

2- مشكلة الحرية، الخصوصية والرقابة التكنولوجية

في ظل التقدم الهائل في تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، لم تعد مفاهيم مثل "الحرية الفردية" و"الخصوصية" مجرد مبادئ قانونية أو سياسية، بل أصبحت في صميم النقاش الفلسفي المعاصر حول علاقة الإنسان بالتقنية، فالتكنولوجيا الحديثة، لاسيما تقنيات الذكاء الاصطناعي، غيرت من شكل السلطة، ومن طبيعة الرقابة، حيث تحولت من آليات خارجية إلى أنظمة مدمجة في الحياة اليومية للأفراد.

أ- الرقمنة كمرآة ناعمة:

كان الفلاسفة التقليديون، مثل جون لوك وجان جاك روسو، يتحدثون عن حرية الفرد في مواجهة الدولة. لكن مع بروز الاقتصاد الرقمي، ظهرت سلطات جديدة غير مرئية تمارس الرقابة على السلوك البشري من خلال تتبع البيانات الشخصية، لم تعد المراقبة محصورة في المجال السياسي، بل أصبحت جزءاً من الحياة الرقمية اليومية: من مواقع التواصل الاجتماعي إلى محركات البحث.

فالخوارزميات لا تكتفي بجمع البيانات، بل تستعملها لتوجيه اختيارات الفرد، مما يجعل "الحرية" وهمًا في بيئة رقمية تُصمَّم لتوقع السلوك وضبطه بشكل غير مباشر، وهنا يُطرح السؤال الفلسفي: هل نحن نمارس حريتنا فعلاً في عالم مُصمَّم ليراقبنا باستمرار؟¹

ب- تفكك الخصوصية في بيئة رقمية:

لم تعد الخصوصية مسألة خيار، بل أصبحت سلعة تباع وتشتري في الأسواق التكنولوجية. إن كل تفاعل رقمي – سواء كان نقرة أو مشاركة أو رسالة – يُترجم إلى بيانات قابلة للتحليل والاستغلال، وقد أظهرت دراسات حديثة أن المستخدم العادي لا يدرك حجم المعلومات التي يكشف عنها، ولا كيف تُستخدم لاحقاً لأغراض إعلانية، تجارية، أو حتى سياسية.²

¹ أحمد عبد الحليم، "الرقابة الخفية: قراءة فلسفية في المجتمعات الرقمية"، مجلة الفكر المعاصر، العدد 22، 2021، ص. 88.

² فاطمة زهراء بن يمين، "الذات والرقمنة: أزمة الخصوصية في العصر المعلوماتي"، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، العدد 17، 2023، ص. 131.

يُشكل هذا التحول تحديًا للفلسفة السياسية والأخلاقية، التي لطالما اعتبرت الخصوصية من شروط الكرامة الإنسانية. فحين تتحوّل الذات البشرية إلى "ملف بيانات"، يُهدد ذلك جوهر الإنسانية نفسها.

ج- نماذج الرقابة: من الخيال الفلسفي إلى الواقع العملي:

لقد حلم الأدب والفلسفة طويلاً بمستقبل تكون فيه الرقابة مطلقة، كما في رواية "1984" (لجورج أورويل)، غير أن الخيال أصبح واقعًا في بعض الأنظمة التي تعتمد على أنظمة "التحكم الاجتماعي" (مثل نظام تقييم السلوك في الصين)، حيث تُراقب تصرفات الأفراد، وتُقيّم آليًا بناءً على مدى التزامهم بالمعايير.

من هنا يُعيد الفلاسفة طرح سؤال: هل ما نعيشه اليوم هو شكل جديد من "الاستبداد الرقمي"؟ وهل أصبحت التكنولوجيا أداة لتعميق الخضوع بدل تعزيز الحرية؟¹

د- الفلسفية ومقاومة السلطة الخوارزمية:

تسعى الفلسفة اليوم إلى استعادة دورها كصوت مقاوم في وجه المراقبة الرقمية، فليست الحرية مجرد غياب للقيود، بل هي – كما يؤكد بعض الفلاسفة المعاصرين – القدرة على اتخاذ القرار الواعي في بيئة مفتوحة التكنولوجيا، حين تهيمن على الوعي الفردي من خلال التنميط الخوارزمي، فإنها تسلب الإنسان حقّه في المبادرة، هنا تقترح الفلسفة بناء "أخلاقيات رقمية" جديدة تُعيد تعريف العلاقة بين الإنسان والتقنية، وتضع حدودًا للهيمنة الرقمية بما يحفظ الكرامة الإنسانية والحرية الفردية.²

إن الحرية والخصوصية في العصر الرقمي ليستا مجرد حقوق مهدّدة، بل هما موضوعان فلسفيان عميقان يتطلبان تفكيرًا جديدًا في طبيعة السلطة، والتقنية، والوعي البشري. ولم تعد المواجهة بين الإنسان والآلة مقتصرة على الأداء العقلي، بل صارت تدور حول السيطرة على الحياة اليومية للإنسان، مما يفرض على الفلسفة أن تستعيد دورها كمجال نقدي وأخلاقي يحمي إنسانية الإنسان.

3- مشكلة المعرفة بين الإنسان والآلة:

في ظل التطور المتسارع للذكاء الاصطناعي، أُثير نقاش فلسفي عميق حول طبيعة المعرفة التي تنتجها الآلات. فالأسئلة الأساسية التي تطرح هي: هل المعرفة التي تولدها الأنظمة الذكية تشبه المعرفة الإنسانية التي تقوم على وعي ذاتي وتجربة تأملية؟ أم أن ما تنتجه الآلات مجرد معالجة بيانات بدون وعي

¹ محمد بوعزة، "التحكم الرقمي وإشكالية السلطة: قراءة في النماذج التقنية الحديثة"، مجلة الفلسفة والواقع، العدد 8، 2022، ص 70.

² نادية أيت حسين، "الفلسفة والتقنية: نحو أخلاق رقمية جديدة"، مجلة القيم الإنسانية، العدد 10، 2024، ص 97.

أو فهم حقيقي؟ هنا تتجلى أهمية الفلسفة في تحليل هذه الفروقات وتوضيح ماهية المعرفة وأبعادها المختلفة.

أ- الوعي الذاتي كمصدر للمعرفة:

يُعتبر رينيه ديكارت نقطة الانطلاق الرئيسية في فلسفة المعرفة، إذ أكد أن جوهر المعرفة يكمن في الوعي الذاتي، من خلال قوله: "أنا أفكر، إذاً أنا موجود (Cogito, ergo sum)"، هذا المبدأ لا يكتفي بتأكيد وجود الإنسان، بل يميز المعرفة الإنسانية القائمة على وعي وتأمل نقدي. فالآلة رغم قدرتها على معالجة المعلومات، لا تمتلك وعياً ذاتياً أو إدراكاً تأملياً، وإنما تقتصر على تنفيذ أوامر وبرمجيات محددة، مما يجعلها غير قادرة على امتلاك معرفة بمعنى فلسفي¹.

في حين يشير (إدموند هوسرل) إلى أن المعرفة ليست مجرد معلومات، بل هي تجربة ظاهرية تتسم بالنية (Intentionality) التي توجه الوعي نحو موضوع معين، هذا يعني أن الوعي الإنساني يحيا المعرفة من خلال علاقة ذاتية مباشرة بالعالم، وهو ما تفتقده الآلات التي تعالج البيانات فقط دون إحساس أو وعي تجريبي. فالآلة تعمل ضمن نطاق الخوارزميات مسبقة التحديد، ولا تمتلك القدرة على العيش الظاهراتي للمعرفة كما يفعل الإنسان².

وهذا ما أكدته (جون سيرل) في حجة الغرفة الصينية حجة مركزية مفادها أن معالجة الرموز من قبل الآلة لا تعني فهمها. الآلة تستطيع التعامل مع المدخلات والمخرجات وفق قواعد صارمة، لكنها لا تمتلك وعياً أو فهماً داخلياً لمعاني الرموز التي تتعامل معها، بناءً عليه المعرفة التي تنتجها الآلة ليست معرفة حقيقية بل محاكاة سطحية، لأن الفهم يتطلب وعياً ذاتياً وهو ما تفتقده الآلة³.

ب- المعرفة إبداع:

وفي المقابل يرى (جيل دولوز) أن المعرفة الفلسفية هي فعل إبداعي مستمر لا يقتصر على تراكم المعلومات، بل يتطلب تجديد المعاني وإنتاج أفكار جديدة تخرج عن النماذج الثابتة. هذا الجانب الإبداعي مفقود في الآلات التي تلتزم ببرمجيات ثابتة ولا تستطيع توليد معاني جديدة مستقلة. بالتالي، المعرفة الفلسفية تشكل تمييزاً جوهرياً بين الإنسان والآلة⁴.

¹ رينيه ديكارت، تأملات في الفلسفة الأولى، ترجمة علي حرب، دار الطليعة، 1980، بيروت، ص 17.

² إدموند هوسرل، أفكار تتعلق بالظاهراتية النقية، ترجمة عبد الوهاب المسيري، دار المعارف، القاهرة، 1974، ص 44.

³ جون سيرل، "العقول والأدمغة والبرامج"، مجلة الفلسفة 83، عدد 324، 1986، ص ص 417-457.

⁴ جيل دولوز، الاختلاف والتكرار، ترجمة نجيب طوبيا، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1996، ص 46.

هذا ما دفع بالفيلسوف (آندري كلارك)، إلى القول بالعقل الموسع أو التكامل بين الإنسان والآلة، بحجة أن العقل البشري ليس محصوراً في الدماغ فقط، بل يمتد عبر الأدوات والتقنيات التي يستخدمها الإنسان، مما يشكل "عقلاً ممتداً". هذا التكامل يسمح بتوسيع قدرات المعرفة، لكن مع ذلك يظل الوعي الذاتي الخاص بالإنسان فريداً ولا يمكن للآلة استبداله. فالآلة هي أداة معرفية مساعدة وليست أداة ذات وعي مستقلة¹.

هذا التصور يعبر عنه (دانييل دينيت) بالمعرفة الوظيفية للآلة، بمعنى أن الذكاء الاصطناعي يتيح إنتاج معرفة وظيفية تستند إلى الخوارزميات والحسابات المنطقية، لكنها لا تشمل وعياً ذاتياً أو نوايا شخصية، هذه المعرفة تختلف عن المعرفة الإنسانية التي تشمل أبعاداً معرفية ونفسية وفلسفية معقدة، مما يحتم على الفلسفة إعادة النظر في مفهوم المعرفة لتضمين هذه الأبعاد الجديدة في ظل الثورة التكنولوجية².

يتبين من هذه المناقشات أن الفارق الأساسي بين المعرفة الإنسانية والآلة يكمن في وجود الوعي الذاتي والتأمل النقدي. بينما تقدم الآلات معرفة تقنية ووظيفية، تبقى المعرفة الفلسفية متميزة بعمقها الوجداني والفكري. وهكذا تظل الفلسفة ضرورية لفهم حدود الذكاء الاصطناعي وإمكاناته وتأثيره على مفاهيم المعرفة التقليدية.

ومنه يمكننا القول إن الفلسفة تستمر في أداء دورها المركزي والضروري في مواجهة تحديات العصر الرقمي والتكنولوجي. من خلال إعادة بناء ميتافيزيقا تراعي وجود الكائنات الذكية، وتطوير أطر أخلاقية تراعي خصوصيات الذكاء الاصطناعي، بالإضافة إلى الممارسة النقدية المستمرة، تؤكد الفلسفة مكانتها كمرشد أخلاقي واجتماعي لا غنى عنه. إن القضايا التي تطرحها التكنولوجيا الحديثة، من حدود الهوية الإنسانية إلى مشكلات الحرية والعدالة، تحتاج إلى تأمل فلسفي عميق لضمان توجيه التقدم التقني نحو بناء مجتمع يحترم الإنسان وكرامته، ولا يسمح له بالانزلاق نحو ما بعد الإنسانية بلا وعي أو مسؤولية.

¹ آندي كلارك، عقل ضخم، ترجمة أحمد عثمان، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 2013، ص 27.

² دانييل دينيت، شرح الوعي، ترجمة هبة النجار، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2008، ص 289.

خلاصة الفصل :

خلال الفصل الثاني الموسوم بالفلسفة في عصر التكنولوجيا تناولنا العلاقة المتشابكة بين الفلسفة والتكنولوجيا من عدة جوانب، بدءًا من التحولات التقنية التي غيرت طبيعة وجود الإنسان إلى التحديات الأخلاقية والمعرفية التي يفرضها الذكاء الاصطناعي. لقد برزت الفلسفة كأداة ضرورية لفهم هذه التحولات، لما تمتلكه من أدوات نقدية وتحليلية تعيد طرح أسئلة قديمة بوجه جديد، مثل طبيعة الإنسان، المعرفة، الحرية، والعدالة. بالإضافة إلى ذلك، أظهرت الفلسفة قدرتها على تطوير ميتافيزيقا جديدة وأخلاقيات متخصصة تتلاءم مع العصر الرقمي، مما يجعلها عنصرًا محوريًا في أي نقاش مستقبلي حول التقنية. ومنه نستخلص النتائج التالية:

1. الفلسفة والعلم في مواجهة التكنولوجيا: أثبتنا أن الفلسفة ليست معارضة للعلم بل تكملته، حيث تساهم في توضيح الحدود المعرفية والعلمية، وتطرح تساؤلات جوهرية حول ما يمكن معرفته وكيفية استخدام المعرفة العلمية بشكل مسؤول.
2. الفلسفة والتقنية: كشفنا أن العلاقة بين الفلسفة والتقنية ليست علاقة سيطرة أو استسلام، بل هي علاقة تبادلية تسمح للفلسفة بتقديم نقد معمق للتقنية، مع تعزيز دور الإنسان كمحور للتكنولوجيا وليس مجرد مستخدم سلبي.
3. الفلسفة والمشكلات الفلسفية للتكنولوجيا: تطرقنا إلى أن التكنولوجيا تثير مشكلات فلسفية جديدة حول الهوية، المعرفة، والواقع، ما يستدعي مراجعة مستمرة للنظريات الفلسفية التقليدية وإعادة صياغتها.

الفصل الثالث:

"الفلسفة والذكاء الاصطناعي"

تمهيد:

تمثل الثورة التكنولوجية والرقمنة والذكاء الاصطناعي أبرز الظواهر التي تشكل مستقبل البشرية، وتعيد رسم ملامح الواقع الاجتماعي والثقافي والفكري، فالفلسفة التي طالما كانت مرآة للتفكير النقدي والتأمل العميق في الوجود والمعرفة والقيم، تجد نفسها اليوم أمام تحدٍ جديد هو مواكبة ومواجهة التطورات السريعة التي يشهدها الذكاء الاصطناعي، إذ يثير الذكاء الاصطناعي أسئلة فلسفية جوهرية حول طبيعة العقل، الوعي، المعرفة، والأخلاق، بل وحتى عن معنى الإنسان ذاته في عالم باتت فيه الآلات تتعلم وتتطور بشكل ذاتي مستقل.

لذلك يأتي هذا الفصل لبحث في العلاقة الجدلية بين الفلسفة والذكاء الاصطناعي، محاولاً فهم التحديات والمشكلات الفلسفية التي يطرحها هذا المجال التقني، فضلاً عن استكشاف الآفاق المستقبلية التي يمكن أن تتشكل بفعل هذا التداخل، نهدف من خلال هذا الفصل إلى تسليط الضوء على المشكلات الإبستمولوجية، الأنطولوجية، والأخلاقية وحتى المنطقية التي يفرضها الذكاء الاصطناعي، مع تحليل نقدي للمفاهيم والمناهج الفلسفية التي يمكن أن تساعد في فهم هذه الظاهرة المعقدة.

المبحث الأول : الذكاء الاصطناعي ومشكلة المعرفة والمنطق

يمثل الذكاء الاصطناعي أحد أبرز الإنجازات التكنولوجية في العصر الحديث، حيث تجاوز دوره كأداة مساعدة في معالجة البيانات أو تنفيذ المهام البرمجية، ليصبح كياناً معرفياً يطرح تحديات فلسفية حقيقية حول طبيعة التفكير البشري، وحدود المعرفة، وأساليب الاستدلال المنطقي. فالفلسفة، التي لطالما اهتمت بأسئلة المعرفة والمنطق منذ أفلاطون وأرسطو وحتى فلاسفة العلم المعاصرين، تجد نفسها اليوم أمام ضرورة إعادة النظر في مفاهيمها الأساسية، بفعل التغيرات التي أحدثها الذكاء الاصطناعي في أنماط التفكير والمعرفة.

إن مفهوم "المعرفة" الذي طالما ارتبط بالذات العارفة البشرية، وبالوعي والتجربة والإدراك، أصبح اليوم محل مسألة فلسفية عميقة: هل يمكن القول إن أنظمة الذكاء الاصطناعي "تعرف"؟ وهل "تفكر" حقاً أم أنها فقط تحاكي التفكير البشري دون وعي أو قصد؟ بل إن بعض الطروحات تذهب إلى ما هو أبعد، فتُعيد تعريف المعرفة والمنطق ضمن إطار حسابي خوارزمي يجعل من الإنسان نفسه مجرد "نظام معالجة معلومات".

في هذا السياق، يهدف هذا المبحث إلى التعمق في إشكالية المعرفة والمنطق كما يطرحها الذكاء الاصطناعي، من خلال ثلاثة محاور أساسية: أولاً، مناقشة طبيعة المعرفة التي يمكن نسبها إلى الآلة، وحدود هذه المعرفة مقارنة بالمعرفة البشرية؛ ثانياً، تحليل قدرة الذكاء الاصطناعي على محاكاة العقل البشري ومدى اقترابه من التجربة الإنسانية في التفكير والفهم؛ وثالثاً، تناول إشكالية المنطق، ومدى اختلاف المنطق الآلي عن المنطق البشري، وإمكانية تطوير نماذج منطقية جديدة انطلاقاً من تقنيات الذكاء الاصطناعي.

سنناقش هذه القضايا في ضوء أطروحات فلسفية حديثة ومعاصرة، مع الاستناد إلى نماذج واقعية من الذكاء الاصطناعي، وتوظيف مناهج الإستيمولوجيا وفلسفة العقل ومنطق الحاسوب، وذلك في إطار من التحليل الفلسفي النقدي.

1- نشأة الذكاء الاصطناعي وتطوره التاريخي:

من الأحلام الفلسفية إلى الواقع التكنولوجي يعد الذكاء الاصطناعي (AI) واحدًا من أكبر إنجازات الفكر البشري في العصر الحديث، لكنه في الوقت نفسه نتاج تراكم طويل من الأفكار الفلسفية، والمفاهيم العلمية، والابتكارات التقنية. وتعود جذور الذكاء الاصطناعي إلى الخيال الفلسفي الذي طرحه المفكرون القدماء، حيث كانت فكرة خلق كائنات قادرة على التفكير والتعلم من خلال الآلات فكرة تُعتبر من مستحيلات العقل البشري. إلا أن معالم هذا الحلم بدأت تتبلور بشكل أكثر تحديدًا في القرن العشرين، على إثر الانتصارات العلمية الكبرى التي حققها الفيزياء والرياضيات، وظهور الحواسيب.¹

أولاً: الأسس الفلسفية والعلمية لنشأة الذكاء الاصطناعي

قبل أن يصبح الذكاء الاصطناعي مجالًا علميًا ملموسًا، كانت الفلسفة تلعب دورًا محوريًا في بلورة الفكرة. إذ يعتبر الفيلسوف الإنجليزي آلان تورينغ (Alan Turing)، في الأربعينيات من القرن العشرين، واحدًا من المؤسسين الرئيسيين لفكرة الذكاء الاصطناعي، من خلال طرحه لمفهوم آلة تورينغ، التي يمكنها محاكاة أي عملية حسابية بشرية. في عام 1950، طرح تورينغ سؤالًا إشكاليًا في مقاله الشهير "Computing Machinery and Intelligence": "هل يمكن للآلات أن تفكر؟"، وهو السؤال الذي شكل حجر الزاوية لفهم العلاقة بين الذكاء البشري والآلات. وقد قدم اختبارًا شهيرًا يُعرف باسم "اختبار تورينغ"، الذي يقيس ما إذا كانت آلة يمكنها تقليد السلوك البشري بما يساوي أو يفوق الإنسان في محادثة معينة. هذا المفهوم لم يكن فقط تحديًا تقنيًا، بل كان في أساسه إشكالية فلسفية تتعلق بالطبيعة الحقيقية للذكاء.²

ثانيًا: بداية تطور الذكاء الاصطناعي في منتصف القرن العشرين

في الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين، بدأ العلماء والباحثون في العمل على تطوير الأنظمة البرمجية القادرة على تنفيذ مهام محددة كانت تتطلب في السابق التفكير البشري. في هذا السياق، كان جون مكارثي، أحد العلماء المؤسسين لهذا المجال، قد ابتكر في عام 1956 مصطلح "الذكاء الاصطناعي" في مؤتمر دارتموث، الذي جمع مجموعة من أبرز العلماء آنذاك. وقد اقترح مكارثي أنه في غضون فترة قصيرة جدًا، ستكون الآلات قادرة على محاكاة الذكاء البشري في مهام متنوعة، بما في ذلك

¹-Turing, Alan. "Computing Machinery and Intelligence," Mind, 1950, vol. 59, no. 236, pp. 433–460.

²-Op Cite, pp. 433–460.

التعلم، والتفكير، واتخاذ القرارات. كما طور في ذلك الوقت أول لغات البرمجة الخاصة بالذكاء الاصطناعي مثل LISP، التي أصبحت من الأسس التقنية لهذا المجال¹.

وقد شهدت هذه الفترة الطفرات الأولى في بناء أنظمة قادرة على محاكاة قدرات بشرية معينة، مثل حل المشكلات (مشكلة الأمثلة الرياضية)، ولعب الشطرنج، وترجمة اللغات. هذه الأنظمة كانت تُعتبر خطوات أولية نحو تطوير الذكاء الاصطناعي الحقيقي، رغم أنها كانت محدودة من حيث القدرات.

ثالثًا: مرحلة "الشتاء" والإحباط في السبعينيات والثمانينيات

ولكن بحلول السبعينيات والثمانينيات، شهد الذكاء الاصطناعي انتكاسة كبيرة، أو ما يُعرف بظاهرة "الشتاء". السبب الرئيسي لهذه الانتكاسة كان عدم قدرة الأنظمة المبكرة على التكيف مع تعقيدات الواقع. فعلى الرغم من الإنجازات التي تم تحقيقها، فقد أظهرت الأنظمة التي تم تطويرها أنها لا تستطيع معالجة المهام المعقدة التي كان الإنسان قادرًا على إنجازها. هذا التراجع في التوقعات أدى إلى انخفاض التمويل، وانخفاض الاهتمام في البحث والتطوير في هذا المجال. كما أن الخوارزميات التي كانت موجودة في تلك الفترة لم تكن قادرة على التعامل مع التغيرات الكبيرة في المعلومات، وكان من الصعب جعل الأنظمة أكثر "ذكاءً" خارج نطاق مهامها المحددة².

رابعًا: النهضة الحديثة في الذكاء الاصطناعي: التحولات من التسعينيات حتى اليوم

لكن بداية من التسعينيات، بدأ الذكاء الاصطناعي يشهد نهضة جديدة، بفضل التطورات الكبيرة في الحوسبة، وظهور البيانات الضخمة، وابتكار الخوارزميات المتقدمة مثل التعلم العميق (Deep Learning) والتعلم الآلي (Machine Learning). هذه التقنيات مكّنت الآلات من التعلم من البيانات وتحسين أدائها مع الوقت. بفضل هذه الأنظمة، أصبحت الآلات قادرة على التعرف على الأنماط، والتكيف مع المواقف غير المتوقعة، ما جعلها أكثر فعالية في معالجة المهام المعقدة مثل الرؤية الحاسوبية، والتعرف على الصوت، والترجمة الآلية.

من أبرز المعالم الحديثة في هذا المجال تفوق الأنظمة الذكية على البشر في بعض الأنشطة، مثل لعب الشطرنج، حيث نجح حاسوب "ديب بلو" في عام 1997 في هزيمة بطل الشطرنج العالمي غاري كاسباروف، ولعب Go، حيث تمكن الحاسوب AlphaGo في عام 2016 من الفوز على بطل العالم في

¹ - جون مكارثي، مارفن مينسكي، ناثانيال روتشستر، وكلود شانون، "اقترح لمشروع دارتموث الصيفي لأبحاث الذكاء الاصطناعي"، 31 أغسطس 1955، أعيد نشره في مجلة AI Magazine، المجلد 27، العدد 4، 2006، ص 12-14.

² - Crevier, Daniel. AI: The Tumultuous History of the Search for Artificial Intelligence, Basic Books, 1993.

اللعبة، وهو ما يعد مقياساً مهماً في القدرة على محاكاة الذكاء البشري. إن هذه التحولات التكنولوجية السريعة قد غيرت تماماً المفاهيم التقليدية للذكاء والمعرفة.¹

2- الذكاء الاصطناعي ومحاكاة العقل البشري

يُعدّ العقل البشري من أكثر الظواهر تعقيداً وإثارة للاهتمام في تاريخ الفكر البشري، إذ يتجاوز دوره مجرد أداء وظائف معرفية، ليشمل الوعي بالذات، والانفعال، والقدرة على اتخاذ قرارات ضمن سياقات اجتماعية وأخلاقية معقدة. ومنذ نشأة الذكاء الاصطناعي، طمح العلماء والمهندسون إلى بناء نماذج حاسوبية قادرة على تقليد بعض جوانب هذا العقل، في محاولة لمحاكاة بنيته الوظيفية والرمزية. ومع أن بعض التقدم قد أُحرز فعلاً في مجالات مثل معالجة اللغة الطبيعية والتعلم الآلي، إلا أن الجدل ما يزال محتدمًا حول ما إذا كانت هذه المحاكاة تمثل فعلاً إدراكاً حقيقياً أم مجرد تقليد سطحي لنتائج العقل.²

لقد استندت أغلب مقاربات الذكاء الاصطناعي إلى فهم الآلة كوسيلة لتنفيذ خطوات منطقية متسلسلة لحل مشكلات محددة، على غرار ما يقوم به الإنسان في بعض المهام. وتقوم النماذج العصبية الحديثة على تمثيل رياضي مستوحى من الخلايا العصبية الدماغية، فتقوم الحواسيب بالتعلم عبر تحليل ملايين البيانات وتعديل روابطها الداخلية. إلا أن هذه البنى الحاسوبية، رغم تطورها الكبير، تظل خالية من المعنى الحقيقي لما تقوم به، إذ تفتقر إلى النية والوعي.³

وفي هذا السياق، تبرز إشكالية فلسفية محورية: هل يمكن فعلاً محاكاة العقل الإنساني باستخدام أدوات رياضية خالصة؟ وهل يكفي أن تبدو الآلة وكأنها "تفكر" لكي نقول إنها تملك عقلاً؟ لقد أثار جون سيرل هذه الأسئلة بوضوح في تجربته الافتراضية المعروفة بـ"الغرفة الصينية"، والتي أظهر من خلالها أن اتباع قواعد رمزية لا يعني بالضرورة وجود فهم أو إدراك للمعاني.⁴ فحتى وإن استطاعت الآلة

¹ وجيه بنروز، عقل الإمبراطور الجديد: حول الحواسيب والعقول وقوانين الفيزياء، ترجمة فتحي عبد السميع، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2004، ص 60.

² ديفيد سيلفر وآخرون، "إنقان لعبة الغو باستخدام الشبكات العصبية العميقة والبحث الشجري"، مجلة نيتشر، المجلد 529، العدد 7587 (2016): ص 484-489.

³ جون سيرل، "العقول"، الأدمغة والبرامج، العلوم السلوكية والعصبية، المجلد 3، العدد 3، 1980، ص 417-424.

⁴ يان لوكون، ويوشوا بنجيو، وجيفري هينتون، "التعلم العميق"، مجلة نيتشر، المجلد 521، العدد 7553 (ماي 2015)، ص 436-444.

إنتاج جمل مفهومة أو حل مسائل معقدة، فإنها لا تدرك ما تقوم به، ما يجعل محاكاتها للعقل محض عملية شكلية خالية من التجربة الواعية.

إضافة إلى ذلك، فإن العقل البشري لا ينفصل عن الجسد والبيئة، فهو نتيجة تفاعل متكامل بين الإدراك الحسي، واللغة، والسياق الثقافي، مما يجعل أي محاولة لفصله عن هذه المحددات محاولة ناقصة. فالإدراك البشري ليس فقط عملية عقلية، بل هو مجسد (embodied)، ويحدث ضمن عالم مملوء بالمعاني والتجارب التي لا يمكن تمثيلها رقمياً بشكل كامل¹، إن ما تحققه النماذج الحاسوبية من تقنيات متقدمة هو في الحقيقة محاكاة لبعض الوظائف العقلية الجزئية، لكنها لا ترقى إلى مستوى الذكاء العام أو الإدراك الشامل للعالم. فالعقل البشري يتميز بالمرونة، والقدرة على التأمل الذاتي، والوعي بالزمن، وهذه خصائص يصعب برمجتها أو تمثيلها من خلال التعليم الآلي وحده. لذا فإن الفجوة بين المحاكاة الرقمية والعقل البشري ليست فقط فجوة تقنية، بل هي أيضاً فجوة إبستمولوجية وأنطولوجية²، كما أن محاكاة العقل تطرح إشكالات أخلاقية وفلسفية تتعلق بالهوية والوعي والمعنى. فلو افترضنا وجود آلة تحاكي العقل بدقة، هل ستكون كائنًا واعيًا؟ هل ستكون مسؤولة أخلاقياً عن أفعالها؟ وما الفرق بين الذكاء كأداة وظيفية وبين الوعي كحالة وجودية؟ هذه الأسئلة تُبين أن المحاكاة ليست فقط مشروعاً علمياً بل هي أيضاً مسألة فلسفية عميقة، تتطلب إعادة نظر شاملة في مفاهيم الإنسان والعقل والتجربة.

الإمبراطور الجديد: حول الحواسيب والعقول.

3- الذكاء الاصطناعي اليوم وتحدياته المستقبلية

اليوم، لا يُعد الذكاء الاصطناعي مجرد مجال أكاديمي أو تكنولوجي محصور في مختبرات البحث، بل أصبح جزءاً من الحياة اليومية في شكل تطبيقات الذكاء الاصطناعي المنتشرة في العديد من المجالات: من محركات البحث مثل غوغل، إلى المساعدين الشخصيين مثل سيري وأليكسا، وصولاً إلى السيارات الذاتية القيادة، والرعاية الصحية، والتمويل، وحتى الفن. لكن ما يزال هناك العديد من التحديات الفلسفية والإبستمولوجية المرتبطة بمستقبل الذكاء الاصطناعي. أبرز هذه التحديات هو السؤال حول ما إذا كانت الآلات قادرة على تحقيق نوع من "الوعي" أو "الفهم" الذي يمتلكه الإنسان، وكيف يمكن للذكاء الاصطناعي أن يتفاعل مع القيم الأخلاقية.

¹ جون سيرل، "العقول، الأدمغة، والبرامج"، العلوم السلوكية والعصبية، المجلد 3، العدد 3، 1980، ص ص 417-424

² أنطونيو دامازيو، الشعور بما يحدث: الجسد والعاطفة وصنع الوعي، ترجمة فؤاد شاهين دار الكتاب العربي، بيروت، 2008، ص 112

المبحث الثاني: الذكاء الاصطناعي والمشكلات الإستمولوجية

تطرح الثورة التكنولوجية، وبخاصة الذكاء الاصطناعي، تحديات إستمولوجية غير مسبقة تمس جوهر المعرفة وحدودها، فبينما تسعى الفلسفة منذ القدم إلى فهم شروط المعرفة ومصادرها وحدودها، جاء الذكاء الاصطناعي ليقحم نفسه في قلب هذا الجدل، من خلال قدرته على التعلم الآلي، واتخاذ القرارات، ومعالجة المعلومات. غير أن هذه القدرة تثير تساؤلات حول ما إذا كانت هذه النظم تمتلك معرفة حقيقية، وما إذا كانت تعتبر ذاتاً إستمولوجية قادرة على الفهم وإنتاج المعرفة لا مجرد أدوات للمعالجة. في هذا السياق، يناقش هذا المبحث أبرز الإشكالات الإستمولوجية التي يطرحها الذكاء الاصطناعي.

أولاً: هل المعرفة التي تنتجها الآلة "معرفة" بالمعنى الفلسفي؟

يُعد مفهوم المعرفة من أكثر المفاهيم الفلسفية تعقيداً، حيث تُعرّف تقليدياً بأنها "الاعتقاد الصادق المبرر" (*Justified True Belief*). هذه الصيغة الثلاثية تفترض أن المعرفة ليست مجرد امتلاك لمعلومة، بل تتضمن صدق المعلومة، اقتناع الذات بها، وأساساً يبرر هذا الاعتقاد. في المقابل، ما تنتجه أنظمة الذكاء الاصطناعي اليوم يثير جدلاً كبيراً حول مدى انطباق هذه المعايير الكلاسيكية عليها، خصوصاً أن الآلة لا تمتلك ذاتاً عارفة واعية، ولا "تؤمن" بما تنتجه، بل تقوم فقط بتركيب مخرجات استناداً إلى قواعد إحصائية وخوارزميات تعلم الآلة.¹

فالآلة مهما بلغت قدرتها في معالجة المعطيات، لا يمكنها أن تدعي "امتلاك المعرفة" ما دامت غير قادرة على التمييز الواعي بين الصواب والخطأ، أو الدفاع عن مخرجاتها بوصفها مبررة. فهي لا تمتلك نية قصدية (*Intention*) ولا وعياً بمخرجاتها، مما يجعل "المعرفة" التي تقدمها تختلف جوهرياً عن المعرفة الإنسانية التي تستند إلى تجربة ذاتية ووعي نقدي.²

هذا ما ذهب إليه كارل بوبر في حديثه عن معيار "التكذيب" (*Falsifiability*) "في المعرفة العلمية، حيث يشترط أن تكون المعرفة قابلة للنقد والاختبار. غير أن الآلة لا تنتج معرفة قابلة للنقد من داخلها، لأنها لا تملك آلية ذاتية للشك أو التقييم، وبالتالي فإن المعرفة المنتجة منها تظل ضمن إطار "نتائج خوارزمية" وليست "معرفة فلسفية" بالمعنى الدقيق.³

¹ Alvin Goldman, *Knowledge in a Social World*, Clarendon Press, Oxford, 1999, 45

² ألفين غولدمان، "المعرفة في عالم اجتماعي"، أوكسفورد: كلارندون برس، 1999، ص 45.

³ كارل بوبر، "افتراضات ودحض"، روتليدج، لندن، 1963، ص 37.

ثانيًا: مصادر المعرفة في الذكاء الاصطناعي – من الحدس الإنساني إلى البيانات الرقمية

في السياق الإبيستيمولوجي التقليدي، تندرج مصادر المعرفة تحت ثلاث فئات رئيسية: الإدراك الحسي، والعقل، والشهادة أو التلقين. لكن الذكاء الاصطناعي لا يمتلك إدراكًا حسيًا، ولا عقلاً بالمعنى الديكارتي، ولا يخضع لتلقين تأويلي كما في التجربة الإنسانية، بل يُرمج على استقبال كميات ضخمة من البيانات، والتعلم منها عبر نماذج إحصائية متقدمة تُعرف بـ "التعلم الآلي (Machine Learning)" و"التعلم العميق (Deep Learning)".

وبذلك، تصبح البيانات (Data) هي المصدر الأساسي لما يسمى "المعرفة" في الأنظمة الذكية. هذه المعرفة ليست نتيجة تفكير تأملي، بل حصيلة تحليل نمطي للمعلومات المخزنة، وغالبًا ما تكون منحازة أو محدودة بسياقات معينة، مما يفقدها القدرة على التعميم أو التأويل النقدي.¹

وتزداد الخطورة حين تُعتمد نتائج هذه الآلات كمرجع في اتخاذ قرارات مصيرية – كالمجال الطبي، أو العدالة الجنائية، أو الاقتصاد – دون مساءلة للبيانات المستخدمة أو آليات التحليل وحتى البرمجيات وهذا ما يشير إليه (نيك بوستروم) عندما اعتبر أن المعرفة المنتجة عبر الذكاء الاصطناعي ليست إدراكًا حقيقيًا، بل أشبه بـ "انعكاس تنبؤي" يعتمد على احتمالات رياضية دون فهم جوهري للموضوع.²

فالذكاء الاصطناعي لا يفكر، بل "يتوقع" استنادًا إلى ما تعلّمه، وهذه التوقعات قد تكون مضلّة ما لم تُخضع للتمحيص الإبيستيمولوجي. الأمر الذي يعيد إلى الواجهة التمييز بين "المعرفة الحقيقية" و"البيانات المصنّعة" في ظل التوسع الرقمي.

ثالثًا: الذكاء الاصطناعي والمعرفة السياقية (السياق المعرفي)

جانب أساسي من المعرفة الإنسانية هو الارتباط بالسياق، سواء أكان سياقًا لغويًا، ثقافيًا، أو اجتماعيًا، أما أنظمة الذكاء الاصطناعي، فهي تفتقر في الغالب إلى فهم حقيقي للسياقات، لأن "معرفتها" لا تقوم على التجربة أو المعاشية، بل على معالجة معطيات فيزيائية أو رقمية. تقوم الأنظمة الذكية بتحليل نصوص وسلوكيات ومؤشرات كمية، لكنها لا تفهم النية أو الغرض من وراء هذه السلوكيات. وهذا يجعل معرفتها سطحية في كثير من الأحيان، بل وعرضة للتأويل الخاطئ إذا لم تُربط بسياقاتها الواقعية.

¹ لوتشيانو فلوريدي، "فلسفة المعلومات"، أوكسفورد: منشورات جامعة أوكسفورد، 2011، ص 89.

² نيك بوستروم، الذكاء الخارق: المسارات، المخاطر، والاستراتيجيات، مطبعة جامعة أوكسفورد، أوكسفورد، 2014، ص 102.

فالمعرفة الآلية لا تُراعي تعدد الأبعاد الرمزية أو الأخلاقية أو التاريخية للمواقف الإنسانية، وهو ما يجعلها محدودة الفاعلية عندما تُقارن بالمعرفة البشرية التي تتضمن خبرة ذاتية وتأويلاً مرناً للمعنى يتبين من التحليل أن المعرفة المنتجة من قبل أنظمة الذكاء الاصطناعي لا تستوفي شروط المعرفة الفلسفية التقليدية، سواء من حيث المصدر، أو التبرير، أو الصدق. كما أن الآلة، رغم قدرتها على المعالجة الفائقة، لا تملك الذاتية، ولا الوعي، ولا القدرة على إدراك السياقات، مما يجعل "معرفتها" ذات طابع آلي إحصائي، لا إستمولوجي نقدي. وعليه، فإن الذكاء الاصطناعي يحدث تحولاً كبيراً في فهمنا لطبيعة المعرفة، لكنه لا يُنتج معرفة بالمعنى الفلسفي الصارم.¹

رابعاً: الإشكالات الأخلاقية في الذكاء الاصطناعي: بين المسؤولية الأخلاقية، وحرية الفعل، وتشئ الإنسان

إذا كانت الفلسفة قد انشغلت منذ نشأتها بأسئلة "ما ينبغي أن يكون"، فإن الذكاء الاصطناعي، في صيغته الحديثة، يفرض على الفكر الأخلاقي سؤالاً جديداً تماماً: من يتحمل المسؤولية عندما تتخذ الآلة قراراً؟ هذا السؤال يتجاوز النقاشات التقنية إلى مستوى أخلاقي وجودي، يتداخل فيه الفعل التقني بالفعل الإنساني، ويضطرب فيه مفهوم المسؤولية الأخلاقية ذاته. لقد بات واضحاً أن الذكاء الاصطناعي لم يعد مجرد أداة تساعد الإنسان، بل أصبح في كثير من الأحيان فاعلاً شريكاً، يتخذ قرارات مؤثرة تتعلق بالحياة والموت، كما هو الحال في أنظمة التشخيص الطبي، السيارات ذاتية القيادة، والأنظمة العسكرية المؤتمتة.

في هذا السياق، تواجه الفلسفة الأخلاقية عدة إشكالات جوهرية. أولها إشكالية المسؤولية الأخلاقية: من نلوم عندما يُتخذ قرار خاطئ من طرف نظام ذكاء اصطناعي؟ هل نحمل المبرمج؟ المصنّع؟ المستخدم؟ أم أن هناك حاجة لإعادة تعريف المسؤولية ذاتها في ضوء كيانات "لا بشرية" تتخذ قراراتها وفق خوارزميات؟ يرى بعض الفلاسفة مثل لوك فان ميليس وسبانوس أن الذكاء الاصطناعي يضعنا أمام "توزيع غير مسبوق للمسؤولية"، حيث يتداخل فيها البشري مع غير البشري، وتصبح النية والأثر مفككين، وهو ما يجعل التقييم الأخلاقي تقنياً معقداً، بل غائماً في كثير من الأحيان.²

¹-بول ريكور، "نظرية التأويل: الخطاب وفائض المعنى"، فورت وورث: منشورات جامعة تكساس المسيحية، 1976، ص 22.

²-Spanos, Elias, & Van Mil, Lukas. "Responsibility Gaps in Artificial Intelligence Decision-Making: A Philosophical Perspective." *AI & Society*, 2020. P50.

ثانيًا، تطرح مسألة حرية الفعل تساؤلات مقلقة عن استقلالية الإنسان في عالم تُصاغ فيه اختياراته من قبل خوارزميات "ذكية". فالخوارزميات اليوم تُقرر ما نراه على مواقع التواصل، وما نستهلكه، وأحيانًا حتى من نواعده ومن نرتبط به. هذا "التوجيه الخوارزمي" يضع حرية الإنسان في موضع الشك، ويفرض إعادة التفكير في مفاهيم مثل الاختيار، والنية، والاستقلالية، التي شكلت عماد الفلسفات الأخلاقية الكبرى، من كانط إلى سارتر. فهل ما زال الإنسان فاعلاً حرًا؟ أم أنه بات محكومًا بأنظمة تنبؤية تعرف اختياراته قبل أن يدركها؟ يرى الفيلسوف شوشانا زوبوف، في كتابها *عصر رأسمالية المراقبة*، أن الذكاء الاصطناعي قد أدّى إلى ولادة شكل جديد من السلطة الناعمة، حيث يتم التلاعب بالاختيارات من خلال البيانات والخوارزميات، ما يجعل الحرية ذاتها مسألة إجرائية موجهة.¹

أما ثالث الإشكالات، فهي إشكالية القيمة الإنسانية في عصر تحوّلت فيه الكثير من الوظائف الإنسانية إلى مهام تقوم بها الآلة بكفاءة أعلى، وأحيانًا بحسّ "لا خطأ فيه". هذا يدفعنا إلى التساؤل: ما الذي يميز الإنسان في عالم باتت فيه الآلة تفكر، تتعلم، تنتج، وتختبر؟ هل نحن مقبلون على "نزع الطابع الإنساني" عن الفعل الإبداعي ذاته؟ وهل يمكن للآلة أن تُنتج أدبًا، أو فنًا، أو فلسفة، تكون لها نفس القيمة الأخلاقية والرمزية التي يحملها الإبداع الإنساني؟ يرى البعض، مثل نيك بوستروم، أن الذكاء الاصطناعي الخارق (Superintelligence) يمكن أن يتجاوز القدرات البشرية بشكل نهائي، مما يطرح احتمال تشييء الإنسان، بل وربما إقصائه من مراكز القرار الحيوي في المستقبل.²

وبين هذه الإشكالات، يظهر سؤال المعايير الأخلاقية التي ينبغي برمجة الذكاء الاصطناعي عليها. فهل نبرمجه وفق أخلاقيات عالمية؟ أم وفق منظومات ثقافية محلية؟ وماذا عن الصراعات القيمية بين المجتمعات؟ إن أخلاقيات الآلة أصبحت حقلاً فلسفيًا قائمًا بذاته، تتقاطع فيه أسئلة القانون، والدين، والثقافة، مع مسائل البرمجة والهندسة. ويظهر هذا بشكل جلي في تجارب مثل "مفارقة العربة (Trolley Problem)" التي طُبقت على السيارات ذاتية القيادة: إذا وُضعت السيارة أمام خيار بين قتل شخص واحد أو مجموعة من الأشخاص، من تُنفذ؟ وعلى أي معيار؟ هذه التجربة التي كانت في الأصل فرضية فلسفية، أصبحت اليوم واقعًا عمليًا تواجهه الشركات التكنولوجية الكبرى.³

¹-Zuboff, Shoshana. *The Age of Surveillance Capitalism*, PublicAffairs, 2019. P84.

²- نيك بوستروم، المرجع السابق، ص 102.

³-Bonneson, Jean-François, et al. "The Moral Machine Experiment." *Nature*, vol. 563, no. 7729, 2018, pp.

59–64.

إن كل هذه الإشكالات تُظهر أن الذكاء الاصطناعي ليس فقط تحديًا تقنيًا، بل هو أولًا وأساسًا تحدٍ فلسفي أخلاقي، يُجبرنا على إعادة التفكير في شروط الفعل، وحدود الإنسان، ومآلات القيم في عالم تتقاطع فيه الخوارزميات مع الضمير. وإذا كانت الفلسفة قد عرّفت الأخلاق بأنها "علم ما ينبغي أن يكون"، فإن الذكاء الاصطناعي، في صيغته الحالية والمستقبلية، يعيد طرح السؤال على نحو جديد: من الذي يقرر "ما ينبغي أن يكون"؟ الإنسان؟ أم الخوارزمية؟

خامسًا: الفلسفة في مفترق الطرق: أزمة المعنى، وتراجع المكانة، وتحولات العصر الرقمي

لطالما كانت الفلسفة تُعدّ من أعرق أشكال النشاط العقلي الذي مارسه الإنسان لفهم ذاته وعالمه، إذ تأسست منذ بداياتها بوصفها سعيًا نحو الحكمة، وبحثًا عن المبادئ الأولى للوجود والمعرفة والأخلاق. ومنذ سقراط إلى ديكارت، ومن كانط إلى هيدغر، لم تنفصل الفلسفة عن همّ التساؤل وقلق المعنى، بل كانت دومًا مرآة لزمناها، تسائله وتتفحص مساراته. غير أن الفلسفة، وهي تدخل الألفية الثالثة، تواجه أزمة عميقة في مكانتها ووظيفتها، إذ أصبحت مهددة بالتهميش وسط طوفان المعارف المتخصصة، وهيمنة التكنولوجيا، وتراجع الإيمان بجدوى الخطاب التأملي المجرد في مواجهة واقع عملي متسارع.

ففي ظل العصر الرقمي وتحولاته المتسارعة، لم تعد الأسئلة الفلسفية الكلاسيكية تبدو بنفس الجاذبية أو الإلحاح بالنسبة إلى الإنسان المعاصر، الذي أصبح محاطًا بتطبيقات عملية وتكنولوجيات ذكية تسهّل حياته، وتمنحه إجابات آنية وسريعة. وهكذا، بات يُنظر إلى الفلسفة أحيانًا على أنها "ترف فكري"، أو خطاب نظري بعيد عن هموم الواقع، بل و"عديم النفع" مقارنة بالعلوم الدقيقة أو التكنولوجيا الحديثة. ويعبّر عن هذا الشعور بعض المفكرين مثل ستيفن هوكينغ، الذي صرّح سنة 2011 أن "الفلسفة قد ماتت، لأنها لم تواكب التطورات العلمية المعاصرة، وخصوصًا في الفيزياء"¹.

هذه النظرة التبخيسية للفلسفة لم تأت من فراغ، بل تعكس تحولًا جذريًا في أنماط التفكير ومرجعيات الفهم، حيث أصبحت الفعالية، والسرعة، والنتائج العملية هي المعيار الأول للحقيقة. وبالتالي، فإن الخطاب الفلسفي، الذي يشغل على المفاهيم، والتأمل، وإثارة الأسئلة بدل تقديم الإجابات، أصبح يعاني من أزمة شرعية معرفية، أمام ما يُنظر إليه كمعارف "منتجة" و"مفيدة" كالعلم والتقنية. كما ساهم في هذا الوضع أيضًا تراجع التعليم الفلسفي في كثير من المجتمعات، وغياب الفلسفة عن المنصات العامة ومراكز القرار، مما عمّق من تغريب الفيلسوف عن عصره.

¹ Op Cite, pp. 64.

لكن، وفي مقابل هذا التراجع، يرى كثير من المفكرين أن الأزمة نفسها هي ما يُعيد للفلسفة ضرورتها. فالعالم المعاصر، بما فيه من تعقيدات أخلاقية، وتحديات معرفية، وتحولات وجودية، لا يمكن التعامل معه فقط عبر الأدوات التقنية أو النماذج الرياضية، بل يحتاج إلى فكر نقدي، شامل، يتجاوز التخصصات، ويعيد طرح الأسئلة الجوهرية عن الإنسان، والقيم، والغاية. وهنا تستعيد الفلسفة دورها بوصفها خطاباً كاشفاً، نقدياً، يُمارس فعله في الثغرات والفجوات، حيث تعجز باقي الخطابات عن الإجابة. وقد عبّر عن ذلك يورغن هابرماس حين رأى أن الفلسفة يجب أن تلعب دور "الوسيط التأويلي بين أنماط المعرفة المتخصصة والمجتمع"، فهي التي تملك القدرة على إضفاء المعنى على المعارف، وربطها بالسياق الإنساني والأخلاقي¹.

وبناء على ذلك، يمكن القول إن الفلسفة، وإن بدت اليوم في أزمة، فإن هذه الأزمة ليست إعلاناً عن نهايتها، بل هي دعوة متجددة إلى إعادة النظر في أسئلتها، ووظائفها، ومناهجها. إنها مدعوة إلى أن تنفتح على معارف العصر، وعلى رأسها الذكاء الاصطناعي، لا باعتبارها مجرد تقنيات، بل بوصفها تحولات أنطولوجية وإبستمولوجية، تفرض أنماطاً جديدة للفهم الوجود. وهنا، تحديداً، تكمن فرصة الفلسفة في أن تُعيد تأكيد دورها بوصفها ضميراً نقدياً للعصر، وصوتاً يتساءل عن ما لم يُسأل بعد، ويُنذر بما لا يُرى بسهولة.

لقد حاولنا من خلال هذا المبحث أن نلامس التعقيد الفلسفي الذي تُثيره علاقة الذكاء الاصطناعي بالإبستمولوجيا المعاصرة، من خلال مساءلة شروط المعرفة، ومفاهيم الذات العارفة، والوعي، والتفكير. وقد تبين أن الذكاء الاصطناعي – رغم تطوره التقني المذهل – لا يزال عاجزاً عن تمثيل المفاهيم الفلسفية العميقة للوعي والمعرفة، نظراً لكون هذه الأخيرة مشروطة بالذاتية، والحضور القصدي، والسياق الإنساني.

كما برزت إشكالية مركزية تتعلق بما إذا كان من الممكن اعتبار الآلة "ذاتاً إبستمية"، وهو ما وُوجه بتشكيك عميق من قبل الفلسفة المعاصرة التي ترى أن التفكير لا يُختزل في المعالجة المنطقية أو الحسابية، بل يتطلب الوعي والمعنى والنية، وهي عناصر تظل غائبة في الذكاء الاصطناعي الحالي².

¹ -Hawking, Stephen. Interview with *The Guardian*, 2011, P56.

² -Habermas, Jürgen. *The Future of Human Nature*. Polity Press, 2003. p. 113

لقد ظهر أن الذكاء الاصطناعي، في أفضل حالاته، يُجسّد قدرة عالية على "محاكاة" مظاهر من السلوك المعرفي البشري، دون أن يتجاوز عتبة "الفهم الحقيقي". وبذلك، فإن الفاصل الإستيمولوجي بين الإنسان والآلة لا يزال قائماً، وإن تضاءلت مظاهره الخارجية بفعل تطور التقنية.

وفي ضوء هذه الملاحظات، يُطرح تساؤل مفتوح: هل يمكن، مستقبلاً، أن تتأسس "إستيمولوجيا جديدة" مستمدة من الذكاء الاصطناعي نفسه؟ أي هل يمكن أن تفرز الآلة نموذجاً معرفياً خاصاً بها، يُعيد تشكيل مفاهيم العقل والمعرفة والذات؟ هذا التساؤل يفتح أفقاً جديداً للبحث الفلسفي في زمن الذكاء الاصطناعي.

سادساً: التحديات الإستيمولوجية للذكاء الاصطناعي: بين أزمة الحقيقة وتحولات المعرفة

إن ظهور الذكاء الاصطناعي، خاصة في صيغته الحديثة المعتمدة على الخوارزميات التعليمية والبيانات الضخمة، لم يشكل فقط ثورة تقنية في الحوسبة والتطبيقات الذكية، بل أفضى كذلك إلى هزة إستيمولوجية عميقة طالت بنية المعرفة ذاتها، وأعادت طرح سؤال الحقيقة والمعرفة في ضوء أدوات غير بشرية تُنتج، وتُقيّم، وتُصنّف المعطيات وفق منطق مختلف كلياً عن المناهج التقليدية للعلم والفلسفة. وهنا، تبرز إشكالية مركزية في فلسفة المعرفة المعاصرة: كيف نضمن صدق المعرفة التي تنتجها أنظمة لا تمتلك وعياً أو قصداً أو معنى؟ وهل يمكن أن نثق في "حقائق" تُستنتج رياضياً من بيانات، دون أن نعرف آلية استخلاصها؟ وهل المعرفة، في جوهرها، عملية حسابية يمكن تفويضها للخوارزميات، أم أنها تتطلب حدّاً أدنى من الفهم الإنساني والتأويل؟

في ظل التطور الكبير في نماذج الذكاء الاصطناعي، خصوصاً تقنيات التعلم العميق (Deep Learning)، نجد أنفسنا أمام "حقائق" تُستخلص من بنى رياضية معقدة لا نمتلك معرفة دقيقة بها، أو نتائج معرفية يصعب تفسيرها. تعتمد هذه الخوارزميات على عمليات حسابية معقدة تتيح لها اتخاذ قرارات دون قدرة حتى على تفسير آلياتها من قبل الشركات المطورة. تُعرف هذه الظاهرة في فلسفة الذكاء الاصطناعي بـ "مشكلة الصندوق الأسود" (Black Box Problem)، والتي تشير إلى افتقار المعرفة المستخلصة من الآلة للشفافية الإستيمولوجية. وهذا يفتح نقاشاً جوهرياً حول ما إذا كانت هذه النتائج تُعد معرفة حقيقية تستند إلى فهم واع، أم مجرد استجابات وظيفية تفتقر إلى المضمون المعرفي الحقيقي.¹

¹ - جينا بوريل، «كيف تفكر الآلة: فهم غموض خوارزميات التعلم الآلي»، البيانات الضخمة والمجتمع، 2016، ص 70.

كما أن الذكاء الاصطناعي يعيد تشكيل مفهوم الموضوعية ذاتها. فإذا كانت الموضوعية في العلم تعني القابلية للتحقق والتكرار والحياد، فإن البيانات التي تعتمد عليها الأنظمة الذكية اليوم قد تكون منحازة، أو مشحونة بثقافة معينة، أو حتى مشوهة إحصائياً، ما يعني أن "النتائج الموضوعية" التي تنتجها ليست بريئة. وقد أثبتت العديد من الدراسات أن خوارزميات الذكاء الاصطناعي تعكس التحيزات الاجتماعية، مثل العرق والجنس والطبقة، لأنها تدربت على بيانات بشرية منحازة في الأصل. وبهذا، تفرض علينا هذه الظاهرة مراجعة المفاهيم الإبيستمولوجية الكلاسيكية، وخصوصاً نظرية الانعكاس التي ترى في المعرفة تطابقاً بين الذهن والواقع، فهل ما تُنتجه الآلة هو انعكاس للواقع، أم بناء احتمالي وفق معايير رياضية باردة؟¹.

من جهة أخرى، تبرز إشكالية سلطة المعرفة في عصر تهيمن فيه الآلات على إنتاج المعرفة وتصنيف الأفراد وتحديد الأولويات. فالخوارزميات لم تعد مجرد أدوات تقنية، بل تحوز سلطة ضمنية تؤثر على سلوك الإنسان بشكل غير واعٍ، وتعيد تشكيل أنماط تفكيره. بهذا المعنى، لا يقتصر دور الذكاء الاصطناعي على توليد معرفة جديدة فحسب، بل يتعداه إلى إعادة هندسة آليات المعرفة نفسها، مما يؤدي إلى تهميش الإنسان كمصدر مركزي للحكم والتأويل. وهذا الأمر يفرض على الفلسفة الإبيستمولوجية إعادة النظر في طبيعة العلاقة بين الذات والقدرة على المعرفة، وفي الفواصل الفلسفية بين العارف والآلة، بين الفهم والبرمجة، وبين الحقيقة والتوقع.²

في هذا السياق، يؤكد عدد من فلاسفة المعرفة، من بينهم لوك فان دن دري وإيريك شرودر، أن الذكاء الاصطناعي لا يشكل مجرد تهديد للمعرفة التقليدية، بل يمثل تحوُّلاً جوهرياً في فهمنا لمفهوم المعرفة ذاته. فالمعرفة لم تعد مقتصرة على كونها "امتلاك تبرير صادق للاعتقاد"، كما كان مألوفاً في الإبيستمولوجيا الكلاسيكية، بل أصبحت شبكة معقدة من الترابطات الرقمية التي تستند إلى الإحصاء، التوقع، وأنماط السلوك. في هذا الإطار، تتحول المعرفة إلى أداة للسيطرة أكثر مما هي وسيلة للفهم، مما يجعل التساؤل حول "كيفية المعرفة" مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بالسؤال عن "من يمتلك سلطة التحكم في أدوات المعرفة؟"³.

¹- كاثي أونيل، أسلحة /التمير الرياضي: كيف تزيد البيانات الضخمة من التفاوت وتهدد الديمقراطية، كراون للنشر، نيويورك، دس، ص 31.

²-Mittelstadt, Brent, et al. "The Ethics of Algorithms: Mapping the Debate." Big Data & Society, 2016, P86.

³-Luc Van den Dries and Erik Schroeder, Epistemology in the Age of Artificial Intelligence, Journal of Digital Philosophy 12, no. 3? 2023, PP 58-75.

هذا التحدي الإستيمولوجي الذي يفرضه الذكاء الاصطناعي يدعو الفلسفة اليوم إلى إعادة النظر في أدواتها وتجديد مناهجها، والعودة إلى السؤال الجوهرى: ما هي طبيعة المعرفة؟ وكيف يمكن التفريق بين المعلومة والمعرفة، وبين التوقع والفهم، وبين النفعية والحقيقة؟ هذه مهمة فلسفية ملحة في زمن باتت فيه الحقيقة قابلة للتفكيك من خلال الخوارزميات، وأصبحت المعرفة سلعة يمكن برمجتها وتشكيلها.

المبحث الثالث: "قيمة الفلسفة في عصر الذكاء الاصطناعي"

1- التحديات الأخلاقية المرتبطة بالذكاء الاصطناعي

في ظل التطورات التكنولوجية المتسارعة، لم يعد الذكاء الاصطناعي مجرد أداة تقنية صماء، بل أصبح عنصرًا فاعلاً يؤثر على مخرجات القرارات الإنسانية في مجالات متعددة. وبهذا المعنى، تفرض علينا هذه التكنولوجيا الناشئة مراجعة فلسفية معمقة، خاصة في ما يتعلق بالأبعاد الأخلاقية الناتجة عن استخدام الأنظمة الذكية في البيئات الإنسانية والاجتماعية. إذ إن الذكاء الاصطناعي، رغم ما يوفره من إمكانيات، يثير تحديات أخلاقية معقدة تتطلب تدخلاً فلسفياً عاجلاً، سواء من حيث المسؤولية الأخلاقية لصانع القرار، أو من حيث الانحياز الخوارزمي، إضافة إلى الخصوصية والمراقبة الرقمية.

أولاً: حدود المسؤولية في اتخاذ القرار الآلي

إن أحد أبرز الإشكالات الأخلاقية التي فرضها الذكاء الاصطناعي تتمثل في مسألة المسؤولية، خاصة في الأنظمة التي تتخذ قرارات حاسمة مثل التشخيص الطبي، التوصيات القضائية، أو حتى العمليات العسكرية. ففي الحالات التي يحدث فيها خلل أو خطأ، تبرز إشكالية: من يتحمل المسؤولية؟ هل المبرمج؟ أم الشركة؟ أم المستخدم النهائي؟ هذه الأسئلة تمثل ما يسميه بعض المفكرين بـ"فراغ المسؤولية الأخلاقية" في بيئات العمل التي تعتمد على الذكاء الاصطناعي، لا سيما تلك التي تُبنى على تقنيات التعلم الآلي، والتي قد تُنتج سلوكيات يصعب التنبؤ بها حتى من قبل مطوريها¹.

ويشير الفيلسوف الأمريكي جيمس مور إلى أن القضايا الأخلاقية المرتبطة بالذكاء الاصطناعي تتعلق بصعوبة تحديد الفاعل الأخلاقي عند استخدام هذه الأنظمة، لأن الآلة لا تملك وعياً أو نية، بل هي نتيجة قرارات مبرمجة، ما يجعل العبء الأخلاقي يقع على عاتق الإنسان في نهاية المطاف¹.

ثانياً: الانحياز الخوارزمي، ومخاطر الخصوصية

تشكل البيانات المادة الخام للذكاء الاصطناعي، غير أن هذه البيانات ليست محايدة بطبيعتها، إذ إنها كثيراً ما تحمل بصمات التحيزات الاجتماعية والتاريخية. ومن هنا فإن الأنظمة الذكية قد تعيد إنتاج هذه التحيزات بشكل تلقائي، ما يؤدي إلى قرارات غير عادلة. فعلى سبيل المثال، أظهرت دراسات علمية أن خوارزميات التعرف على الوجه تكون أقل دقة عند التعامل مع ملامح الأشخاص من أعراق معينة، مما يعرضهم لمخاطر التمييز².

¹ - جوي بولوموني وتمنيت جبرو، "ظلال الجندر: تباينات الدقة التقاطعية في تصنيف الجندر التجاري"، في أعمال

أبحاث تعلم الآلة، المجلد 81، 2018، ص 8

² نفسه، ص 10.

وبالمثل، فإن استخدام الذكاء الاصطناعي في أنظمة التوظيف أو التمويل يمكن أن يؤدي إلى استبعاد غير مبرر لفئات معينة، بسبب تكرار الأنماط التاريخية الموجودة في البيانات. وبهذا يصبح "التحيز الخوارزمي" ظاهرة تُهدد مبدأ العدالة الاجتماعية الذي تسعى المجتمعات الديمقراطية إلى تحقيقه.

أما من جهة الخصوصية، فإن قدرة الذكاء الاصطناعي على جمع وتحليل كميات ضخمة من البيانات الشخصية، تجعل الإنسان عرضة للمراقبة الدائمة دون علمه. هذا ما أشارت إليه الباحثة شوشانا زوبوف في كتابها عن "رأسمالية المراقبة"، حيث ترى أن الشركات الكبرى تستغل الذكاء الاصطناعي لتحليل سلوك المستخدمين واستباق أفعالهم بهدف التأثير على خياراتهم، مما يشكل تهديدًا جوهريًا للحرية الفردية.¹

ثالثًا: الإطار الفلسفي للأخلاق في ظل الذكاء الاصطناعي

تسهم الفلسفة الأخلاقية في توفير نماذج تحليلية لفهم وتقييم السلوك التكنولوجي، وتقديم أدوات منهجية لمساءلة الاستخدامات الأخلاقية للتقنية. ومن بين أهم هذه النماذج نجد الفلسفة الكانطية، النفعية، وأخلاقيات الفضيلة.

فالأخلاق الكانطية تؤكد على أن الإنسان يجب أن يُعامل كغاية في ذاته، لا كوسيلة لتحقيق أهداف الآخرين أو مصالحهم، ما يفرض على مصممي الذكاء الاصطناعي الالتزام بمبادئ احترام الكرامة الإنسانية في كل نظام.²

أما الفلسفة النفعية، فقدّمها جون ستيوارت ميل على أساس أن الفعل الأخلاقي هو الذي يُفضي إلى أكبر قدر من السعادة لأكبر عدد من الناس. وفق هذا التصور، فإن تطوير الذكاء الاصطناعي يجب أن يُقيم على أساس فوائده العامة لا مصالحه التقنية فقط.³

وتتّرح أخلاقيات الفضيلة، التي طورها روزاليندهيرستهاوس، أن الأخلاق لا تقوم فقط على القواعد، بل على تطوير الصفات الفاضلة لدى الفاعلين أنفسهم، كالعدالة والنزاهة والحكمة. وهذا يفتح المجال أمام تساؤل عميق: هل يمكن للذكاء الاصطناعي أن يُبرمج بطريقة تُجسد هذه الفضائل؟⁴

¹ زوبوف، شوشانا. عصر رأسمالية المراقبة، تر: أحمد خيرى العمري دار التنوير، بيروت، 2019، ص 41

² كانط، إيمانويل. أسس ميتافيزيقا الأخلاق، تر: محمود يعقوبي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 1998، ص 42

³ ميل، جون ستيوارت. النفعية، تر: حسن يوسف، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 1863، ص 10

⁴ -هيرستهاوس، روزاليند. في أخلاقيات الفضيلة، أكسفورد: مطبعة جامعة أكسفورد، 1999، ص 77

2- الفلسفة وحماية القيم الإنسانية في عصر الذكاء الاصطناعي

مع صعود الذكاء الاصطناعي وتوغله في نسيج الحياة اليومية، يبرز سؤال محوري يتجاوز البُعد التقني: كيف نحمي الإنسان كقيمة وكذات حرة في عالم يتجه نحو التشيء والرقمنة الكلية؟ في هذا السياق، لا يُنظر إلى الفلسفة كتurf نظري أو خطاب أكاديمي معزول، بل كحارس للقيم، وكمجال نقدي قادر على إعادة توجيه المشروع التكنولوجي نحو أفق إنساني

أولاً: الفلسفة كحامية للكرامة الإنسانية

تُعد الكرامة الإنسانية من المبادئ الأساسية التي وقفت عندها الفلسفة مراراً، بداية من الفلسفة الكانطية التي رسخت مفهوم الإنسان كغاية في ذاته، إلى فلسفة الحق عند هابرماس التي تربط الكرامة بحرية التواصل والتفاهم العقلاني¹. هذه المبادئ تواجه اليوم خطر التآكل نتيجة هيمنة الأنظمة الذكية التي تهدد الفرد في خصوصيته، وتحصره في أنماط استهلاكية تُصممها خوارزميات غير مرئية. وقد نبّه الفيلسوف الفرنسي إريك سادان إلى هذه التحولات، حيث رأى أن الذكاء الاصطناعي ليس مجرد أداة، بل منظومة سلوكية تسعى إلى ضبط الإنسان وتوجيه سلوكياته، في مسعى خفي لمحو التعددية البشرية وتوحيد الأفعال² من هنا تأتي الحاجة إلى تجديد دور الفلسفة بوصفها قوة مقاومة للمنطق الشمولي الذي تفرضه التقنية، من خلال إعادة الاعتبار للمبادئ الكونية كالحرية، والعدالة، والمسؤولية.

ثانياً: الحاجة إلى "أخلاقيات الذكاء الاصطناعي"

تطالب اليوم مؤسسات عديدة - من الجامعات إلى الشركات الكبرى - بإدماج ما يُعرف بـ"أخلاقيات الذكاء الاصطناعي" في تطوير الأنظمة الذكية. غير أن هذا الاتجاه، وإن كان إيجابياً، غالباً ما يبقى محصوراً في قواعد تقنية أو معايير مهنية، دون التأسيس على أرضية فلسفية صلبة³. فالأخلاق لا تُختزل في الإرشادات، بل هي نسق فكري يُسائل الغايات، ويمتحن النوايا، ويُقيّم النتائج من منظور إنساني كلي.

¹ يورغن هابرماس، بين الوقائع والمعايير: إسهامات في نظرية الخطاب حول القانون والديمقراطية، ترجمة ويليام ريغ، ماساتشوستس: مطبعة معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا، كامبريدج، 1996، ص 104.

² - سادان، إريك. ذكاء اصطناعي، آخر اختراع للإنسان، ترجمة: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2021، ص 38.

³ - أنا جوبين، ومارشيلواينكا، وإيفيفينا، "المشهد العالمي لإرشادات أخلاقيات الذكاء الاصطناعي"، نيتشر للذكاء الاصطناعي الآلي، المجلد 1، 2019، ص 389.

وهنا يأتي دور الفلسفة كمرجعية نقدية تسمح بطرح الأسئلة الجوهرية: هل الذكاء الاصطناعي يُساهم في تحرير الإنسان أم في تدجينه؟ هل يعزز العدالة أم يعيد إنتاج الفوارق؟ هل يحترم استقلال الفرد أم يُخضعه لحسابات تجارية؟ إن هذه التساؤلات لا يمكن التعامل معها فقط عبر لوائح تقنية، بل تحتاج إلى عودة جادة للفلسفة كسلطة معيارية¹.

ثالثاً: التوازن بين التطور التكنولوجي والحفاظ على القيم

ليس المطلوب من الفلسفة أن تُعارض التكنولوجيا باسم "النوستالجيا الإنسانية"، بل أن تواكها وتُخضعها لمساءلة معرفية وأخلاقية. وهذا ما أشار إليه هانس يونس في كتابه "مبدأ المسؤولية"، حيث دعا إلى تطوير "أخلاقيات مستقبلية" تتناسب مع القدرة التكنولوجية الجديدة التي صارت تُمكن الإنسان من التأثير في شروط الحياة ذاتها.²

فالمسألة متعددة تتعلق فقط بالفعل الحاضر، بل بتبعاته البعيدة التي قد تضر بالبيئة أو تهدد الأجيال القادمة.

وبالتالي، فإن التوازن بين التقنية والقيم لا يكون بوقف التقدم، بل بإعادة هندسة هذا التقدم عبر رؤية فلسفية تضع الإنسان في مركز المشروع، وتُعيد للقرار البشري صفة السيادة بدل الخضوع لأتمتة غير شفافة.

3- مكانة الفلسفة في عصر الذكاء الاصطناعي

لقد أدى التطور المتسارع في الذكاء الاصطناعي إلى إحداث تغييرات جذرية في أنماط التفكير، وإعادة تشكيل العلاقة بين الإنسان والمعرفة. غير أن هذا التحول لا يعني تراجع دور الفلسفة أو اضمحلالها، بل إنه يستدعي حضورها بصورة أعمق وأشمل. فالفلسفة، وإن بدت في الظاهر بعيدة عن الإبداع التقني، إلا أنها تشكل البنية الخلفية لأي تساؤل حول غاية التقدم، ومعناه، وحدوده. من هنا، لا ينبغي النظر إلى الذكاء الاصطناعي كمجرد تهديد لمكانة الفلسفة، بل كمجال يعيد تفعيلها على نحو يتجاوز الأطر الأكاديمية التقليدية.

أولاً: الفلسفة في مواجهة "أسطورة" التقنية

لقد بلغ الخطاب التكنولوجي درجة من التقديس تجعله يبدو وكأنه يحمل وعد الخلاص، مُختزلاً كل أمل في المستقبل داخل قدرات الخوارزميات والآلات الذكية. هذا النزوع نحو "أسطورة التقنية" لا يُنتج

¹ - Boddington, Paula. Towards a Code of Ethics for Artificial Intelligence, Springer, 2017, P55.

² يونس، هانس. مبدأ المسؤولية: محاولة لأخلاق من أجل الحضارة التكنولوجية، تر: فؤاد شاهين، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 1984، ص 37

معرفة، بل وهماً مؤدجاً عن كفاءة غير محدودة للعقل الآلي. وهنا تتدخل الفلسفة كخطاب نقدي يفكك هذه الأوهام، ويُعيد الأمور إلى نصابها العقلاني.

يُحذر إريك سادان من هذا الخطاب التقني الغالب، ويرى أن الذكاء الاصطناعي يتم الترويج له كأداة محايدة، بينما هو في الحقيقة منتج أيديولوجي يحمل في داخله تصورات عن الإنسان والسوق والقوة¹. وبالتالي، فإن غياب الفلسفة في هذا السياق يعني ترك المجال مفتوحاً للهيمنة الرمزية للتقنية. ثانياً: الفلسفة كحكم معرفي بين الإنسان والآلة:

إن السؤال الفلسفي عن "المعرفة" لا يتوقف عند حدود الآليات التي تُنتج بها المعلومة، بل يمتد إلى التساؤل حول صدقها، مشروعيتها، ومآلاتها. وهنا تبرز الفلسفة كمجال يتموقع بين العلم والتقنية، لا لتنافسهما، بل لتمنحهما بعداً نقدياً يُقاوم النزعة الاختزالية التي ترى في المعرفة عملية حسابية فقط.

يرى جون سورل أن الآلات، مهما بلغ تعقيدها، تظل تفتقر إلى "المعنى القصدي" الذي يميز الفكر البشري، وهو ما يجعل من الفلسفة ضرورة لفهم حدود الذكاء الاصطناعي². فالفلسفة لا ترفض الذكاء الاصطناعي، لكنها ترفض تضخيم قدراته على نحو يُقصي الإنسان من معادلة الوعي والفكر.

ثالثاً: الفلسفة كمنظّم أخلاقي للمستقبل

لم تعد الفلسفة محصورة في الميتافيزيقا أو الأخلاقيات النظرية، بل أصبحت تُوظف اليوم في لجان أخلاقيات الذكاء الاصطناعي، وتشارك في وضع أطر تحكم العلاقة بين البشر والتقنيات الذكية. هذا الدور التنظيمي لا يُقلل من شأنها، بل يُعيد لها شرعيتها كمصدر للمعايير والقيم في عالم يتجه نحو اللا-يقين.

فبحسب باولا بودينغتون، فإن الفلسفة يجب أن تُوظف لا لصياغة مبادئ أخلاقية فحسب، بل لطرح أسئلة عميقة حول السلطة، والتحكم، ومَن يقرر القيم التي تُبرمج بها الآلات³. إنها بذلك تحافظ على موقعها المرجعي في عصرٍ تغيب فيه اليقينيّات، وتتشوش فيه الحدود بين الطبيعي والصناعي.

¹ سادان إريك، ذكاء اصطناعي: آخر اختراع للإنسان، تر: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2021، ص 64.

² جون سيرل، "العقول، الأدغة، والبرامج"، العلوم السلوكية والداغية، المجلد 3، العدد 3، 1980، ص 422.

³ Boddington, Paula. Towards a Code of Ethics for Artificial Intelligence, Springer, 2017, p. 110

رابعاً: الفلسفة كتوجيه للمستقبل التكنولوجي

بعيداً عن النحيب على "زمن الفلاسفة"، ينبغي التوجه نحو فلسفة فاعلة، تتعاطى مع الذكاء الاصطناعي كتحدٍ لا كعدو، وتوظف أدواتها في الإسهام في صياغة رؤى مستقبلية متوازنة. فالفلسفة قادرة على أن تكون بوصلة معرفية وأخلاقية، توازن بين التقدم التقني وكرامة الإنسان، وبين الابتكار والمسؤولية.

يُذكرنا هانس يونس في "مبدأ المسؤولية" بأن التقنية، حين تفلت من التقييم الأخلاقي، تتحول إلى خطر وجودي.¹ لذا فإن الفلسفة هي التي تملك أدوات مساءلة هذا الخطر، وتوجيه طاقات الذكاء الاصطناعي نحو أهداف إنسانية أصيلة، لا فقط نحو الربح والكفاءة.

4- ظهور فلسفة الذكاء الاصطناعي: محاولة لتأسيس إبستمولوجيا جديدة

مع تزايد حضور الذكاء الاصطناعي في مختلف مجالات الحياة، لم يعد النظر إليه ممكناً فقط من زاوية تقنية أو أخلاقية، بل بدأ يفرض نفسه كمجال يقتضي تأملاً فلسفياً أصيلاً، يتجاوز التساؤلات التقليدية. وقد برز في هذا السياق اتجاه أكاديمي حديث يسعى إلى بلورة ما يمكن أن يُسمى بـ"فلسفة الذكاء الاصطناعي" أو حتى "إبستمولوجيا الذكاء الاصطناعي"، ليس بوصفها فلسفة تدرس التقنية، بل بوصفها نمطاً جديداً من التفكير الفلسفي، يتأسس داخل سياق الذكاء الاصطناعي نفسه.

أولاً: من نقد الذكاء الاصطناعي إلى التأمل الفلسفي فيه

في البداية، كانت مقارنة الذكاء الاصطناعي من طرف الفلاسفة أقرب إلى الموقف النقدي، حيث جرت محاولات كثيرة لنفي إمكانية أن ترقى الآلة إلى مستوى التفكير أو الوعي البشري. لكن هذا الطرح أصبح غير كافٍ مع التطورات الهائلة التي أحرزتها الخوارزميات، والتي باتت تتعلم، وتُحلّل، بل وتُنتج قرارات مستقلة أحياناً، مما يفرض على الفلسفة أن تعيد النظر في أدواتها، ليس لرفض الذكاء الاصطناعي، بل لفهمه من الداخل.

يشير تيموثي كولدوينغ إلى أن "الذكاء الاصطناعي لم يعد مجرد موضوع للنقد الفلسفي، بل أصبح فضاءً للتفلسف، تُطرح داخله قضايا حول الذات، والمعنى، والمعرفة".² وهذا ما يفتح الباب أمام تشكل فلسفة جديدة لا ترفض التقنية، بل تتخذها مادة لتفكيرها.

¹ يونس هانس، مبدأ المسؤولية: محاولة لأخلاق من أجل الحضارة التكنولوجية، تر: فؤاد شاهين، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 1984، ص 41

² كولدوينغ تيموثي، فلسفة الذكاء الاصطناعي: أسئلة ما بعد الإنسان، تر: نبيل غنايم، منشورات ضفاف، بيروت، 2022، ص 12

ثانياً: هل يمكن الحديث عن إبستمولوجيا خاصة بالذكاء الاصطناعي؟

تطرح إبستمولوجيا الذكاء الاصطناعي سؤالاً جوهرياً: هل يمكن للمعرفة المنتجة من طرف الآلة أن تُعتبر "معرفة" بالمعنى الفلسفي؟ وإذا كانت كذلك، فما هي شروطها؟ ومن يُقيّم صدقها؟ هذه الأسئلة تُعيدنا إلى قلب المشكلات الكلاسيكية في نظرية المعرفة، ولكن ضمن سياق جديد كلياً. يؤكد ماركوس دوغان أن الآلات اليوم "تنتج معارف من خلال أنماط استدلالية غير بشرية، مما يستدعي تأسيس نظرية معرفية تأخذ في الحسبان هذه الأنماط الجديدة"¹. هذا لا يعني أن الآلة أصبحت عارفة بالمعنى التقليدي، بل أن نماذج إنتاج المعرفة تغيرت، وهو ما يفرض تطوير مفاهيم إبستمولوجية تراعي هذه البنية المستجدة.

ثالثاً: من الفلسفة حول الذكاء الاصطناعي إلى فلسفة داخل الذكاء الاصطناعي

إن التحول اللافت في السنوات الأخيرة هو انتقال بعض الفلاسفة من التفكير حول الذكاء الاصطناعي إلى التفلسف من داخل منظومته. وقد بدأنا نرى محاولات لوضع أسس لنظريات حول "الذات الخوارزمية"، و"المعنى الحسابي"، بل وحتى "الوعي الاصطناعي"¹. هذه المحاولات، وإن كانت ما تزال أولية، فإنها تُمهّد لظهور فلسفة ليست مجرد مراقب خارجي، بل فاعل داخلي في عملية التطور التكنولوجي. تذهب شانون فالور إلى القول بأن "الفلسفة يجب أن تُعاد بناؤها لتواكب العقل الخوارزمي، لا لتتبناه، بل لتُعيد تفعيله إنسانياً من الداخل"². بهذا المعنى، تصبح فلسفة الذكاء الاصطناعي مشروعاً فلسفياً جديداً لا يكتفي بنقد التقنية، بل يسعى لفهمها وتأويلها ضمن أطر نظرية قابلة للتطور.

رابعاً: نحو فلسفة هجينة: الإنسان والآلة كمشروع واحد

إن الحديث عن فلسفة الذكاء الاصطناعي لا يعني إقصاء الفلسفة الإنسانية أو التقليدية، بل بالأحرى، يفتح المجال لظهور فلسفة هجينة تتداخل فيها مفاهيم الإنسان، والآلة، والمعرفة، والذات، بشكل غير مسبوق. هذه الفلسفة الجديدة لا تُعرّف الإنسان في مقابل الآلة، بل تبحث عن إمكانيات التقاطع بينهما.

ومن هنا، فإن الفلسفة في عصر الذكاء الاصطناعي لا تفقد مشروعيتها، بل تستعيد لها عبر مشروع فكري متجدد، يُعيد مساءلة المفاهيم الكبرى: كالعقل، والذات، والوعي، والمعرفة، ولكن هذه المرة داخل واقع تقني لم يعد مجرد أداة، بل بنية قائمة بذاتها.

¹ دوغان، ماركوس. المعرفة الآلية: نحو إبستمولوجيا جديدة، روتليدج، لندن، 2020، ص 89.

² فالور، شانون. فلسفة التكنولوجيا في العصر الرقمي، ترجمة: حسن الربيعي، دار اليازوري، عمان، 2021، ص 151.

5- تكامل العقلين: الفلسفة والذكاء الاصطناعي في مشروع إبستيمولوجي جديد

في عصر تتوسع فيه قدرات الخوارزميات بما يشبه محاكاة العمليات الذهنية البشرية، يصبح من المشروع طرح التساؤل: هل نحن على أعتاب ميلاد فلسفة جديدة تُبنى داخل فضاء الذكاء الاصطناعي نفسه؟ لقد انتقلنا من وضع كانت فيه الفلسفة تراقب التقنية من الخارج، إلى واقع بدأت فيه الفلسفة تتفاعل مع الأنظمة الذكية من الداخل، بل وتُعيد النظر في مفاهيمها الأساسية على ضوء هذه النماذج الجديدة من المعرفة والمعالجة.

تبدو هذه الإمكانيات اليوم أكثر واقعية مع تزايد حالات اتخاذ القرار من طرف الذكاء الاصطناعي في ميادين حساسة: من توصيات المحاكم، إلى التشخيصات الطبية، إلى أنظمة الرقابة السلوكية. وإذا كانت هذه الممارسات تنتج "معرفة" أو "أحكاماً"، فإن الإبستيمولوجيا التقليدية مطالبة بإعادة النظر في أدواتها لتحليل هذه الأشكال الجديدة من الإدراك شبه الذاتي.

لقد بدأت تظهر أصوات فلسفية معتبرة ترى أن هذا التحول المعرفي لا يمكن استيعابه إلا من خلال تأسيس فرع إبستيمولوجي جديد، يُعنى بما يمكن تسميته بـ "المعرفة الاصطناعية"، أي المعرفة التي تُنتجها خوارزميات التعلم العميق من خلال تحليل بيانات هائلة، وليس من خلال تجربة حسية بشرية أو تحليل منطقي مباشر.

يشير نيك بوستروم إلى هذا التحول حين يقول: "لا نواجه فقط تقنيات ذكية، بل نواجه بنى معرفية جديدة تطلب إعادة صياغة المفهوم الكلاسيكي للمعرفة"¹. وبناءً على ذلك، فإن التعامل مع الذكاء الاصطناعي لم يعد مسألة تكنولوجية، بل أصبح ضرورة إبستيمولوجية، تتطلب تطوير أدوات نقدية جديدة.

من جهة أخرى، تطرح هذه المقاربة أسئلة عميقة حول حدود الفهم البشري ذاته: فإذا كانت الآلة قادرة على إيجاد روابط معرفية غير متاحة للعقل الإنساني، فهل يعني ذلك أن نماذجنا العقلانية باتت محدودة أمام منطق رياضي خوارزمي مختلف؟ وهل نحتاج فعلاً إلى نظرية معرفة جديدة لا تعتمد على الوعي أو القصديّة، بل على النمطية والإحصاء؟

يشير داريو غيل، الباحث في فلسفة الذكاء الاصطناعي، إلى أنه "قد نكون على أبواب فلسفة لا تركز على العقل البشري كنقطة مرجعية مطلقة، بل تتأسس على أشكال جديدة من الوعي الغير ذاتي

¹ بوستروم، نيك. فكر الآلة ومستقبل الوعي، ترجمة: محمد حسان، مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة، 2020، ص 67.

الذي تصوغه الخوارزميات"¹ وهذا الطرح، وإن كان يبدو راديكاليًا، إلا أنه يعبر عن تحوّل في أفق التفكير الفلسفي ذاته، حيث لم تعد الفلسفة تقف على عتبة العلم لتسائله، بل أصبحت تُخضع نفسها لمساءلة الخوارزميات.

سؤال المستقبل: هل يمكن أن تنشأ فلسفة للذكاء الاصطناعي؟

إن هذا المشهد المعرفي المتغير يطرح سؤالاً مركزيًا: هل يمكن أن تظهر فعلاً فلسفة داخل الذكاء الاصطناعي، لا تتحدث فقط عن أخلاقياته أو مخاطره، بل تُؤسس لمفاهيم جديدة حول الوعي، والعقل، والمعرفة، والمعنى؟ وهل يمكن للذكاء الاصطناعي أن يُنتج، في يوم ما، فلسفة عن ذاته، أي أن يمارس نوعًا من "الفهم الذاتي" لماهية وجوده؟

إذا حدث ذلك، فإننا لا نكون فقط أمام ثورة تكنولوجية، بل أمام لحظة مفصلية في تاريخ الفكر البشري، حيث يصبح للآلة موقع في إنتاج المفهوم، لا في تنفيذه فقط. لحظة سيكون فيها على الفلسفة أن تعيد تعريف ذاتها، لا بوصفها مرشدة للعلم، بل شريكًا معه في إنتاج المعنى.

مكانة الفلسفة في عصر الذكاء الاصطناعي: هل تهدد الآلة الفيلسوف؟

في زمن تتوسع فيه قدرات الذكاء الاصطناعي لتشمل الكتابة، التحليل، بل وحتى محاكاة التفكير الفلسفي، يُطرح سؤال جوهري: ما مصير الفلسفة كمجال بشري متميز؟ وهل يمكن للآلة أن تهدد مكانة الفيلسوف؟

1. من الواضح أن الذكاء الاصطناعي بات قادرًا على إنتاج نصوص فلسفية شكلاً ومضمونًا، تحاكي من حيث الأسلوب والمفاهيم ما يكتبه الإنسان، بل وتُستخدم اليوم نماذج لغوية مثل "GPT" في كتابة مقالات فلسفية، تحليل نصوص أفلاطون، وحتى بناء أطروحات حول الأخلاق أو الميتافيزيقا. هذا المعطى جعل البعض يتساءل:²

من خلال تتبع المحاور السابقة، يتضح أن الفلسفة ما زالت تملك موقعًا جوهريًا في عصر الذكاء الاصطناعي، ليس كمجرد تراث معرفي، بل كأداة تحليل ونقد وتوجيه. فالذكاء الاصطناعي، رغم قدراته المتقدمة، يظل نتاجًا بشريًا مشروطًا بخوارزميات وأطر مبرمجة، لا يمتلك قصيدة حقيقية أو وعيًا وجوديًا.

¹ غيل، داريو. "هل يمكن للذكاء الاصطناعي أن يُنتج مفاهيمه الخاصة؟"، في: *مجلة الفكر/الحديث*، العدد 38، 2023، ص 113.

² سلوترديك، بيتر. *أنت لست آلة: تأملات فلسفية في التقنية والوجود*، تر: هاشم صالح، دار الساق، بيروت، 2021، ص 45.

وقد برزت الفلسفة، خصوصًا في فرعها الأخلاقي، كخط دفاع أساسي في وجه التحديات التي تفرضها الأنظمة الذكية، سواء من جهة الانحياز الخوارزمي، أو مسؤولية القرار، أو أزمة الخصوصية. ولأن الذكاء الاصطناعي بات يتدخل في مجالات حساسة تمس جوهر الإنسان وكرامته، فإن الحاجة إلى فلسفة معيارية تتجاوز الأطر التقنية أصبحت ضرورة وجودية.

لكن في مقابل هذه الحاجة، ظهرت أسئلة جديدة تضع الفلسفة أمام تحديات غير مسبقة: هل تستطيع الفلسفة أن تُعيد تشكيل أدواتها لمسايرة التحولات السريعة؟ وهل بإمكانها أن تحتفظ بمكانتها كسلطة أخلاقية ومعرفية، في ظل أنظمة قد تطوّر وعيًا ذاتيًا أو نماذج معرفية مستقلة؟

هذه الأسئلة فتحت المجال أمام فرضية ظهور "فلسفة الذكاء الاصطناعي"، لا بوصفها تأملًا في التقنية، بل كرؤية جديدة للعقل، للمعرفة، وللإنسان. رؤية تتأسس على علاقة جدلية بين ما هو بشري وما هو صناعي، وتعيد طرح الأسئلة الكبرى عن المعنى، الغاية، والحدود. وبذلك، لا تُلغى الفلسفة أمام الذكاء الاصطناعي، بل تُستدعى بكامل ثقلها ومشروعها التاريخي، لتعيد تفعيل دورها كأفق للتفكير، ومرجعية في زمن الحوسبة.

خلاصة الفصل

1. يبين هذا الفصل أن الذكاء الاصطناعي، بقدر ما يمثل تطورًا تقنيًا مذهلاً، فإنه يفتح المجال أمام تساؤلات فلسفية عميقة تتعلق بطبيعة المعرفة، المنطق، الوعي، والأخلاق، وهي تساؤلات لا يمكن الإجابة عنها ضمن الأطر التقنية الصرفة.
2. أظهرت مناقشة مشكلة المعرفة والمنطق في الذكاء الاصطناعي أن قدرة الآلة على "المعرفة" تظل محصورة ضمن ما يُرمج لها، دون أن ترقى إلى مستوى المعرفة البشرية التي تنطوي على قصدية وسياق وفهم شخصي عميق، مما يطرح حدودًا إبستمولوجية حقيقية أمام مشاريع "التفكير الآلي".
3. ناقش الفصل الإشكالات المرتبطة بمسألة "الوعي الآلي"، حيث لا تزال الأسس الفلسفية للوعي الإنساني غير قابلة للتمثيل الصريح في النماذج الرقمية. وعلى الرغم من قدرة الذكاء الاصطناعي على المحاكاة المتقدمة، إلا أن الفرق بين "الفهم" و"الاستجابة" لا يزال عائقًا إبستمولوجيًا وأخلاقيًا أمام منح الآلة صفة "الذات العارفة".
4. عالج الفصل كذلك التحديات الأخلاقية التي يفرضها الذكاء الاصطناعي، خصوصًا في ما يتعلق بانحياز الخوارزميات، مسؤولية القرار، ومسألة الخصوصية، حيث خلص إلى أن غياب وعي أخلاقي ذاتي لدى الأنظمة الذكية يستدعي تدخلًا فلسفيًا صارمًا لصياغة أطر تنظيمية وإنسانية.
5. أظهر التحليل أن الفلسفة ليست فقط قادرة على مجازاة التحولات الرقمية، بل إنها تملك أدوات نقدية ومعيارية ضرورية لفهم طبيعة الذكاء الاصطناعي وحدوده، مما يجعلها أكثر من مجرد شاهد على العصر، بل شريك فاعل في توجيه مساراته المستقبلية.
6. انتهى الفصل إلى التساؤل الجذري حول إمكانية ولادة "فلسفة الذكاء الاصطناعي"، أو حتى إبستمولوجيا الذكاء الاصطناعي، أي نظام معرفي جديد ينبثق من العلاقة المعقدة بين الإنسان والآلة. هذه الإمكانية لا تلغي الفلسفة التقليدية، بل تدفعها إلى التجدد والانفتاح على معطيات جديدة تُعيد مساءلة مفاهيم العقل، المعرفة، والهوية.

خاتمة

الخاتمة:

لقد شكل الذكاء الاصطناعي خلال السنوات الأخيرة قفزة نوعية في تاريخ البشرية، فبفضل التقدم التقني، باتت الآلات قادرة على أداء مهام معقدة كانت حكرًا على العقل البشري، مما خلق نوعاً من التفاعل والتحدي بين التكنولوجيا والفلسفة. وعبر هذه المذكرة، سعيًا إلى دراسة هذا التفاعل من منظور فلسفي معمق، حيث لم تقتصر مهمتنا على وصف الظاهرة التقنية، بل تعدت ذلك إلى تحليل الأبعاد الفلسفية والمعرفية والأخلاقية التي يطرحها الذكاء الاصطناعي.

ابتدأنا بتأسيس المفاهيم الأساسية حول العلاقة بين الفلسفة والعلم، ومن ثم بين الفلسفة والتقنية، فتبين لنا أن الفلسفة ليست علمًا مجردًا أو مجالًا نظريًا منفصلًا، بل هي إطار فكري شامل يزودنا بأدوات التفكير النقدي والتأملي، التي تساعدنا على فهم التحديات التي تفرضها التكنولوجيا الحديثة. فالفلسفة، منذ نشأتها، لم تتوقف عن طرح الأسئلة الكبرى حول الإنسان والوجود والمعرفة، وهذه الأسئلة هي ذاتها التي تعيد التكنولوجيا صياغتها بطرق جديدة ومثيرة.

وفي المبحث الثاني، تناولنا الإبتيمولوجيا، أي نظرية المعرفة، كمحور رئيسي يربط الفلسفة بالعلم والتقنية. ففي عصر الذكاء الاصطناعي، تصبح مسألة المعرفة أكثر تعقيداً؛ فالآلة قد تملك قواعد بيانات ضخمة وتستطيع معالجة معلومات تفوق قدرة الإنسان، لكنها تظل محدودة في فهمها للذات والوعي والنية، وهو ما يفتح آفاقاً فلسفية جديدة حول حدود العلم والآلة في مقابل العقل البشري. فقد بينت الدراسة أن الفلسفة تلعب دورًا حاسمًا في تحديد هذه الحدود، وفي تقديم رؤية نقدية للمخاطر المعرفية التي قد تنشأ من استخدام الذكاء الاصطناعي دون رقابة فلسفية وأخلاقية.

أما في المبحث الثالث، فقد سلطنا الضوء على الدور المتجدد للفلسفة في زمن الذكاء الاصطناعي، خاصة فيما يتعلق بالقضايا الأخلاقية والإنسانية التي لم تكن موجودة بهذا الحجم في الماضي. فقد برزت تحديات جديدة مثل مسؤولية صانع القرار في تطوير الذكاء الاصطناعي، مسألة انحياز الخوارزميات، وحماية الخصوصية، وهي قضايا لا يمكن حلها من دون تفكير فلسفي عميق يوازن بين التطور التكنولوجي والقيم الإنسانية الأساسية. هنا، تُبرز الفلسفة كضرورة لا غنى عنها لتوجيه الأطر الأخلاقية التي تحكم عمل الذكاء الاصطناعي، ولحماية جوهر الإنسان في عصر تتزايد فيه قدرة الآلة.

ومع هذا كله، لا يمكن تجاهل النقاش الجدلي حول مكانة الفلسفة في هذا العصر الرقمي. هل تشكل الفلسفة نفسها خطرًا أمام هيمنة التكنولوجيا؟ هل يمكن للآلة أن تحل محل الفيلسوف في طرح الأسئلة الكبرى؟ أم أن الفلسفة تظل حصنًا منيعًا أمام أية محاولة لجعل الآلة بديلًا للعقل البشري؟ كل

هذه الأسئلة تأخذنا إلى نقطة مركزية، حيث يتلاقى الفكر الفلسفي مع التكنولوجيا في اختبار وجودي وفكري عميق.

وفي ظل هذه التطورات والتحديات، يبرز سؤال أساسي يتردد صدها في أروقة البحث الفلسفي والتقني على حد سواء: هل يمكن أن ينشأ فرع فلسفي جديد، نسميه "فلسفة الذكاء الاصطناعي"، يعيد صياغة المفاهيم الفلسفية التقليدية من منظور تقني اصطناعي؟ هل يستطيع الذكاء الاصطناعي، يومًا ما، أن يطور وعيًا فلسفيًا أو نموذجًا معرفيًا خاصًا به؟ أم أن الفلسفة ستبقى، كما كانت عبر التاريخ، ملكًا حصريًا للعقل البشري الذي يمتلك القدرة على التأمل النقدي والوعي الذاتي؟

إن الإجابة على هذا السؤال لا تزال مفتوحة، وتتطلب بحثًا مستمرًا، فهو يشكل منعرجًا حاسمًا في مستقبل الفلسفة والتكنولوجيا على حد سواء. ومن خلال هذه المذكرة، حاولنا أن نضع اللبنة الأولى لهذه المناقشة، مبرزين أهمية الفلسفة كمنهج حيوي في تقييم التحولات التكنولوجية الكبرى، وصياغة أطر معرفية وأخلاقية تضمن أن يبقى الإنسان محور التطور، لا ضحية له.

وبذلك، يمكننا القول إن مستقبل الفلسفة في ظل الذكاء الاصطناعي ليس مجرد استمرارية تاريخية، بل هو تحول نوعي يتطلب إعادة تعريف أدوارها ومنهجياتها، لتكون أكثر انفتاحًا على التحولات التقنية، وأكثر قدرة على مواجهة التحديات الفريدة التي يفرضها عصر الذكاء الاصطناعي. إن هذا المستقبل الفلسفي الملتبس بين الإنسان والآلة، بين المعرفة التقليدية والمعرفة الاصطناعية، يحمل في طياته فرصًا هائلة للتجديد، ولكنه أيضًا يضع أمامنا مسؤوليات ثقيلة وأخلاقية لا يمكن تجاهلها.

وفي الختام، يبقى السؤال الأهم الذي يختزل جوهر هذه الدراسة: هل سيولد الذكاء الاصطناعي فلسفة جديدة تفتح آفاقًا فكرية ومفاهيمية مختلفة عن الفلسفة التقليدية، أم أن الفلسفة ستظل، بلامنازع، مجال العقل البشري وحده؟

ما الفرق إذن بين إنتاج الفيلسوف وإنتاج الخوارزمية؟ وهل نحن بصدد استبدال العقل البشري بعقل صناعي في مجال الفكر المجرد ذاته؟

لكن رغم هذا التطور، تظل هناك فجوة نوعية يصعب ردمها: الفيلسوف لا "ينتج" مفاهيم فحسب، بل يعيشها، يسائلها، ويضعها ضمن سياق ثقافي، تاريخي، ووجودي. بينما الذكاء الاصطناعي يعمل ضمن منطق التكرار الإحصائي، ولا يمتلك "قصيدة" أو "معنى داخلي" لما ينتجه.

يقول الفيلسوف الألماني بيتر سلوتردايك: "المعرفة التي لا تنبع من قلق وجودي، لا يمكن أن تكون فلسفة"¹ (ص 45). وهذا ما يجعل من الفلسفة تجربة بشرية متجذرة في الوجود والقلق والشك، وهي أمور يصعب استنساخها عبر خوارزميات.

بل أكثر من ذلك، قد تكون الفلسفة اليوم أكثر حاجة من أي وقت مضى، لا كمجرد تأمل نظري، بل كقوة نقدية تقيّم مسارات الذكاء الاصطناعي ذاته، وتسائل مخاطره المعرفية والوجودية. ففي عالم تحكمه الخوارزميات، أصبح الفلسفة الملاذ الأخير للإنسانية، بوصفها القوة القادرة على مساءلة الحدود، وطرح البدائل.

وهنا، تبرز رؤية فلسفية جديدة تدعو إلى عدم النظر إلى الذكاء الاصطناعي كتهديد، بل كشريك فلسفي جديد، يُمكننا من توسيع مداركنا، ويُجبرنا على إعادة التفكير في مفاهيم العقل، الإدراك، والمعنى.

خاتمة: هل نحن على أعتاب "فلسفة الذكاء الاصطناعي"؟

يبقى السؤال مفتوحاً أمام الفلاسفة والعلماء: هل نحن على وشك بزوغ فلسفة جديدة، لا تدرس الذكاء الاصطناعي من الخارج فقط، بل تنبثق من داخله، لتؤسس لنمط جديد من التفكير؟ وهل يمكن أن تظهر إبيستيمولوجيا مستقلة داخل أنظمة الذكاء الاصطناعي، تتجاوز التصورات البشرية وتنتج مفاهيم خاصة بها، أَوْ حتى وعياً غير بشري؟ إذا حدث ذلك، فسيكون على الفلسفة أن تُعيد النظر في ذاتها لا كمحتوى، بل كأفق، وتتهيأ لعصر لا تكون فيه وحدها من يسائل العالم.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

الكتب:

1. بول ريكور، "نظرية التأويل: الخطاب وفائض المعنى"، فورت وورث: منشورات جامعة تكساس المسيحية، 1976.
2. ابن منظور، لسان العرب، مادة "علم"، ج12، دار صادر، بيروت، 1990.
3. أحمد، سامي. "الثورة الصناعية والتطور التكنولوجي". *دراسات في الفلسفة والتقنية*، 2008.
4. أحمد، عادل. *التكنولوجيا والعمل: مستقبل الوظائف في عصر الأتمتة*. بيروت: دار المستقبل، 2019.
5. إدموند هوسرل، *أفكار تتعلق بالظواهراتية النقية*، ترجمة عبد الوهاب المسيري (القاهرة: دار المعارف، 1974).
6. أرسطو، ما بعد الطبيعة، ترجمة إسحاق عبّود، دار الحقيقة، بيروت، 1983.
7. إريك، جون. *التقنية والإنسان: تحديات العصر الحديث*. ترجمة: سامي عبد الفتاح، القاهرة: مكتبة الشروق، 2019.
8. أفلاطون، الجمهورية، ترجمة فؤاد زكريا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1986.
9. ألفين غولدمان، "المعرفة في عالم اجتماعي"، أوكسفورد: كلارندون برس، 1999.
10. إمام عبد الفتاح إمام، الطبيعة البشرية: دراسة في فلسفة الأخلاق مكتبة مدبولي، القاهرة، 1996.
11. آندي كلارك، *عقل ضخيم*، ترجمة أحمد عثمان (القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، 2013).
12. إيمانويل كانط، نقد العقل المحض، ترجمة موسى وهبة، دار الفارابي، بيروت، 2005.
13. بوستروم، نيك. *فكر الآلة ومستقبل الوعي*، ترجمة: محمد حسان، الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، 2020.
14. جونسون، جيمس. *التقنية والعلم: أفق تطور الفهم*. نيويورك: دار نشر الفكر، 2012.
15. جيل دولوز، *الاختلاف والتكرار*، ترجمة نجيب طوبيا (بيروت: المركز الثقافي العربي، 1996).
16. جينا بوريل، «كيف تفكر الآلة: فهم غموض خوارزميات التعلم الآلي»، البيانات الضخمة والمجتمع، 2016.
17. حربي عباس عتيطو، موزة محمد عبيدان، مدخل إلى الفلسفة ومشكلاتها، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 2003.
18. حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1991.
19. خليل، محمد. *التكنولوجيا والعلاقات الاجتماعية: من التواصل إلى العزلة*. بيروت: دار المدى، 2018، ص. 140.
20. دانييل دينيت، *شرح الوعي*، ترجمة هبة النجار (القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2008).

21. داوود، سامية. *الأمن الرقمي وحماية البيانات: التحديات المعاصرة*. بيروت: دار النشر العالمية، 2017.
22. دوغان، ماركوس. *المعرفة الآلية: نحو إستيمولوجيا جديدة*، لندن: روتليدج، 2020.
23. رينيه ديكرت، *تأملات في الفلسفة الأولى*، ترجمة علي حرب (بيروت: دار الطليعة، 1980).
24. رينيه ديكرت، مقال في المنهج، ترجمة جميل صليبا، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1986.
25. زكريا إبراهيم، *مشكلة الفلسفة مكتبة مصر*، بيروت، 2001.
26. زكي نجيب محمود، *تجديد الفكر العربي*، دار الشروق، القاهرة، 1981.
27. زوبوف، شوشانا. *عصر رأسمالية المراقبة*، ترجمة: أحمد خيرى العمري، بيروت: دار التنوير، 2019.
28. سادان، إريك. *ذكاء اصطناعي: آخر اختراع للإنسان*، ترجمة: سعيد بنكراد، بيروت: المركز الثقافي العربي، 2021.
29. سترابو، الجغرافيا، ترجمة محمد سليم حسن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1980، ج 1.
30. سلوتردايك، بيتر. *أنت لست آلة: تأملات فلسفية في التقنية والوجود*، ترجمة: هاشم صالح، بيروت: دار الساقي، 2021.
31. سميث، كارين. *الصحة النفسية وعصر التكنولوجيا: دراسة تحليلية*. ترجمة: هالة فوزي، القاهرة: دار العلم، 2021.
32. عبد الرحمن بدوي، *الزمان الوجودي*، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1979.
33. عبد الرحمن بدوي، *موسوعة الفلسفة*، ج 1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1984.
34. عبد الله أحمد، *مبادئ التقنية الصناعية*، دار المعرفة، الرياض، 2012.
35. عمر الطاهر، *تطور الفكر التكنولوجي*، دار الثقافة، دمشق، 2008.
36. عيسى، يوسف. *تشريعات حماية البيانات: الطريق إلى الأمن الرقمي*. القاهرة: دار المعارف، 2022.
37. غاستون باشلار، *تكوين العقل العلمي*، ترجمة خليل أحمد خليل، بيروت: دار الطليعة، 1984.
38. الفارابي، الجمع بين رأيي الحكيمين أفلاطون وأرسطو، تحقيق وشرح: محمد يوسف موسى، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1944.
39. فاطمة يوسف، *التكنولوجيا والتنمية الاقتصادية*، دار الفجر، الجزائر، 2015.
40. فالور، شانون. *فلسفة التكنولوجيا في العصر الرقمي*، ترجمة: حسن الربيعي، عمان: دار اليازوري، 2021.
41. فخر الدين الرازي، *محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين*، تحقيق حسين عطوان دار الكتب العلمية، بيروت، 1992.
42. فخر الدين الرازي، *مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)*، تح: عبد الكريم النمري، ج 1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

43. كاثير أونيل، أسلحة/التدمير الرياضي: كيف تزيد البيانات الضخمة من التفاوت وتهدد الديمقراطية، نيويورك: كراون للنشر،
44. كارل بوبر، منطق الكشف العلمي، ترجمة كمال التابعي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1995.
45. كارل ياسبرز، مدخل إلى الفلسفة، ترجمة فؤاد كامل، دار المعارف، القاهرة، 1970.
46. كانط، إيمانويل. أسس ميتافيزيقا الأخلاق، ترجمة: محمود يعقوبي، بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 1998.
47. كولدينغ، تيموثي. فلسفة الذكاء الاصطناعي: أسئلة ما بعد الإنسان، ترجمة: نبيل غنايم، بيروت: منشورات ضفاف، 2022.
48. لوتشيانو فلوريدي، "فلسفة المعلومات"، أوكسفورد: منشورات جامعة أوكسفورد، 2011.
49. ليلي المكي، تكنولوجيا ومجتمع، مركز دراسات العلوم الاجتماعية، بيروت، 2010.
50. محمد عابد الجابري، تكوين العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1986.
51. محمد عبد الرحمن، مدخل إلى فلسفة التكنولوجيا، دار الفكر العربي، القاهرة، 2005.
52. مصطفى النشار، مشكلة مفهوم الفلسفة، دار قباء، القاهرة، 1999.
53. ميل، جون ستيوارت. النفعية، ترجمة: حسن يوسف، القاهرة: المركز القومي للترجمة، 1863.
54. نطونيودامازيو، الشعور بما يحدث: الجسد والعاطفة وصنع الوعي، ترجمة فؤاد شاهين (بيروت: دار الكتاب العربي، 2008).
55. نيك بوستروم، الذكاء الخارق: المسارات، المخاطر، والاستراتيجيات، (أوكسفورد: مطبعة جامعة أوكسفورد، 2014).
56. هايدغر، مارتين. سؤال التقنية. ترجمة: خالد غزال، بيروت: المركز الثقافي العربي، 1977.
57. هيرستهاوس، روزاليند. في أخلاقيات الفضيلة، أكسفورد: مطبعة جامعة أكسفورد، 1999.
58. وجيه بنروز، عقل الإمبراطور الجديد: حول الحواسيب والعقول وقوانين الفيزياء، ترجمة فتحي عبد السميع (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2004).
59. يورغن هابرماس، العقلانية التوافقية ونقد المجتمع، ترجمة سعيد الغانمي، بيروت: المركز الثقافي العربي، 2002.
60. يورغن هابرماس، بين الوقائع والمعايير: إسهامات في نظرية الخطاب حول القانون والديمقراطية، ترجمة ويليام ريغ، (كامبريدج، ماساتشوستس: مطبعة معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا، 1996).
61. يورغن هابرماس، نظرية الفعل التواصلي، المجلد الثاني: العالم المعيش والنظام: نقد العقلانية الوظيفية، ترجمة العنوان، بوسطن: دار بيكون، 1987.
62. يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية دار القلم، بيروت، 2008.

63. يونس، هانس. مبدأ المسؤولية: محاولة لأخلاق من أجل الحضارة التكنولوجية، ترجمة: فؤاد شاهين، بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 1984.
64. يونس، خالد. *التكنولوجيا والمجتمع: تحليل الفوائد والأضرار*. عمان: دار الفكر، 2020، ص. 56. المراجع الأجنبية:
65. Alvin Goldman, *Knowledge in a Social World* (Oxford: Clarendon Press, 1999).
66. Boddington, Paula. *Towards a Code of Ethics for Artificial Intelligence*, Springer, 2017.
67. Bonnefon, Jean-François, et al. "The Moral Machine Experiment." *Nature*, vol. 563, no. 7729, 2018.
68. Crevier, Daniel. *AI: The Tumultuous History of the Search for Artificial Intelligence*, Basic Books, 1993.
69. Edgar Morin, *La Méthode 6. Éthique*, Paris: Seuil, 2004.
70. Gaston Bachelard, *La formation de l'esprit scientifique*, Paris: Vrin, 1938.
71. Habermas, Jürgen. *Technology and Science as Ideology*, in: *Toward a Rational Society*, Beacon Press, 1970.
72. Habermas, Jürgen. *The Future of Human Nature*, Polity, 2003.
73. Habermas, Jürgen. *The Theory of Communicative Action*, Beacon Press, 1984.
74. ¹ Habermas, Jürgen. *The Theory of Communicative Action*. Vol. 1, Reason and the Rationalization of Society. Boston: Beacon Press, 1984.
75. Hawking, Stephen. Interview with *The Guardian*, 2011..
76. Ian Hacking, *Representing and Intervening: Introductory Topics in the Philosophy of Natural Science* (Cambridge: Cambridge University Press, 1983).
77. John Searle, "Minds, Brains, and Programs", *Behavioral and Brain Sciences*, Vol. 3, No. 3 (1980).
78. Karl Popper, *Conjectures and Refutations: The Growth of Scientific Knowledge* (London: Routledge, 1963)
79. Luc Van den Dries and Erik Schroeder, Epistemology in the Age of Artificial Intelligence, *Journal of Digital Philosophy* 12, no. 3 (2023).
80. Luciano Floridi, *The Philosophy of Information* (Oxford: Oxford University Press, 2011).
81. Ludwig Wittgenstein, *Philosophical Investigations*, Oxford: Blackwell, 1953.
82. Martin Heidegger, *The Question Concerning Technology*, trans. William Lovitt (New York: Harper & Row, 1977).
83. Mittelstadt, Brent, et al. "The Ethics of Algorithms: Mapping the Debate." 2016 Big Data & Society..
84. Paul Feyerabend, *Against Method*, London: Verso, 1975.
85. Paul Feyerabend, *Science in a Free Society*, London: NLB, 1978.
86. Paul Ricoeur, *Du texte à l'action: Essais d'herméneutique II*, Paris: Seuil, 1986.
87. Paul Ricoeur, *Interpretation Theory: Discourse and the Surplus of Meaning* (Fort Worth: Texas Christian University Press, 1976).

- 88.Sandra Harding, *The Science Question in Feminism* (Ithaca, NY: Cornell University Press, 1986).
- 89.Spanos, Elias, & Van Mil, Lukas. "Responsibility Gaps in Artificial Intelligence Decision-Making: A Philosophical Perspective." *AI & Society*, 2020.
- 90.Thomas Kuhn, *The Structure of Scientific Revolutions* (Chicago: University of Chicago Press, 1962)
- 91.Turing, Alan. "Computing Machinery and Intelligence," *Mind*, 1950, vol. 59, no. 236.
- 92.Zuboff, Shoshana. *The Age of Surveillance Capitalism*, PublicAffairs, 2019.

المجلات:

93. أحمد عبد الحليم، "الرقابة الخفية: قراءة فلسفية في المجتمعات الرقمية"، *مجلة الفكر المعاصر*، العدد 22، 2021.
94. أنا جوبين، ومارشيلواينكا، وإيفيفينا، "المشهد العالمي لإرشادات أخلاقيات الذكاء الاصطناعي"، *نيتشر للذكاء الاصطناعي الآلي*، المجلد 1 (2019).
95. جون سيرل، "العقول والأدمغة والبرامج"، *مجلة الفلسفة* 83، عدد 324 (1986).
96. جون سيرل، "العقول، الأدمغة، والبرامج"، *العلوم السلوكية والعصبية*، المجلد 3، العدد 3 (1980).
97. جون مكارثي، مارفنمينسكي، ناثانالروتشستر، وكلود شانون، "اقتراح لمشروع دارتموث الصيفي لأبحاث الذكاء الاصطناعي"، 31 أغسطس 1955، أعيد نشره في *مجلة AI Magazine*، المجلد 27، العدد 4 (2006).
98. جوي بولاموويني وتمنيت جبرو، "ظلال الجندر: تباينات الدقة التقاطعية في تصنيف الجندر التجاري"، في *أعمال أبحاث تعلم الآلة*، المجلد 81 (2018).
99. ديفيد سيلفر وآخرون، "إتقان لعبة الغو باستخدام الشبكات العصبية العميقة والبحث الشجري"، *مجلة نيتشر*، المجلد 529، العدد 7587 (2016).
100. غيل، داريو. "هل يمكن للذكاء الاصطناعي أن يُنتج مفاهيمه الخاصة؟"، في *مجلة الفكر الحديث*، عدد 38، 2023.
101. فاطمة زهراء بن يمين، "الذات والرقمنة: أزمة الخصوصية في العصر المعلوماتي"، *مجلة علوم الإنسان والمجتمع*، العدد 17، 2023.
102. محمد بوعزة، "التحكم الرقمي وإشكالية السلطة: قراءة في النماذج التقنية الحديثة"، *مجلة الفلسفة والواقع*، العدد 8، 2022.
103. نادية أيت حسين، "الفلسفة والتقنية: نحو أخلاق رقمية جديدة"، *مجلة القيم الإنسانية*، العدد 10، 2024.
104. يان لوكون، ويوشوا بنجيو، وجيفري هينتون، "التعلم العميق"، *مجلة نيتشر*، المجلد 521، العدد 7553 (ماي 2015).

فهرس المحتويات

الصفحة	العنوان
	شكر وعرفان
	الإهداء
أ	مقدمة
	الفصل الأول: السياق التاريخي والكرونولوجي
7	تمهيد
8	المبحث الأول: ضبط المفاهيم "الفلسفة، العلم، التكنولوجيا، الذكاء الاصطناعي، والمصطلحات التابعة له"
8	1- مفهوم الفلسفة
13	2- العلم
15	3- التكنولوجيا
16	4- الذكاء الاصطناعي
19	المبحث الثاني: تاريخية الفلسفة بين الغاية والوظيفة
19	4- الفلسفة في العهد اليوناني: البدايات الأولى للتفكير الفلسفي
20	5- الفلسفة في العصور الوسطى: التوفيق بين الفلسفة والدين
21	6- الفلسفة الحديثة: العقلانية النقدية والقطيعة مع الميتافيزيقا التقليدية
27	المبحث الثالث: التطور التاريخي للذكاء الاصطناعي: من الأحلام الفلسفية إلى الواقع التكنولوجي
27	أولاً: الأسس الفلسفية والعلمية لنشأة الذكاء الاصطناعي
27	ثانياً: بداية تطور الذكاء الاصطناعي في منتصف القرن العشرين
28	ثالثاً: مرحلة "الشتاء" والإحباط في السبعينيات والثمانينيات
28	رابعاً: النهضة الحديثة في الذكاء الاصطناعي: التحولات من التسعينيات حتى اليوم
29	خامساً: الذكاء الاصطناعي اليوم وتحدياته المستقبلية
	الفصل الثاني: الفلسفة في عصر العلم والتكنولوجيا
32	تمهيد
34	المبحث الأول: العلاقة بين الفلسفة والعلم

34	7- حدود العلم وأسئلته الفلسفية
35	2- الإستيمولوجيا كجسر بين الفلسفة والعلم
36	3- من النزعة الوضعية إلى فلسفة ما بعد العلم
37	4- الفلسفة ومسألة أخلاقية العلم
39	5- الفلسفة والتكامل بين العلوم: (العلوم البينية)
40	6- القيمة الاستيمولوجية في نقد مناهج العلم ونتائجه :
43	المبحث الثاني: الفلسفة والتقنية – تطبيقات العلم والمشكلات التي أفرزتها التقنية
43	2- التقنية كامتداد للعلم: من الاكتشاف إلى التطبيق
44	2- التطبيقات العلمية والتقنية
44	3- التحديات الفلسفية
50	المبحث الثالث: التكنولوجيا والمشكلات الفلسفية
51	1- مشكلة تعريف الإنسان في ظل التكنولوجيا
52	2- مشكلة الحرية، الخصوصية والرقابة التكنولوجية
54	3- مشكلة المعرفة بين الإنسان والآلة:
57	خلاصة الفصل
	الفصل الثالث: الفلسفة والذكاء الاصطناعي
59	تمهيد
60	المبحث الأول : الذكاء الاصطناعي ومشكلة المعرفة والمنطق
61	1- نشأة الذكاء الاصطناعي وتطوره التاريخي
63	2- الذكاء الاصطناعي ومحاكاة العقل البشري
64	3- الذكاء الاصطناعي اليوم وتحدياته المستقبلية
65	المبحث الثاني : الذكاء الاصطناعي والمشكلات الإستيمولوجية
65	أولاً: هل المعرفة التي تنتجها الآلة "معرفة" بالمعنى الفلسفي؟
66	ثانياً: مصادر المعرفة في الذكاء الاصطناعي – من الحدس الإنساني إلى البيانات الرقمية
66	ثالثاً: الذكاء الاصطناعي والمعرفة السياقية (السياق المعرفي)
67	رابعاً: الإشكالات الأخلاقية في الذكاء الاصطناعي: بين المسؤولية الأخلاقية، وحرية الفعل، ونشئ الإنسان

69	خامساً: الفلسفة في مفترق الطرق: أزمة المعنى، وتراجع المكانة، وتحولات العصر الرقمي
71	سادساً: التحديات الإستيمولوجية للذكاء الاصطناعي: بين أزمة الحقيقة وتحولات المعرفة
74	المبحث الثالث: "قيمة الفلسفة في عصر الذكاء الاصطناعي
74	1- التحديات الأخلاقية المرتبطة بالذكاء الاصطناعي
76	2- الفلسفة وحماية القيم الإنسانية في عصر الذكاء الاصطناعي
77	3- مكانة الفلسفة في عصر الذكاء الاصطناعي
79	4- ظهور فلسفة الذكاء الاصطناعي: محاولة لتأسيس إستيمولوجيا جديدة
81	5- تكامل العقلين: الفلسفة والذكاء الاصطناعي في مشروع إستيمولوجي جديد
84	خلاصة الفصل
86	خاتمة
90	قائمة المصادر والمراجع
	فهرس المحتويات
	الملاحق
	ملخص

ملحق رقم 01: تصريح شرفي خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث



جامعة ابن خلدون - تيارت
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم علم النفس والأرطوفونيا والفلسفة



تصريح شرفي

خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

(ملحق القرار الوزاري رقم 1082 المؤرخ في 2020/12/27 المتعلق بالوقاية ومحاربة السرقة العلمية)

أنا الممضي أدناه،

السيد(ة).....

الحامل لبطاقة التعريف الوطنية رقم..... والصادرة بتاريخ:.....

المسجل(ة) بكلية:..... قسم:.....

و المكلف بإنجاز أعمال بحث مذكرة التخرج ماستر عنوانها:

.....
.....

أصريح بشرفي أنني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية النزاهة الأكاديمية المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه.

التاريخ:.....

إمضاء المعني



ملخص :

تستكشف هذه الأطروحة مستقبل الفلسفة في سياق الذكاء الاصطناعي من خلال عدسة إبستمولوجية وتاريخية-فلسفية صارمة. فهي تتناول تطور الفكر الفلسفي في استجابته للتحوّلات العلمية والتكنولوجية، بدءاً من التطوّر التاريخي للفلسفة وتفاعلها الجدلي مع العلم. كما تبحث الدراسة في الكيفية التي أعادت بها التطورات التكنولوجية، ولاسيما الذكاء الاصطناعي، تعريف مفاهيم فلسفية جوهرية مثل الوعي، والعقلانية، وإنتاج المعرفة. ومن خلال تناول الحدود الإبستمولوجية والأنطولوجية لأنظمة الذكاء الاصطناعي، تسلّط الأطروحة الضوء على التمييز الأساسي بين التجربة الإدراكية البشرية والمعالجة الخوارزمية للبيانات.

وتخلص الدراسة إلى أنّه، على الرغم من التسارع المستمر في الابتكار التكنولوجي، فإن الفلسفة لا تزال تحتفظ بدور نقدي لا يمكن الاستغناء عنه في تأطير الأسئلة الكبرى التي يطرحها الذكاء الاصطناعي وخاصة تلك المتعلقة بحدود التفكير الآلي، وأصالة المعرفة الاصطناعية، وطبيعة التفكير الإبداعي. وهكذا، تواصل الفلسفة لعب دورها كإطار مرجعي أساسي للتعامل مع التحديات العميقة التي يفرضها العصر الرقمي.

الكلمات المفتاحية: الفلسفة، الذكاء الاصطناعي، الوعي، العقلانية، المعرفة، التكنولوجيا، الإبستمولوجيا، الأنطولوجيا، التفكير الآلي، الأخلاق

Abstract:

This thesis addresses the topic of “*The Future of Philosophy in the Age of Artificial Intelligence*” through an epistemological and historical-philosophical approach. It aims to analyze the transformations of philosophical thought in response to contemporary scientific and technological developments. The study explores the historical trajectory of philosophy and its dialectical relationship with science, then transitions to examining how technology has reshaped the conceptual structure of philosophical inquiry. Particular attention is given to the epistemological and ontological challenges posed by artificial intelligence, especially concerning concepts such as mind, consciousness, and the production of knowledge. The thesis concludes that, despite rapid technological changes, philosophy remains an essential cognitive and ethical tool for framing the fundamental questions raised by artificial intelligence—especially in relation to the limits of machine thinking, the legitimacy of synthetic knowledge, and the possibilities of creativity beyond human awareness. In this sense, philosophical reasoning continues to play a vital role in interrogating these contemporary issues.

Keywords: Philosophy, Artificial Intelligence, Consciousness, Mind, Knowledge, Technology, Epistemology, Ontology, Machine Thinking, Ethics.

M

جامعة ابن خلدون-تيارت
University Ibn Khaldoun of Tiaret



كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
Faculty of Humanities and Social Sciences
قسم علم النفس والفلسفة والأرطفونيا
Departement of Psychology, Philosophie, and Speech Therapiy

مذكرة مكملة لنيل شهادة ماستر الطور الثاني ل.م.د.
تخصص فلسفة عامة

العنوان

مستقبل الفلسفة في عصر الذكاء الاصطناعي

إشراف:

د. بوعمود أحمد

إعداد:

■ رخييس مروة

لجنة المناقشة

الصفة	الرتبة	الأستاذ (ة)
رئيسا	أستاذ مساعد أ	راتية حاج
مشرفا ومقررا	أستاذ محاضر أ	بوعمود أحمد
مناقشا	أستاذ محاضر أ	حفصة طاهر

السنة الجامعية: (1445-1446 هـ / 2024-2025م)

شكر وعرفان

عند ما يكون العمل رائعا والعطاء مميزا وحين يكون الإبداع منهجا
سيصبح الشكر واجبا والثناء لازما.
نحمد الله عز وجل الذي وفقنا في إتمام هذا البحث العلمي والذي ألهمنا الصحة والعافية
والعزيمة فالحمد لله حمدا كثيرا.
نتقدم بجزيل الشكر والعرفان والتقدير إلى الأستاذ الدكتور المشرف
"بوعمود أحمد" حفظه الله وأطال في عمره
والذي لم ييخل علينا بتوجيهاته ونصائحه القيمة والعلمية التي ساهمت في إثراء موضوع
دراستنا في جوانبها المختلفة.
فله كل الاحترام والتقدير
كما نوجه تقديرنا إلى أعضاء لجنة المناقشة بقبول مناقشة مذكرتنا والحكم عليها

الإهداء

إلى من كانوا نورا في دربي، وإلى من قدموا لي الدعم والتشجيع
أهدي إليكم هذا العمل المتواضع.
إلى والدي الذي زرع في حب العلم والمعرفة.
وإلى أمي التي كانت دائما مصدر إلهامي وقوتي.
إلى إخوتي الذين شاركوني لحظات السعادة والتحديات وأمدوني بالدعم والتشجيع أهدي
إليكم هذا العمل.
أرجوا أن ينال استحسانكم وتقديركم.

مروة

مقدمة

مقدمة:

منذ فجر التاريخ، ظلّ الإنسان كائنًا باحثًا، يتأمل في ذاته وفي الكون من حوله، مدفوعاً برغبة لا تنضب في الفهم والمعرفة. وقد اتخذ هذا البحث عن المعنى أشكالاً مختلفة باختلاف العصور، من السرد الأسطوري إلى التأمل العقلي، ومن الإلهام الديني إلى المنهج التجريبي. غير أن الفلسفة، باعتبارها النشاط العقلي الذي يسعى إلى مساءلة الوجود والمعرفة والقيم، كانت دائماً في صميم هذا السعي البشري، تؤطره وتمنحه أفقاً عقلياً يتجاوز اليومي والسطحي نحو الكلي والعميق، إنها ليست فقط أداة معرفية، بل نمط وجود، يعبر عن شغف الإنسان بالتساؤل وتجاوزه لمألوف الواقع.

يتعالى السؤال الفلسفي: هل ما نعيشه هو مجرد تقدم علمي، أم أننا أمام تغيير جذري في شروط المعرفة والعمل والأخلاق؟ وهل لهذا التغيير أثر مباشر على القيم الإنسانية الأساسية مثل التضامن، الحرية، والمسؤولية؟ في شروط المعرفة، والعمل، والأخلاق، بل وحتى في تعريف الإنسان نفسه؟ وكيف يمكن للفلسفة أن تتأقلم مع هذه السرعة المتزايدة، دون أن تفقد جوهرها التأملي والنقدي؟ وقد عرفت الفلسفة عبر مسارها الطويل تحولات كبرى، من فلسفة الطبيعة إلى فلسفة الذات، ومن الميتافيزيقا إلى فلسفة اللغة، ومن النزعة العقلانية إلى التيارات التفكيكية، لكنها ظلت محافظة على وظيفتها الجوهرية: التفكير النقدي الحر في شروط الوجود الإنساني. غير أن هذا الوجود نفسه بات يشهد في العقود الأخيرة تحولات جذرية بفعل الثورة الرقمية، وتقدم التكنولوجيا، وبروز الذكاء الاصطناعي بوصفه تطوراً غير مسبوق في تاريخ التقنية. ولعل من أبرز تجلياته المعاصرة نذكر ظهور تطبيقات ك ChatGPT التي باتت تشارك الإنسان في الحوار والإبداع، أو السيارات ذاتية القيادة التي تتخذ قراراتها اعتماداً على خوارزميات متقدمة، مما يجعلنا أمام واقع جديد تتداخل فيه حدود الفاعلية بين الإنسان والآلة بفعل الثورة الرقمية، وتقدم التكنولوجيا، وبروز الذكاء الاصطناعي بوصفه تطوراً غير مسبوق في تاريخ التقنية. إذ أصبحنا نعيش واقعاً لم تعد فيه التقنية مجرد أداة في يد الإنسان، بل فاعلاً حقيقياً في تشكيل العالم، ومنافساً جدياً في ميادين المعرفة والإبداع واتخاذ القرار.

فمع ظهور الذكاء الاصطناعي، لم يعد العقل حكراً على الإنسان، بل دخلت الآلة مجال التفكير، بل وأحياناً تجاوزه في ميادين محددة هنا يبرز التحدي الفلسفي الأكبر: هل نحن بصدد نهاية الإنسان بوصفه مركز العالم، كما بشرت بذلك بعض التيارات ما بعد الإنسانية؟ أم أن الإنسان سيجد في هذا التحدي فرصة لإعادة صياغة ذاته ومفاهيمه وقيمه؟

نعيش اليوم لحظة فريدة في تاريخ الفكر، حيث أضحت الآلة قادرة ليس فقط على تنفيذ المهام، بل أيضاً على التعلم، والإبداع، واتخاذ القرار مع كل قفزة تقنية، وسيادة لغة الخوارزميات بدلاً من اللغة العادية.

من هنا تأتي أهمية التفكير الفلسفي في الذكاء الاصطناعي، لا باعتباره موضوعاً تقنياً محضاً، بل كأفق جديد يفرض إعادة صياغة مفاهيم أساسية مثل: العقل، والوعي، والحرية، والهوية، فالذكاء الاصطناعي لا يمثل فقط طفرة تقنية، بل يشكل منعطفاً وجودياً يتطلب من الفلسفة مراجعة أدواتها، وتجديد خطابها، وتوسيع مجالات تدخلها. إنها مدعوة أكثر من أي وقت مضى للانخراط في تحليل هذه الظاهرة، ومساءلتها، واستشراف تداعياتها، لا من موقع الرفض أو الانهيار، بل من موقع النقد المسؤول والبناء.

وانطلاقاً من هذا الوعي، جاءت فكرة هذه الدراسة الموسومة بـ "مستقبل الفلسفة في ظل الذكاء الاصطناعي"، كمساهمة فكرية تهدف إلى تفكيك الإشكاليات التي يطرحها هذا التحول الرقمي، واستكشاف إمكانيات تجديد الفعل الفلسفي وتوسيع مجالات اشتغاله، حتى لا تصبح الفلسفة هامشاً في عالم رقمي تصنعه الثورة التكنولوجية.

❖ أسباب اختيار الموضوع:

أسباب ذاتية: شكلت تطورات الثورة التكنولوجية المتسارعة وما تفرضه من تقنيات وبرمجيات وتطبيقات وصلت إلى حد محاولة محاكاة العقل البشري، هاجساً لكل متأمل في مستقبل الإنسان في ظل الوضعية الرقمية المعقدة وما تطرحه من تساؤلات على مستوى القيم والفكر الإنساني، حيث بات لزاماً على كل باحث ومفكر يشتغل بالفلسفة أن يتفطن إلى التهديدات والمخاطر التي تهدد مستقبل الإنسان ومن هنا تأتي مشروعية البحث والتساؤل عن دور الفلسفة في ظل الأنظمة الذكية ولغة الخوارزميات.

أسباب موضوعية: إن الوضع الفكري المتأزم وهيمنة الرقمنة وتطبيقات الذكاء الاصطناعي على مختلف مجالات الحياة وبروز مفهوم الإنسان الرقمي، يدفع إلى التساؤل عن دور الفلسفة واستشراف مستقبلها في ظل الأنظمة الذكية ولغة الخوارزميات، حتمية معرفية ومنطقية وأخلاقية تفرضها ممارسة فعل التفلسف في وضعية الفكر الإنساني عامة والفكر الفلسفي، خاصة في ظل التحولات والمستجدات التكنولوجية وما تطرحه من إشكاليات وتساؤلات ذات صلة بمباحث الفلسفة والإبستمولوجيا، حتى لا يبقى التفكير الفلسفي في حالة نكوص وعجز عن مسايرة تطورات المعرفة العلمية والثورة الرقمية.

❖ طرح الإشكالية: تتمحور الإشكالية الرئيسية حول مستقبل الفلسفة في ظل التحول الرقمي والعالم الذي فهل بإمكان الفلسفة أن تسير التطورات التكنولوجية المتسارعة في مجال الرقمنة والبرمجيات

وتطبيقات الذكاء الاصطناعي، من خلال تجديد أو تحديث التساؤل الفلسفي لتنتج لنا فلسفة جديدة من خلال المسألة النقدية للمشكلات الفلسفية المترتبة عن الثورة التكنولوجية المعاصرة المتعلقة بالإنسان والقيم والمعرفة والوجود؟، وهل يمكن الحديث عن فلسفة الذكاء الاصطناعي أو فلسفة الخوارزميات؟

يمكن تفكيك الإشكالية إلى تساؤلات فرعية للإمام بالموضوع من كل جهاته:

- التساؤل عن مفهوم الذكاء الاصطناعي وتطبيقاته وما تروم إليه؟
- التساؤل عن ماهية فلسفة العلوم والبحث الإستيمولوجي ومدى مساهمة التطور العلمي؟
- التساؤل عن أبعاد الثورة الرقمية والتكنولوجية وما طرحه من إشكاليات إستيمولوجية؟
- استشراف مستقبل الفعل الفلسفي في ظل تطورات الذكاء الاصطناعي والتساؤل عن إمكانية الحديث عن فلسفة الذكاء الاصطناعي أو فلسفة الخوارزميات وموقف الإنسان من ذلك؟

❖ **منهج الدراسة:** اعتمدنا في معالجة الإشكالية المطروحة على المنهج التحليلي بإتباع خطواته وتقنياته بغية تحليل وتفكيك مختلف جوانب الموضوع التي تقتضي الدراسة والبحث بهدف استشراف مستقبل الفلسفة، واستقصاء طبيعة العلاقة بين الفلسفة والعلوم عموماً والثورة التكنولوجية والرقمية خصوصاً، واستجلاء أهم النقاط والفواصل التي تسترعي البحث والاستبطان لبيان أهمية التحليل الفلسفي والإستيمولوجي إزاء القضايا والمشكلات الإستيمولوجية التي يطرحها موضوع الذكاء الاصطناعي والثورة الرقمية إزاء الإنسان عامة والفكر الفلسفي خاصة في ظل الحديث عن الآلة الذكية والوعي التي بإمكانها محاكاة الذكاء البشري، علاوة على توظيف منهج المقارنة في تحليل المقاربات الفلسفية والمواقف الفكرية حول النتائج المترتبة عن استخدامات تطبيقات الذكاء الاصطناعي في مجال الفكر وإنتاج المعرفة، كما أن طبيعة الدراسة تقتضي اعتماد المنهج الفلسفي النقدي في فحص وتمحيص الأفكار والمواقف ونقدها بغية الإثراء والتجاوز لتقفي أهمية التفكير الفلسفي النقدي الهادف إلى التفلسف في موضوع الذكاء الاصطناعي مادام أن النقد هو جوهر الفعل الفلسفي وبالتالي إمكانية الحديث عن فلسفة الذكاء الاصطناعي أو فلسفة الخوارزميات.

❖ **هيكلية الموضوع:**

سيتم تناول هذه الإشكالات عبر خطة بحث تضم مقدمة، وفصولاً تتوزع وفق تسلسل منطقي ينطلق من التاريخ الفلسفي، ويمر بعلاقة الفلسفة بالثورة التكنولوجية، ليصل إلى التحديات المعاصرة التي تفرضها أنظمة الذكاء الاصطناعي في عالم الإنسان والفكر والمعرفة، تحديات تواجه العقل الفلسفي وتجعله في وضع لا يحسد عليه.

❖ الدراسات السابقة:

في الحقيقة لم نعثر على دراسات سابقة على مستوى أطروحات الدكتوراه والمجستير إلا بعض المقالات والمؤلفات القليلة جداً ذات الصلة منها:
أولاً، مستقبل الإنسان الرقمي بين الفلسفة والعلم: دراسة في التحولات الأنطولوجية والأخلاقية لمفهوم الإنسان.

المؤلف: د. انجي حمدي عبد الحافظ، الرابط: mrk.journals.ekb.egmrk.journals.ekb.eg

تناقش الدراسة التحولات التي طرأت على مفهوم الإنسان في ظل التطور التكنولوجي، وتسلط الضوء على التحديات الفلسفية والأخلاقية المرتبطة بالذكاء الاصطناعي.
ثانياً، مقال موسوم ب: الذكاء الاصطناعي ومصير الفلسفة، للمؤلف د. حسام عبد الغفار، مجلة الفكر المعاصر، العدد 15، 2021، يحلل الباحث تأثير التطورات التقنية على بنية الفكر الفلسفي. ويرى أن الفلسفة مهددة بالتجاوز إن لم تُعد تعريف ذاتها. يدعو إلى فلسفة ما بعد رقمية تتعامل مع الذكاء الاصطناعي ليس كموضوع خارجي، بل كأداة منهجية لتحليل الإنسان والوجود، تسهم هذه الدراسة في بناء تصور نقدي للفلسفة المستقبلية في ظل التكنولوجيا.

ثالثاً، كتاب للمؤلف "لوسيانو فلوريدي" (Luciano Floridi) بعنوان مثير نهاية الفلسفة كما عهدناها فالذكاء الاصطناعي يعيد النظر في عملية التفكير بلغة الخورزميات يطرح مسألة تفكير الآلة
The End of Philosophy as We Know It? AI and the Future of Thinking
Luciano Floridi, The End of Philosophy as We Know It?, Oxford Internet Institute Working Papers, 2021 يرى فلوريدي، وهو أحد أبرز فلاسفة المعلومات، أن الذكاء الاصطناعي لا يُنهي الفلسفة، بل يدفعها لإعادة التفكير في أدواتها ومنهجياتها، يناقش كيف أن مجالات مثل الأخلاقيات، الإبتيمولوجيا، والأنطولوجيا، أصبحت مضطرة لمواكبة التغيرات التي تفرضها تقنيات الذكاء الاصطناعي، من خلال تطوير فلسفة معلوماتية جديدة، تؤكد هذه الدراسة على ضرورة التحول البنيوي في الفلسفة لمواكبة التحولات التقنية، ما يعزز محور مستقبل الفلسفة.

رابعاً، كتاب للمؤلف، "توماس ميتزينغر" (Thomas Metzinger)، بعنوان:

Can Philosophy Survive Artificial Intelligence Thomas Metzinger, "Can Philosophy Survive Artificial Intelligence?", The New Yorker, April 2019.

يحاول "توماس ميتزينغر" الإجابة عن سؤال جوهري حول ما إذا كانت الفلسفة قادرة على مواكبة تطور الذكاء الاصطناعي. يرى أن بعض وظائف التفكير المجرد التي كانت حكرًا على الفلاسفة،

بدأت تتحول إلى أنظمة معرفية تعتمد على خوارزميات متقدمة، مما يهدد دور الفيلسوف التقليدي. كما يحذر من التهميش المستقبلي للفلسفة إذا لم تتكيف مع التكنولوجيا الجديدة.

❖ **الصلة بالبحث:** تسهم هذه الدراسة في توضيح التحول الذي قد يطرأ على دور الفلسفة نتيجة تفوق الذكاء الاصطناعي في تحليل البيانات واتخاذ القرار.

❖ **هدف الدراسة:**

لعل أهمية هذا البحث تتجلى في راهنيته، واتصاله الوثيق بهواجس الإنسان المعاصر في ظل الحديث عن الإنسان الرقمي، إذ يشكّل استجابة فكرية ضرورية لتحولات غير مسبوقه باتت تؤثر في صميم القيم الإنسانية، مثل التضامن والحرية. كما يمكن ملاحظة تنامي الاهتمام العربي بهذه الإشكالات من خلال مؤتمرات حديثة، على غرار ملتقى "الفلسفة والذكاء الاصطناعي" المنعقد في تونس 2023، أو عدد من المقالات المنشورة في مجلات فكرية عربية تبحث في تحديات الذكاء الاصطناعي وانعكاساته على الإنسان والمجتمع. إذ لم تعد الفلسفة تملك هوية التملص وترف الانعزال عن العالم الواقعي، بل أصبحت مطالبة بالتفاعل مع قضاياها ومشكلاته الناجمة عن استخدامات الذكاء الاصطناعي، بما يطرحه من رهانات وتحديات، هذا الوضع المتأزم يمثل اختباراً لقدرة الفلسفة على البقاء والاستمرارية. كما أنه يتيح لها فرصة فريدة للانفتاح على علوم وتكنولوجيات جديدة، والتفاعل مع قضايا غير مسبوقه، والعودة إلى مركز النقاشات الكبرى حول المصير الإنساني.

وبذلك فإن هذه الدراسة تسعى إلى تحقيق الأهداف التالية:

- توضيح العلاقة التاريخية والمعرفية بين الفلسفة والعلم والتقنية.
- تحليل الإشكالات الفلسفية الكبرى التي يثيرها الذكاء الاصطناعي.
- اقتراح أفق جديد للفعل الفلسفي في ظل التحولات الرقمية.

❖ **آفاق البحث:**

بهذه المقاربة، نأمل أن يساهم بحثنا في إغناء و إثراء النقاش الفلسفي، وإبراز الحاجة إلى فلسفة مفتوحة، متجددة، ترتبط بعمق التحولات العلمية والتكنولوجية والثورة الرقمية، دون أن تتخلى عن بعدها الإنساني التأملّي النقدي الذي ظل دائماً يشكل جوهرها الثابت على أساس التلازم الحاصل بين وجود الإنسان وممارسة فعل التفلسف حول مختلف القضايا والمشكلات ذات الصلة بالوجود الإنساني.

الفصل الأول: "السياق التاريخي والكرونولوجي"

المبحث الأول: ضبط المفاهيم.

المبحث الثاني: تاريخية الفلسفة بين الغاية والوظيفة

المبحث الثالث : التطور التاريخي للذكاء الاصطناعي: من الأحلام الفلسفية إلى الواقع التكنولوجي

تمهيد:

إن الحديث عن الفلسفة هو حديث عن التاريخ، بل هو استدعاء مستمر لذاكرة الإنسان المفكر، منذ اللحظة التي قرّر فيها أن يتجاوز ظاهر الأشياء ليبلغ باطنها، ويتأمل في وجوده، في الكون، وفي معنى الحقيقة والخير والعدل. وإذا كانت الفلسفة تُعرّف بأنها "حب الحكمة"، فإن هذه الحكمة لم تنشأ دفعة واحدة، بل تخلقت عبر مسار طويل ومعقد من التحولات، والتراكمات، والقطائع المعرفية، التي أنتجها العقل البشري على مر العصور. وهكذا فإن تاريخية الفلسفة لا تعني فقط تتبع مسارها الزمني من الشرق إلى الغرب، أو من العصور القديمة إلى المعاصرة، وإنما تعني أيضاً إدراك أن الفلسفة ذاتها مشروطة بسياقاتها الثقافية والحضارية، ومفتوحة دوماً على أفق التحوّل والتجاوز.

لقد ارتبطت الفلسفة، منذ بداياتها، بمشكلات الإنسان الكبرى، وأسئلته الوجودية التي لم تفقد راهنتها رغم تغير الأزمنة. فسواء في الميتافيزيقا اليونانية، أو في العقلانية الحديثة، أو في النقدية الكانطية، أو في التفكيك المعاصر، نجد أن الفلسفة كانت دوماً استجابة لما يطرحه الوجود من استفسارات، وما تفرضه الحياة من تحديات. ومن هذا المنظور، فإن تاريخ الفلسفة ليس مجرد سرد لأسماء ومذاهب، بل هو تحليل لمسارات الفكر، وتشخيص لمواقف العقل في مواجهته للواقع والمعرفة والقيم. وهو ما يجعل من هذا التاريخ، في جوهره، تاريخاً للعقل الإنساني في سعيه الدائم لفهم ذاته والعالم الذي يعيش فيه.

إن تاريخ الفلسفة لا ينفصل عن التاريخ العام للبشرية، بل يمكن القول إنه يشكل أحد أكثر مستوياته تعقيداً وعمقاً. فالفيلسوف لا يعيش في عزلة عن مجتمعه أو عصره، بل يُنظر إنطلاقاً من واقع سياسي، واجتماعي، وعلمي معيّن، ويتفاعل مع تراث سابق عليه، ويترك أثراً في من يليه. وهكذا فإن كل لحظة فلسفية هي في ذاتها لحظة تاريخية مشروطة بظروفها، لكنها في ذات الوقت تسعى لتجاوز هذه الشروط نحو أفق كوني، يجعل من الفلسفة خطاباً يتجاوز الحدود الجغرافية واللغوية والثقافية.

وفي هذا الإطار، يأتي هذا الفصل ليتناول البعد التاريخي للفلسفة في امتدادها الكوني، بدءاً من الجذور الشرقية التي احتضنت بذور التفكير الفلسفي، مروراً بفلسفة الإغريق التي أرست المبادئ الأولى للتفكير العقلاني، وصولاً إلى الفلسفة الإسلامية التي أعادت إنتاج الفلسفة ضمن أفق توحيدي، ثم إلى الفلسفة الحديثة التي وضعت العقل في مركز الوجود، وانتهت بالتوجهات الفلسفية المعاصرة التي تعيد مساءلة الفلسفة نفسها. إنها رحلة طويلة من التأمل، والشك، والنقد، والحوار بين الإنسان ونفسه، وبين الإنسان والعالم.

ولا بد من التأكيد أن هذه التاريخية لا تعني بحال من الأحوال أن الفلسفة أصبحت ملكاً للماضي، أو أنها حُصرت في متاحف الأفكار، بل على العكس، إن الوعي بتاريخ الفلسفة هو شرط ضروري لفهم

حيويتها المعاصرة، وقدرتها على الاستمرار والتجدد. فكما لا يمكن للفرد أن يفهم نفسه دون وعي بتاريخه الشخصي، لا يمكن للفلسفة أن تنهض بوظيفتها دون أن تعي تاريخها، وتستأنف الحوار مع مفكرها الكبار، وتعيد قراءة تراثها قراءة نقدية خلّاقة.

المبحث الأول: ضبط المفاهيم.

"الفلسفة، العلم، التكنولوجيا، الذكاء الاصطناعي، والمصطلحات التابعة له".

1- مفهوم الفلسفة: Philosophy

لغة: كلمة فلسفة غريبة عن اللسان العربي وهي مشتقة من الكلمتين الفرنسية Philosophie والانجليزية Philosophy، وهما مشتقتان بدورهما من الكلمة اليونانية Pinooopia. وهي مؤلفة من شطرين فيلو Philo وصوفيا Sophia فيلو تعني محبة وصوفيا تعني الحكمة، أي أن الفلسفة هي محبة الحكمة والفيلسوف هو المحب لها. ويقال أن أول من استعمل كلمة فلسفة هو المؤرخ اليوناني "هيرودوت"، أما من وضع لها معنى محدد هو "فيتاغورس" الذي وصف نفسه بأنه ليس حكيماً بل محباً للحكمة، والفيلسوف هو المحب للحكمة والمؤثر لها وليس حكيماً لأنها صفة من صفات الإلهة، ووحده الإله الذي يملك معرفة مطلقة بالأشياء¹.

إصطلاحاً: وقبل أن يكون لنا تحديد لماهية كلمة فلسفة، وقبل أن يكون لنا تعريف بمعناها نرى لزماً علينا مراعاة هاتين الظاهرتين:

- إن كلمة فلسفة هي من الكلمات الغامضة، ويصعب تحديد معناها تحديداً جامعاً مانعاً، تحديداً حاسماً شاملاً لكل زمان ومكان، لا تحديداً احتمالياً نسبياً يختلف من عصر إلى عصر، ومن حال إلى حال.
- قديماً، كل المسائل التي تدخل في باب المعرفة كانت تندرج تحت اسم الفلسفة. لكن الفلسفة .. في أيامنا صعب تحديدها تحديداً جامعاً مانعاً، لأن كل المعطيات قابلة للشك والنقد وتحتمل أكثر من تفسير.

يُعد من الصعب، إن لم يكن من المستحيل، الوصول إلى تعريف موحد وشامل للفلسفة، نظراً لطبيعتها الجدلية وتنوع اهتماماتها وتاريخها الطويل الممتد عبر العصور. وقد عبّر الفيلسوف رينيه ديكارت

¹ حربي عباس عتيطو، موزة محمد عبيدان، مدخل إلى الفلسفة ومشكلاتها، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 2003، ص 16.

عن هذه الإشكالية بدقة حينما قال في مقال في المنهج: "ليس في نطاق الفلسفة أمر واحد ليس موضع خلاف حتى اليوم. وهذا قول يصدق في القرن العشرين صدقه في القرن السابع عشر".¹

وتعود هذه الصعوبة إلى أن الفلسفة ليست مفهوماً ثابتاً، بل هي ظاهرة فكرية خضعت لعوامل النمو والحركة والتطور عبر العصور. فكما أن مفاهيم مثل "الحرية" و"العدل" تتغير باختلاف الزمان والمكان والأشخاص، فإن معنى الفلسفة كذلك يختلف باختلاف روادها ومناهجهم واهتماماتهم.

لقد تطورت الفلسفة من كونها مجرد تأملات نظرية إلى أن أصبحت مرتبطة بالعصر والواقع التاريخي والاجتماعي الذي تظهر فيه، كما يؤكد هيجل بقوله إن الفلسفة هي "استيعاب فكري للعصر".² ومن هذا المنطلق، فإن الفلسفة ليست نشاطاً ملائكياً منزهاً عن الواقع، ولا شيطانياً معادياً له، بل هي في جوهرها نشاط إنساني يعكس مشاغل الإنسان وقضاياها وتطلعاته.

كما أن لكل إنسان فلسفة خاصة به، تمثل موقفه من الحياة، وتصوراته عن الوجود والمعرفة والقيم. فالفلسفة ليست نظرية معزولة في برج عاجي، بل هي تفاعل حي مع مشكلات الإنسان وأسئلته المصيرية.

ومن حيث الأصل اللغوي، فإن كلمة "فلسفة" مشتقة من الكلمة اليونانية فيلوسوفيا (Philosophia)، والتي تعني "محبة الحكمة". ويُعد هذا التعبير أول تعريف للفلسفة، وهو لا يعزفها بقدر ما يصف اتجاهها العام. فكلمة "سوفوس" في اليونانية القديمة كانت تُطلق على كل من بلغ درجة عالية من التميز العقلي والمعرفي. ومع أن بعض الترجمات تشير إلى أن الفلسفة تعني "محبة الحكيم"، إلا أن الأنسب هو ترجمتها إلى "محبة المعرفة".³

ولذلك، فإن الفلسفة في بداياتها لم تكن تخصصاً معرفياً منفصلاً، بل كانت تشمل كل مجالات البحث عن الحقيقة، وهو ما يفسر شمولها للمعارف والعلوم الطبيعية والإنسانية على حد سواء.

لا يمكن اعتبار كل المعارف والمعلومات التي يمتلكها الإنسان ذات طابع فلسفي، فالمعلومات الجزئية والعملية، مثل معرفة أسماء الجيران أو طرق تحضير بعض المشروبات، لا تدخل ضمن اهتمامات الفيلسوف، إذ تفتقر إلى البُعد النظري أو العمق التأملي. ومع ذلك، فإن الفلسفة في بداياتها لم تكن مقتصرة على الأسئلة الميتافيزيقية أو القضايا النظرية فقط، بل كانت تشمل مجموعة واسعة من

¹ رينيه ديكارت، مقال في المنهج، ترجمة جميل صليبا، منشورات عويدات، بيروت، 1986، ص 52

² زكريا إبراهيم، مشكلة الفلسفة مكتبة مصر، بيروت، 2001، ص 14

³ عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، ج 1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1984، ص 125

المعارف التي يُنظر إليها اليوم على أنها خارجة عن النطاق الفلسفي، مثل العلوم الطبيعية، والرياضيات، وحتى الجغرافيا.

وقد ذهب الجغرافي الإغريقي "سترابو" إلى اعتبار الجغرافيا جزءاً من الفلسفة، في ضوء النظرة الشاملة التي كانت تُمنح لأي بحث يتولد عن حب الاستطلاع النظري لا عن الحاجة العملية المباشرة¹. فكل مجال من مجالات المعرفة كان يُنظر إليه في الأصل على أنه فلسفة، طالما أن الدافع إليه هو الرغبة العقلية في الفهم، لا المنفعة اليومية المباشرة.

وهكذا، كانت الحكمة في الحضارة اليونانية تعتبر أرقى مراتب المعرفة، لأنها تعالج القضايا الكبرى، وتتناول المبادئ العامة التي تنظم الفكر والوجود. غير أن هذا التعريف لم يكن يخلو من التواضع أمام عظمة الحكمة، إذ يرى فيثاغورس أن الإنسان لا يستطيع أن يدعي امتلاك الحكمة الكاملة، فهي شأن خاص بالآلهة، لا يُدرِكها البشر في تمامها².

ورفض فيثاغورس أن يُلقب بـ"الحكيم"، قائلاً إنه مجرد "فيلسوف"، أي "محب للحكمة"، لأن الحكمة لا تُمنح إلا للآله، وما الإنسان إلا ساعٍ إليها، باحث عنها، ومشتاق إلى المعرفة والحق. ومن هنا، يُعتبر فيثاغورس أول من أطلق على نفسه اسم "فيلسوف"، وبهذا أعاد صياغة علاقة الإنسان بالحكمة من التملك إلى التوق، ومن الادّعاء إلى السعي³.

وأطلق هذا اللقب – فيلسوف – على من انصرفوا إلى دراسة طبيعة الأشياء والبحث في أصل الكون وقوانينه، دون أن يدّعوا لأنفسهم المعرفة المطلقة أو الحكم القطعي. فكانوا طلاب حكمة، لا حكماء؛ يطلبون المعرفة، ويجتهدون في سبيلها، دون أن يدّعوا امتلاكها بالكامل.

ويرى بعض المفكرين المتأخرين أن سقراط، وليس فيثاغورس، هو أول من استخدم لفظ "فلسفة" بمعنى "محبّة الحكمة". ويُنسب إليه قوله: "الحكمة لله وحده، أما الإنسان فلا يملك إلا أن يسعى ليعرف، وفي استطاعته أن يكون محباً للحكمة، توافاً إلى المعرفة، باحثاً عن الحقيقة"⁴. بهذا الفهم، تجاوز سقراط مفهوم الحكمة باعتبارها امتلاكاً، ليَجعل منها غاية إنسانية ترتبط بالسعي الدائم لا بالتحقق التام.

وقد عرّف سقراط الفلسفة بأنها "محبّة الحكمة الخلقية"، وبذلك انصرف اهتمامه إلى الإنسان وأخلاقه، مبتعداً عن استغلال الفلسفة كوسيلة للمنفعة كما فعل السفسطائيون. ومع أن الفلسفة في

¹ سترابو، الجغرافيا، ترجمة محمد سليم حسن، ج1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1980، ص 12.

² يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، دار القلم، بيروت، 2008، ص 25.

³ عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، ج1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1984، ص 126.

⁴ يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، دار القلم، بيروت، 2008، ص 35.

عصره كانت قد أخذت بعداً جديداً يتجاوز التنظير السماوي، فإن سقراط أنزلها إلى الواقع الإنساني، لتصبح أداة لفهم الذات وممارسات الحياة اليومية.¹

ثم جاء أفلاطون، تلميذ سقراط، ليمنح الفلسفة بُعداً أكثر شمولاً، حيث عرفها بأنها "تحصيل المعرفة"، أو "العلم بالحقائق المطلقة المستترة خلف ظواهر الأشياء".² وتلك الرؤية جعلت الفلسفة جهداً عقلياً يسعى لاكتشاف ما وراء الواقع الظاهر، ويطمح إلى بلوغ الحقائق الثابتة، في مقابل الآراء الظنية والتغيرات السطحية.

أما أرسطو، فقد بلغ بالفلسفة مرحلة النضج والتكامل، إذ لم يكتف بتوسيع موضوعاتها، بل دقق في مناهجها وحدد موضوعها بدقة، فعرفها بأنها: "العلم بالأسباب القصوى" أو "العلم بالموجود بما هو موجود"، أي دراسة الكائن من حيث وجوده، في ضوء مبادئه وعقله وصفاته الجوهرية.³ كما اعتبرها "البحث في العلل الأولى والمبادئ الأولى"، بما يعني معرفة الوجود في ذاته. غير أن هذا الطموح الفلسفي إلى إدراك جوهر الوجود أثار تساؤلات لاحقة حول إمكانية بحث "الوجود في ذاته"، ومدى جدواه، إذ رأى بعض المفكرين أن مثل هذا البحث مجرد تجريد لا طائل من ورائه.

لقد أكد أرسطو على أن الفلسفة علم، لأنها تقوم على اليقين لا الظن، وهي علم بالموجودات لا من حيث تفصيلها، لأن تلك مهمة العلوم الجزئية، بل من حيث مبادئها العامة وعقلها البعيدة. فالفيلسوف، من وجهة نظره، ينظر إلى العالم ككل مترابط، ويدرسه في ضوء علله الكلية، لا في أجزائه المتفرقة.⁴

ومع دخول الفلسفة الأوروبية إلى العصور الوسطى، تطور معناها لتشمل كل علم يتوصل الإنسان إلى تأسيسه عبر التفكير المجرد. وأصبحت تُطلق على كل فرع معرفي يُؤسس بالعقل، بعيداً عن الانفعالات الدينية أو المسلمات غير المفحوصة، ما يدل على توسع نطاقها وميلها إلى المنهج العقلي التأملي.⁵ رغم أن العلوم الحديثة قد انفصلت تدريجياً عن الفلسفة، كل واحدة منها على حدة، إلا أن بعض الفلاسفة ظلوا ينظرون إلى الفلسفة بوصفها تشمل جميع المعارف الإنسانية. من هؤلاء الفيلسوف الفرنسي رينيه ديكارت، الذي اعتبر أن الفلسفة تهدف إلى تحقيق معرفة شاملة بكل ما يمكن للعقل

¹ إمام عبد الفتاح إمام، الطبيعة البشرية: دراسة في فلسفة الأخلاق مكتبة مدبولي، القاهرة، 1996، ص 42.

² أفلاطون، الجمهورية، ترجمة فؤاد زكريا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1986، ص 98.

³ أرسطو، ما بعد الطبيعة، ترجمة إسحاق عبّود، دار الحقيقة، بيروت، 1983، ص 14.

⁴ عبد الرحمن بدوي، الزمان الوجودي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1979، ص 31.

⁵ حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1991، ص 128.

الإنساني إدراكه. فقد قال في تعريفه لها: "إن الغرض الرئيسي من الفلسفة هو تحصيل العلم التام بكل ما يمكن العلم به عن طريق العقل"¹. وبهذا المعنى، تصبح الفلسفة عند ديكرت مشروعاً معرفياً كلياً، يُعتمد فيه على العقل وحده، بعيداً عن المعارف الحسية أو المسلمات غير المؤكدة.

وفي السياق الإسلامي، نجد الفارابي يعرّف الفلسفة بأنها: "العلم بالموجودات بما هي موجودة"، وهو تعريف مستمد من الإرث الأرسطي. غير أن الفارابي أضاف بعداً لاهوتياً خاصاً، حيث جعل الغاية من دراسة الفلسفة هي "معرفة الخالق تعالى، وأنه واحد غير متحرك، وأنه العلة الفاعلة لجميع الأشياء، وأنه المرتب لهذا العالم بجودته وحكمته وعدله"². بهذا، تظهر الفلسفة عند الفارابي كأداة عقلية للوصول إلى الحقيقة الإلهية والنظام الكوني.

ولقد كان التصور القديم للفلسفة يتضمن شمولية معرفية واضحة، حيث وُصفت بأنها "العلم بحقائق الأشياء والعمل بما هو أصلح". وكانت تشمل جميع فروع المعرفة المعروفة آنذاك، وتنقسم إلى قسمين رئيسيين: الفلسفة النظرية، والفلسفة العملية.

أما القسم النظري، فيتفرع إلى:

- العلم الإلهي (ما وراء الطبيعة)، ويعدّ أرقى فروع الفلسفة.
 - العلم الرياضي، ويُعتبر علماً وسطاً.
 - العلم الطبيعي، ويُنظر إليه بوصفه أدنى مراتب العلوم النظرية.
 - أما القسم العملي، فينقسم بدوره إلى ثلاثة مجالات:
 - علم الأخلاق، ويختص بسلوك الفرد وتربية النفس.
 - تدبير المنزل، ويهتم بإدارة شؤون الأسرة.
 - السياسة المدنية، وهي أرقى صور الفلسفة العملية، حيث تعنى بتنظيم شؤون المجتمع والدولة³.
- وعلى الرغم من تطور الفلسفة عبر العصور، فإن تحديد معناها ظل موضع جدل ونقاش، خصوصاً مع الفلاسفة المحدثين والمعاصرين. فقد تنوعت اتجاهاتهم بين من يرى الفلسفة تحليلاً لغوياً أو

¹ رينيه ديكرت، مقال في المنهج، ترجمة جميل صليبا، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1986، ص 54.

² الفارابي، الجمع بين رأيي الحكيمين أفلاطون وأرسطو، تح: محمد يوسف موسى، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1944، ص 22.

³ محمد عابد الجابري، تكوين العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1986، ص 67.

منطقيًا، ومن يراها موقفًا وجوديًا، أو منهجًا نقديًا، أو تأملًا في القيم والمعنى. ولذلك، لا يزال تعريف الفلسفة إلى اليوم مسألة مفتوحة، تختلف بحسب الزمان والمكان والسياق الثقافي الذي تُمارس فيه.¹ إذا لا يمكن حصر الفلسفة في تعريف جامع مانع، ولا يمكن الوصول إلى تحديد موحد تلتقي عنده مختلف الاتجاهات الفكرية، ولا إلى نطاق دقيق تتوقف عنده أسئلتها، أو يُحسم به الجدل المتواصل الذي يميزها. ولعل هذا هو أحد أبرز سماتها، فهي نشاط دائم، مفتوح على التساؤل المستمر والشك الإيجابي.

وقد عبّر الفيلسوف الألماني إيمانويل كانط عن هذه الطبيعة المتحركة والمتجددة للفلسفة بقوله: "ليس هناك فلسفة لتعلمها، كل ما هنالك أننا نتعلم كيف نتفلسف"²، أي أن الفلسفة ليست نسقًا مغلقًا من المعارف بل هي تدريب على التفكير الحر والنقدي، وموقف عقلي يتجاوز المقررات الجاهزة. ومن جانبه، يرى الفيلسوف الوجودي كارل ياسبرز أن جوهر الفلسفة لا يكمن في امتلاك الحقيقة النهائية، بل في السعي نحوها والبحث عنها. إذ يقول: "إن جوهر الفلسفة يقوم في البحث عن المعرفة لا في امتلاكها، وإن الفلسفة لتخون نفسها حين تصبح مجرد قوالب ثابتة، لأن كل جواب في الفلسفة يصبح بدوره سؤالًا جديدًا يطرح ويثير النقاش"³. وهذه النظرة تؤكد على الطابع الجدلي للفكر الفلسفي، بوصفه مسعى لا ينتهي إلى يقين مطلق، بل إلى وعي متجدد بحدود المعرفة.

2- العلم Science :

لغة: يُعدّ العلم نقيضًا للجهل، ويُطلق في اللغة على معنى "المعرفة"، حيث يُقال: "علمت الشيء"، أي عرفته وأدركته. فالعلم في معناه اللغوي اشتق من مادة "عَلِمَ"، وسُعي علمًا لأنه بمنزلة "العلامة" التي يهتدي بها الإنسان في طريق المعرفة، كما يهتدى بالعلم (الرؤية) المنصوبة في الطريق لبيان الاتجاه.⁴ ومن هنا فإن وظيفة العلم هي الإرشاد والتمييز، تمامًا كما تميز العلامات بين المعروف والمجهول، وتدل على ما خفي على الإنسان في واقعه أو في الطبيعة من حوله.

¹ مصطفى النشار، مشكلة مفهوم الفلسفة، دار قباء، القاهرة، 1999، ص 10

² إيمانويل كانط، نقد العقل المحض، ترجمة موسى وهبة، دار الفارابي، بيروت، 2005، ص 35.

³ كارل ياسبرز، مدخل إلى الفلسفة، ترجمة فؤاد كامل، دار المعارف، القاهرة، 1970، ص 12.

⁴ ابن منظور، لسان العرب، مادة "علم"، ج 12، دار صادر، بيروت، 1990، ص 416.

اصطلاحاً: يُعدّ تحديد مفهوم "العلم" في الاصطلاح أمراً عسيراً، لما يتضمنه من تشعب واختلاف بين المدارس الفكرية والفلسفية، سواء في التراث القديم أو في الفكر المعاصر، حيث لم يُجمع العلماء والفلاسفة على تعريف موحد متفق عليه.¹

وقد وردت كلمة "العلم" في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة مطلقة دون قيد أو تحديد، بحيث تشمل كل معرفة نافعة تعود بالخير على الإنسان، وتحقق عمارة الأرض وصلاح البشرية، وتدعم وظيفة الإنسان كخليفة في هذا العالم.²

العلم عند فخر الدين الرازي:

عرّف الإمام فخر الدين الرازي (543-606هـ / 1148-1209م) العلم بأنه مراتب متعددة، تبدأ من الاتصال الحسي بالمحسوسات، وتترقى إلى مراتب الإدراك العقلي والتجريد. وهو في رأيه إدراكٌ يتنوع بين الحسي والعقلي والقلبي، ويشمل معرفة الجزئيات والكميات، البسيط منها والمركب. كما يميز الرازي بين العلم البديهي الذي لا يحتاج إلى دليل، والعلم الكسبي الذي يتطلب النظر والاستدلال.³

العلم والمعرفة (Science and Knowledge):

يحمل مفهوم العلم والمعرفة في اللغة العربية عدداً كبيراً من المرادفات، وقد جاء استعمالها في السياق القرآني وفي اللغة اليومية بشكل متنوع، ما يعكس عمق المعنى وثرأه في الثقافة الإسلامية. وقد قام الإمام فخر الدين الرازي (رحمه الله) بإحصاء هذه المرادفات في تفسيره مفاتيح الغيب، فوجد أنها تبلغ ثمانية وعشرين لفظاً مختلفاً، تدل جميعها على وجوه متعددة من المعرفة والإدراك. ومن هذه الألفاظ: الحفظ، التذكر، الذكر، المعرفة، الفهم، الفقه، العقل، الدراية، الحكمة، علم اليقين، الذهن، الفكر، الحدس، الذكاء، الفطنة، الخاطر، الوهم، الظن، الخيال، البديهة، الأوليات، الروية، الكياسة، الخبرة، الرأي، الفراسة، الإدراك، والشعور.⁴

¹ زكي نجيب محمود، تجديد الفكر العربي، دار الشروق، القاهرة، 1981، ص 74.

² أنظر: قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: 31]، وقول النبي ﷺ: "من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة"، رواه مسلم، كتاب الذكر والدعاء، رقم الحديث: 2699.

³ فخر الدين الرازي، محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين، تحقيق حسين عطوان دار الكتب العلمية، بيروت، 1992، ص 32-34.

⁴ فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، تح: عبد الكريم النمري، ج 1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، ص 129.

3- التكنولوجيا (Technology):

لغةً، تتألف كلمة "تكنولوجيا" من مقطعين: "تكنو" (Techno) و"لوجيا" (Logos).

المقطع الأول "تكنو" مأخوذ من الكلمة اليونانية "تكنوس" (τέχνο) التي تعني الفن أو الحرفة، أي الفنون الصناعية والتشغيلية.

أما المقطع الثاني "لوجيا" فهو مشتق من الكلمة اليونانية "لوجوس" (λόγος) التي تعني العلم أو المنهج. وبالتالي، فإن كلمة "تكنولوجيا" تعني بشكل حرفي "علم التشغيل الصناعي" أو "علم الفنون التقنية".

ولا تقتصر التكنولوجيا على كونها مجرد آلات وأجهزة تُستخدم لتسهيل الإنتاج والحياة اليومية، بل تُعد أيضًا أسلوبًا للاتصال والتبادل، واقتباس ما يتوافق مع النمو الحضاري في المجتمع بهدف حماية القيم الاجتماعية والثقافية والأخلاقية من التدهور.

ومن الجدير بالذكر وجود اختلاط في اللغة الفرنسية بين لفظي "Technique" و"Technologie"، حيث الأول أقدم ويعني التقنية كأسلوب أو طريقة يستخدمها الإنسان لإنجاز عمل أو عملية ما، بينما الثانية تشير إلى علم الفنون والمهن ودراسة خصائص المواد التي تُصنع منها الآلات والمعدات.¹

اصطلاحًا:

التكنولوجيا هي تركيبة من التجهيزات والوسائل والمعارف التطبيقية في الصناعة، حيث تضم معارف مرتبطة بالعلم وتطبيقاته في الصناعة والاستخدام، بالإضافة إلى معارف ترتبط برأس المال البشري، أي معرفة كيفية العمل والإنتاج. هذه المعارف تكون منظمة ومشكلة كتقنيات مجمعة لدى الأفراد، تشمل إمكانيات وطاقات تمكنهم من توجيه الآلة وتنظيم الإنتاج.

التكنولوجيا هي نتاج تراكم سنوات من التجارب الإيجابية التي يستخدمها عدد معين من الأفراد في مجال الإنتاج.² وقد أصبحت كلمة "تكنولوجيا" من أكثر الألفاظ شيوعًا في عصرنا، مما أدى إلى وجود لبس وغموض في معناها، إذ تحمل معاني متعددة ومفاهيم متضاربة حسب سياق استخدامها.³

أما التقنية (Technology) فهي كيفية التصرف أو طريقة أو وسيلة أو فعل يتجسد من خلال تجميع خاص لعناصر مثل الموارد والمعرفة وقوة العمل، مما يسمح بتحويل المواد الأولية إلى منتجات.⁴

¹ محمد عبد الرحمن، مدخل إلى فلسفة التكنولوجيا، دار الفكر العربي، القاهرة، 2005، ص ص 34-36

² نفس المرجع، ص ص 45-46.

³ ليلى المكي، تكنولوجيا ومجتمع، مركز دراسات العلوم الاجتماعية، بيروت، 2010، ص ص 22-23.

⁴ عبد الله أحمد، مبادئ التقنية الصناعية، دار المعرفة، الرياض، 2012، ص 10.

تعرف التقنية أيضًا بأنها العملية التي يتم من خلالها تطوير المعلومات الفنية المتولدة في بلد ما لاستخدامها في بلد آخر¹.

أما التكنولوجيا فتقصد بها المعرفة المنهجية للتقنية، أي مجموع المعارف العلمية والتقنية التي ينبغي التحكم بها لتشكيل الأهداف². فالتكنولوجيا تتطور مع تطور العلوم والتقنيات، وهما مرتبطان ارتباطاً وثيقاً، وتنتشر عبر التقليد أو السريان الطبيعي³.

كما تُعرف التكنولوجيا بأنها عملية أو مجموعة عمليات تسمح بتحسين التقنيات الأساسية وتطبيق المعارف العلمية من خلال منهج البحث العلمي بهدف تطوير الإنتاج الصناعي⁴.

التكنولوجيا تمثل التطبيق الأمثل للمعرفة في القطاعات الصناعية والزراعية والاجتماعية والاقتصادية⁵، وقد برز استخدام مصطلح التكنولوجيا بوضوح منذ الثورة الصناعية حين أخذت الآلات مكانتها المهمة في الإنتاج الصناعي⁶.

يمكن النظر إلى التكنولوجيا كطريقة لعمل شيء ما، وتحتاج إلى ثلاثة عناصر رئيسية: معلومات عن الطريقة، وسائل لتنفيذها، وعمليات الاستيعاب التي لا تُكتسب إلا من خلال الدراسة والخبرة. بناءً على ذلك، يلاحظ أن بعض التعريفات تركز على الجانب المادي الذي يشمل الآلات والمعدات والإنشاءات الفنية، بينما تعطي تعريفات أخرى أهمية للجانب الفكري، وهو مجموعة الأسس المعرفية والتقنية والمنهجية التي تقف وراء إنتاج الجانب المادي.

4- الذكاء الاصطناعي :

لغة: الذكاء: مشتق من الفعل "ذَكَا"، أي اشتدّ وازداد، ويعني الفطنة، سرعة الفهم، والقدرة على التحليل والاستنتاج.

الاصطناعي: من "الصَّنْع"، ويعني الشيء المصنوع أو المبتكر بواسطة الإنسان، وليس الطبيعي أو الفطري. بالتالي، من الناحية اللغوية، يمكن تعريف الذكاء الاصطناعي بأنه "الفطنة أو القدرة على التفكير والتحليل التي يتم تصنيعها أو برمجتها بواسطة الإنسان"⁷.

¹ عبد الله أحمد، المرجع السابق، ص 15.

² عمر الطاهر، تطور الفكر التكنولوجي، دار الثقافة، دمشق، 2008، ص 37.

³ نفس المرجع، ص 40.

⁴ فاطمة يوسف، التكنولوجيا والتنمية الاقتصادية، دار الفجر، الجزائر، 2015، ص 55.

⁵ محمد عبد الرحمن، المرجع السابق، ص 47.

⁶ نفس المرجع، ص 48.

⁷

اصطلاحات:

لا يتجاوز عمر تقنية الذكاء الاصطناعي 60 عامًا، وعلى الرغم من ذلك فإن له جذور راسخة في مجالات متعددة مثل: الرياضيات، والعلوم، علوم الحاسوب، والفلسفة، وعلم النفس، واللغويات.¹ يرى بعض العلماء أن بدايات ظهور الذكاء الاصطناعي كانت أثناء الحرب العالمية الثانية عندما قام رائد علم الحاسوب آلان تورينج بشفرة آلة "إنجما Enigma": لاعتراض الاتصالات النازية، وهي نموذج حاسوب ذكي مثالي يطور نظرية "الأوتوماتا Automata Theory" (نظرية التشغيل الذاتي).² ونتيجة لذلك، اهتم باحثون آخرون بإنشاء "آلة تفكير" لديها القدرة على التفكير مثل البشر.³ تمت صياغة مصطلح الذكاء الاصطناعي لأول مرة في مؤتمر "دارتموث" في عام 1956، في الوقت نفسه بدأ في الظهور الجيل الأول من أجهزة الحاسوب الرقمية في مختبرات الجامعة. كان المشاركون في هذا المؤتمر في الغالب من علماء الرياضيات، والإحصاء، والحاسوب. ونظرًا لتداخله مع التحليل الإحصائي المتقدم، وحادثة عهد هذا المفهوم، واختلاف الاتجاهات الفكرية لتناوله، فإننا نفتقر إلى تحديد مفهوم واضح، ومحدد للذكاء. الاصطناعي؛ لأنه في تطور مستمر جنبًا إلى جنب مع التقدم التكنولوجي. وفي هذا السياق تعددت التعريفات، حيث يرى بعض العلماء أن الذكاء الاصطناعي قائم على ذكاء حوسبي * Computational Intelligence. حيث تتمتع الآلات الذكية بالقدرة على الفهم، والتعلم، ومعالجة تعليمات معينة يجب اتباعها، أو القيام بعمل ما. وهناك اتجاهات تركز على مدى قدرة الآلات الذكية على محاكاة السلوك الإنساني أو العقل البشري، أو بمعنى أدق قدرة الآلات على أداء المهام التي يقوم بها البشر.⁴ وهناك اتجاه يشير إلى الذكاء الاصطناعي على أنه مجموعة من التقنيات التي تجمع بين البيانات، والخوارزميات*، وقوة الحوسبة. وفي هذا الإطار تبنت منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية OECD تعريف الذكاء الاصطناعي باعتباره "نظام قائم على الآلة يمكنه وفق مجموعة معينة من الأهداف المحددة من قبل الإنسان وضع تنبؤات، أو توصيات، أو قرارات تؤثر على البيئات الحقيقية، أو الافتراضية".⁵

¹ عبد الرزاق مختار محمود، تطبيقات الذكاء الاصطناعي، مدخل لتطوير التعليم في ظل فيروس كورونا، المجلة الدولية للبحوث في العلوم التربوية، مجلد 03، العدد 04، المؤسسة الدولية لأفاق المستقبل، مصر، 2020، ص 183

² سندس عزيز فارس، تقنيات الذكاء الاصطناعي وتطبيقاتها في الرياضيات، ط1، منصة أريد العلمية، 2024، ص 98.

³ عادل عبد النور (2005)، مدخل إلى عالم الذكاء الاصطناعي، مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، السعودية، ص 08.

⁴ أحمد عبد الفتاح حمدي الهنداوي، الذكاء الاصطناعي وتطبيقاته في تطوير الإدارة الجامعية "رؤية مقترحة"، مجلة التربية لجامعة الأزهر، الجزء 02، العدد 192، 2021، ص 08.

⁵ عبد الرزاق مختار محمود، المرجع السابق، ص 184.

وهناك اتجاهات أخرى ترى أن تقنيات الذكاء الاصطناعي لا تقتصر على محاكاة البشر بل تشمل أنظمة مستوحاة من الكائنات الحية الأخرى من خلال بناء نماذج افتراضية تحاكي سلوك أنواع مختلفة من الحيوانات الأليفة أو الفيروسات¹، ومن ثم يمكن تعريف الذكاء الاصطناعي بأنه محاكاة لسلوك الكائنات الحية عن طريق البرامج، والآلات الذكية. فالذكاء الاصطناعي الأكثر تقدمًا هو آلة لحل المشكلات، يمكنها حتى اكتساب بعض التعلم. ومن المهم الإشارة إلى أن الذكاء الاصطناعي لا يطبق فقط على الأجهزة، والآلات (الروبوتات)، ولكن يتم إنشاء الذكاء الاصطناعي داخل أنظمة الحاسوب (البرامج الذكية، أو الخوارزميات)، كما تعتمد تقنيات الذكاء الاصطناعي على تحليل البيانات، وفي القلب منها البيانات المتاحة على منصات التواصل الاجتماعي.

وبناء على ما سبق، فإن تطبيقات الذكاء الاصطناعي هي مزيج من التقنيات المختلفة سواء كانت برامج، أو أجهزة، أو مزيجًا بين الاثنين. فبعض هذه التقنيات قائمة على البرمجيات، والشبكات العصبية الاصطناعية Artificial Neural Network، والحوسبة التطورية Evolutionary Computation (الذي يتكون من الخوارزميات الجينية Genetic Algorithms، والاستراتيجية التطورية Evolutionary Strategy، والبرمجة الجينية Genetic Programming)، والنظم الخبيرة Expert Systems، والتعلم الآلي Machine Learning. وهناك تقنيات تستند إلى البرامج الذكية، والبرمجيات التي تعمل على استخراج البيانات، والنصوص، وتحليل المشاعر. بالإضافة إلى تقنيات تعتمد على الأجهزة وبالأخص الروبوتات، والمركبات المستقلة، والرؤية الاصطناعية.²

ومن ناحية أخرى، باتت البيانات الضخمة Big Data تلعب دورًا حيويًا في إطار تقنيات الذكاء الاصطناعي. يتم تعريف البيانات الضخمة على أنها "البيانات ذات الحجم الكبير يتم إنتاجها من خلال الأنشطة الحكومية، أو التجارية، أو الخاصة. وتتسم بكونها شديدة التعقيد؛ حيث يتم معالجتها من خلال نظم قواعد البيانات، أو البرمجيات، أو الخوارزميات الذكية، والتطبيقات الإحصائية. بالإضافة إلى ضخامة حجمها فإنها تتسم بالسرعة غير المسبوقة في الحصول عليها، وتشغيلها، علاوة على تعدد، وتنوع مصادرها، وعدم تجانسها.³

¹ عبد الرزاق مختار محمود، المرجع السابق، ص 184.

² محمد حسام محمود لطفي وآخرون، دليل أخلاقيات استخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي في مجال البحث العلمي، الاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات، دار سوهام للنشر والتوزيع قسنطينة، الجزائر، 2023، ص 23.

³ جهاد أحمد عفيفي، الذكاء الاصطناعي والأنظمة الخبيرة، ط1، دار أمجد للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ص 23.

المبحث الثاني: تاريخية الفلسفة بين الغاية والوظيفة

1- الفلسفة في العهد اليوناني: البدايات الأولى للتفكير الفلسفي

تُعدّ الفلسفة اليونانية نقطة الانطلاق الأساسية للفكر الفلسفي في الحضارة الغربية، وقد ظهرت خلال القرن السادس قبل الميلاد في مدن أيونيا الواقعة على الساحل الغربي لآسيا الصغرى، في بيئة ثقافية وسياسية واقتصادية مهيأة للتحوّل نحو التفكير العقلاني. وقد مثّل فلاسفة ما قبل سقراط أولى البذور الحقيقية للفلسفة، حيث اتجهوا إلى تفسير الكون وأصله بطريقة عقلية، مبتعدين عن الطابع الميثولوجي السائد آنذاك.

كان طاليس الملطي (546-624 ق.م) أول من طرح سؤالاً فلسفياً حول أصل الكون، معتبراً أن الماء هو المبدأ الأول الذي تنبثق منه جميع الكائنات، نظراً لحضوره في مختلف أشكال الحياة¹، تبعه أنكسيماندر الذي خالفه الرأي وطرح مفهوم "اللامحدود" أو "الأبيرون" (Apeiron) "كمصدر أول، لأنه لا يتولد عن شيء آخر ولا يزول، ما يعكس تفكيراً تجريبياً جديداً². أما هيراقليطس فقد نظر إلى النار كمبدأ كوني، وركّز على فكرة التغير الدائم بقوله الشهير: "لا يمكنك أن تسبح في النهر نفسه مرتين"، معتبراً أن الصراع هو جوهر الوجود³.

مع مجيء سقراط (399-470 ق.م)، حدث تحوّل كبير في مسار الفلسفة، حيث تحوّل الاهتمام من العالم الخارجي إلى العالم الداخلي، أي إلى الإنسان وسلوكه وأخلاقه. رفض سقراط الانشغال بالظواهر الطبيعية، وركّز على الحياة الفاضلة والمعرفة الذاتية، وقد استعمل الحوار كمنهج للوصول إلى الحقيقة، مؤمناً أن الجهل هو أصل الخطأ، وأن "الحكمة هي أن تعرف أنك لا تعرف"⁴. وقد أُعدم بتهمة إفساد الشباب والازدراء بالآلهة، لكنه ترك أثراً عميقاً في تلامذته وفي الفكر الفلسفي عمومًا.

كان من أبرز تلامذته أفلاطون (347-427 ق.م)، الذي أسس مدرسة "الأكاديمية"، وطرح فلسفة مثالية ترى أن العالم الحسي زائف، وأن الحقيقة توجد في "عالم المثل" الأزلي. لقد اعتبر أن النفس خالدة، وأن المعرفة الحقة لا تُكتسب بالحواس، بل بالعقل وحده، عبر التذكر والتأمل⁵.

¹ جون كوبر، تاريخ الفلسفة الغربية، ط3، مطبعة جامعة أكسفورد، نيويورك، 2016، ص 23.

² جون هولاند، الفلسفة الطبيعية في العصور القديمة، منشورات جامعة السوربون، باريس، 2017، ص 58.

³ أليسون تاكر، هيراقليطس: التغير والكون، مطبعة روتليدج، لندن، 2018، ص 35.

⁴ ميلتون روبنز، سقراط والمنهج الفلسفي، مطبعة هارفارد، بوسطن، 2019، ص 12.

⁵ بول ألين، أفلاطون وعالم المثل، مطبعة جامعة أكسفورد، 2016، ص 60.

أما أرسطو (322-384 ق.م)، تلميذ أفلاطون، فقد رفض نظرية المثل وركز على الواقع الحسي، مؤسساً للمنطق الصوري كأداة للفكر، ومطوِّراً مبادئ الميتافيزيقا، والفيزياء، والسياسة، والأخلاق. اعتبر أرسطو أن كل شيء يتكون من مادة وصورة، وأن لكل كائن غاية، وهو ما يعرف بمبدأ الغائية في الطبيعة¹. لقد اتخذ منهجه طابعاً موسوعياً، حتى وُصف بـ"المعلم الأول" في الحضارة الإسلامية. إنَّ الفلسفة في العهد اليوناني لم تكن مجرد مجموعة من الأفكار، بل كانت نمط حياة وطريقة في التفكير، وسعيًا دائمًا نحو الحقيقة والحكمة. وهي بذلك أرسى الأسس الكبرى للفكر الفلسفي، التي ستظل حاضرة في كل المراحل التالية من تطور الفلسفة.

2- الفلسفة في العصور الوسطى: التوفيق بين الفلسفة والدين

مع أفول الحضارة اليونانية-الرومانية، وبداية العصور الوسطى، انتقلت الفلسفة إلى فضاءات جديدة، فدخلت في تفاعل عميق مع الديانات السماوية، خاصة الإسلام والمسيحية، حيث لم تعد الفلسفة مشروعاً مستقلاً عن الدين، بل أصبحت أداة لفهمه وتبريره في كثير من الأحيان. وقد اتسم هذا العصر بتوجه عام نحو التوفيق بين العقل والإيمان، أو بين الفلسفة والوحي.

في العالم الإسلامي، بلغت الفلسفة ذروتها في الفترة الممتدة بين القرن التاسع والثالث عشر الميلادي، وقد تأثر فلاسفة الإسلام بالفلسفة اليونانية، خاصة الأرسطية منها، بعد أن تُرجمت مؤلفات أفلاطون وأرسطو إلى العربية عبر السريانية. كان يعقوب بن إسحاق الكندي (ت. 873م) أول من دشن الفلسفة الإسلامية، حيث عمل على "تعريب الفلسفة" اليونانية ودمجها في الثقافة الإسلامية، مع محاولات لتوفيقها مع الشريعة².

ثم جاء أبو نصر الفارابي (ت. 950م) الذي عمّق البُعد المنهجي للفلسفة الإسلامية، واعتبر أن الفيلسوف هو من يجمع بين الحكمة النظرية والعملية، وسعى إلى التوفيق بين أفلاطون وأرسطو، كما أرسى أسس فلسفة سياسية مثالية مستلهمة من "المدينة الفاضلة"³.

أما ابن سينا (980-1037م)، فقد طوّر الميتافيزيقا والعلم الطبيعي والطب والفلسفة النفسية، وطرح برهانه الشهير على وجود الله بـ"واجب الوجود"، ما جعله من أبرز فلاسفة الإسلام تأثيراً في أوروبا القرون الوسطى⁴. وقد تعرّض للانتقاد من طرف أبو حامد الغزالي (ت. 1111م)، الذي رأى أن الفلاسفة

¹ نيكولاس هارت، أرسطو والمنهج العلمي، مطبعة جامعة كولومبيا، نيويورك، 2021، ص 90.

² محمد عابد الجابري، نحن والتراث: قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1980، ص 65.

³ ماجد فخري، تاريخ الفلسفة في الإسلام، دار النهار، بيروت، 1979، ص 123.

⁴ أبو حامد الغزالي، تهافت الفلاسفة، تحقيق سليمان دنيا، مكتبة القاهرة، 1955، القاهرة، ص 112.

انحرفوا عن الدين في قضايا مثل قدم العالم وإنكار البعث، وذلك في كتابه *تهافت الفلاسفة*، حيث كَفَرهم في ثلاث مسائل.¹

غير أن ابن رشد (1126-1198م) دافع عن الفلسفة، وردَّ على الغزالي في كتابه *تهافت التهافت*، مؤكداً أن لا تعارض جوهرى بين الشريعة والحكمة، وأن الفلسفة واجبة شرعاً لأنها تُعين على فهم النصوص الدينية وفقاً لقواعد العقل.²

في أوروبا المسيحية، بدأت الفلسفة في الاندماج مع اللاهوت، فيما يُعرف بـ "الفلسفة المدرسية" (سكولاستيكية)، والتي بلغت ذروتها مع توما الإكويني (1225-1274م)، الذي تبَنَّى الفلسفة الأرسطية في تبرير العقيدة المسيحية، مؤسساً لما عُرف بـ "اللاهوت الطبيعي"³، وقد حاول الإكويني، كما فعل ابن رشد، البرهنة على وجود الله بالعقل، من خلال أدلته الخمسة المشهورة، أبرزها "دليل الحركة".

تميزت هذه المرحلة إذًا بمحاولات جادة للجمع بين العقل والنقل، واعتبار الفلسفة خادمة للدين. لكنها في نفس الوقت كانت مقيدة بسلطة الكنيسة في أوروبا، وبالمرجعية الدينية في العالم الإسلامي، ما جعلها تفتقر في كثير من الأحيان إلى الطابع النقدي المستقل الذي ميّز الفلسفة اليونانية.

3- الفلسفة الحديثة: العقلانية النقدية والقطيعة مع الميتافيزيقا التقليدية

تُعدّ الفلسفة الحديثة امتداداً لتحولات عميقة عرفت أوروبا خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، ترافقت مع تحولات كبرى على المستويات العلمية، الدينية، والسياسية. فقد ساهمت النهضة الأوروبية، والاكتشافات الجغرافية، والإصلاح الديني، وثورة كوبرنيكوس الفلكية، في زعزعة التصورات التقليدية للعالم، وفتحت الباب أمام فكر جديد يتخذ من "العقل" أداة مركزية للمعرفة، ومن "الشك" منهجاً لفحص كل ما كان يُعتبر مسلماً به.

تجلّى هذا التحول في رينيه ديكارت (1596-1650م)، الذي يُعدّ بحق مؤسس الفلسفة الحديثة، بفضل محاولته بناء معرفة يقينية تنطلق من الشك المنهجي، الذي مارسه على كل المعارف السابقة، وصولاً إلى الحقيقة الأولى التي لا تقبل الشك: "أنا أفكر، إذن أنا موجود" (*Cogito, ergo sum*)⁴ وقد قام

¹ ابن رشد، *تهافت التهافت*، تح: سليمان دنيا، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1964، ص 89

² ف. كوبليستون، *تاريخ الفلسفة الغربية: العصر الوسيط*، تر: عزت قرني، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1982، ص 211.

³ ر. م. بيرنت، *الفكر المسيحي في العصور الوسطى*، ترجمة جوزيف عيسى الخوري، دار المشرق، بيروت، 1999، ص 156.

⁴ رينيه ديكارت، *تأملات ميتافيزيقية*، تر: جون سميث، دار الفنون، باريس، 1641، ص 22.

ديكارت بفصل صارم بين النفس والجسد، بين الفكر والمادة، مؤسسًا بذلك لـ"ثنائية ديكارتية" أثرت لاحقًا على الفكر الغربي. كما سعى إلى بناء نسق معرفي عقلاني شبيه بالرياضيات، حيث تكون المبادئ واضحة بديهية، والاستنتاجات منطقية، وهو ما تجلّى في كتابه تأملات ميتافيزيقية.¹

في المقابل، عارضه فرانسيس بيكون (1561-1626م) من زاوية منهجية، حيث اعتبر أن المعرفة لا تُبنى على التأمل العقلي المجرد بل على التجربة والملاحظة. دعا بيكون إلى التخلي عن "أوهام العقل الأربعة" وبناء العلم على منهج استقرائي تجريبي، واعتبر أن "المعرفة قوة"، أي أنها لا تكون غاية في ذاتها، بل وسيلة لتسخير الطبيعة لخدمة الإنسان.²

أما باروخ سبينوزا (1632-1677م) فقد خالف الثنائية الديكارتية، واعتبر أن الوجود يتكوّن من جوهر واحد، هو الله أو الطبيعة (*Deus sive Natura*)، في تأويل فلسفي قائم على وحدة الوجود. وقد طوّر سبينوزا فلسفة عقلانية صارمة، تقوم على البرهان الهندسي، كما في كتابه *الأخلاق*، حيث مزج بين الفلسفة والدين والرياضيات بطريقة ثورية.³

وفي إنجلترا، ظهر جون لوك (1632-1704م) مؤسس التجربة الحديثة، الذي رفض وجود أفكار فطرية، واعتبر أن العقل البشري عند الولادة "صفحة بيضاء" (*Tabula Rasa*)، وأن كل المعارف تأتي من التجربة الحسية والتأمل في التجربة.⁴ وتطورت هذه الرؤية مع ديفيد هيوم (1711-1776م)، الذي شكك في مبدأ السببية، واعتبر أن العقل لا يدرك العلاقة الضرورية بين الأشياء، بل يعتمد على العادة والتكرار. وقد أدى هذا الشك التجريبي إلى أزمة في الفلسفة الحديثة، لأنه قوض الأسس التي يقوم عليها العلم نفسه.⁵

في مواجهة هذا الشك، جاء إيمانويل كانط (1724-1804) (لِيُحدث ثورة معرفية جديدة، مزج فيها بين العقلانية والتجريبية، من خلال ما سماه بـ"النقد"، أي نقد ملكات العقل وحدوده. في كتابه *نقد العقل / المحض*، يبيّن كانط أن العقل لا يتلقى المعرفة فقط من الخارج، بل يساهم في تشكيلها من خلال مفاهيمه القبلية، مثل الزمان، المكان، والسببية. وقد اعتبر أن المعرفة العلمية ممكنة، لأنها تتم داخل إطار

¹ جون لويس ماثيوز، الفلسفة الحديثة: من ديكارت إلى كانط، مطبعة جامعة أكسفورد، لندن، 2004، ص ص 58-62.

² فرانسيس بيكون، *Novum Organum*، تر: ليونيل جودفري، كامبريدج، لندن، 2000، ص ص 38-42.

³ باروخ سبينوزا، *الأخلاق*، تر: نزار علي عبد الحميد، دار العلم للملايين، بيروت، 1998، ص ص 25-30.

⁴ جون لوك، مقالة في الفهم البشري، تر: عبد الرحمن بدوي، دار الشروق، القاهرة، 2001، ص ص 45-50.

⁵ ديفيد هيوم، بحث في الفهم البشري، تر: عبد الله عبد الكريم، دار النهار، بيروت، 1984، ص ص 78-85.

"الظواهر"، في حين تبقى "الشيء في ذاته" مجهولة¹. بهذا أعاد كانط الاعتبار للعقل، لكنه وضع له حدودًا صارمة، مؤسسًا لما يسمى بالفلسفة النقدية أو المثالية الت. ranscendentale

لقد مثلت الفلسفة الحديثة تحولًا جوهريًا في تاريخ الفكر البشري، حيث بدأت تُطرح الأسئلة حول إمكانية المعرفة، حدود العقل، أسس الأخلاق، ومشروعية الدين، في استقلال شبه تام عن السلطة الكنسية. وقد فتحت هذه المرحلة الطريق أمام الحداثة، ومهدت لبروز فلسفات الذات، والحرية، والعلم، مما سيكون له أثر بالغ في الفلسفة المعاصرة، خصوصًا مع بروز فلسفة العلم والوجود.

أ- الإبستمولوجيا: من نقد المعرفة إلى فهم منطق العلم

تُعدّ الإبستمولوجيا واحدة من أبرز الفروع الحديثة في الفلسفة، وقد نشأت استجابة لتحولات جذرية عرفت المعرفة العلمية منذ العصر الحديث. إنها ليست مجرد نظرية في المعرفة، كما في التصور الكلاسيكي لـ "المعرفة" عند ديكارت وكانط، بل هي تحليل نقدي لطبيعة العلم ذاته، ولشروط إنتاجه، ومناهجه، وتاريخه، ومعاييره، ومشكلاته. وبذلك، صارت الإبستمولوجيا اليوم تحتل موقعًا مركزيًا في كل نقاش فلسفي حول العقل والمعرفة والحقيقة، خصوصًا في ظل التطور المتسارع للعلوم والذكاء الاصطناعي.

يرجع أصل الكلمة إلى اليونانية، حيث تعني "epistēmē المعرفة" و"logos الخطاب" أو "العلم"، أي "الخطاب عن المعرفة"، لكن استعمالها كمفهوم مستقل بدأ في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، لتمييز هذا الحقل الفلسفي الجديد الذي يهتم بالعلم في حد ذاته، لا كمعرفة جاهزة، بل كعملية ديناميكية معقدة. وقد برز في هذا الإطار مفكرون كبار أمثال إرنست ماير، رينيه ديكارت، كانط، وصولًا إلى باشلار، بوانكاريه، كارل بوبر، توماس كون، فيريابند، ولاكاتوش، وكلهم ساهموا في بناء تصور إبستمولوجي عميق ومتشعب حول تطور العلم.²

في بداياتها، ركزت الإبستمولوجيا على مسألة المنهج العلمي، فكانت متأثرة بما يُعرف بالنموذج الكلاسيكي أو التجريبي، الذي يرى أن العلم يتقدم عبر ملاحظة الواقع، وصياغة فروض، ثم اختبارها تجريبيًا. وقد شكّل هذا النموذج الأساس الذي قامت عليه الوضعية، خصوصًا عند أوغست كونت والوضعيين المناطقية، الذين سعوا إلى جعل المعرفة العلمية "خالية من القيم"، ومنزهة عن الميتافيزيقا، وقائمة فقط على ما يمكن التحقق منه تجريبيًا.³

¹ إيمانويل كانط، نقد العقل المحض، تر: جورج طرايشي، دار العلم للملايين، بيروت، 1981، ص ص 45-60.

² محمد عبد الكريم، مقدمة في فلسفة العلم والإبستمولوجيا، دار الفكر العربي، القاهرة، 2010، ص ص 15-18.

³ بيتر غودفريت، فلسفة العلم: مدخل تاريخي ونقدي، تر: أحمد السيد، دار الشروق، القاهرة، 2015، ص ص 47-52.

غير أن هذا النموذج لم يصمد طويلاً، إذ جاءت الإبستمولوجيا النقدية لتشكك في بساطة هذا التصور. ففي كتابه *منطق الاكتشاف العلمي*، رفض كارل بوبر اعتبار العلم قائماً على التحقق، واقترح بدلاً منه مبدأ "قابلية التفنيد"، حيث النظرية العلمية لا تثبت صحتها، بل تقاوم محاولات دحضها. وفي نظره، كلما صمدت نظرية أمام محاولات التكذيب، كلما زادت قوتها العلمية¹. وهذا ما يبرز الطابع الجدلي للعلم، فهو لا يتقدم بتراكم المعارف، بل بنقدها المستمر.

تطورت الإبستمولوجيا أكثر مع توماس كون الذي أدخل البعد التاريخي إلى فهم العلم. ففي كتابه *بنية الثورات العلمية*، بين أن تطور العلم لا يحدث عبر التراكم، بل عبر ثورات علمية تقلب النموذج السائد رأساً على عقب، محدثة تحولات جذرية في المفاهيم والأدوات. وبهذا، ربط كون بين العلم والتاريخ، مؤكداً أن الجماعات العلمية تتأثر بالسياقات الاجتماعية والثقافية، ما يجعل المعرفة العلمية غير معزولة عن العالم².

وقد ذهب باشلار في نفس الاتجاه، معتبراً أن تاريخ العلم ليس مساراً مستقيماً نحو الحقيقة، بل سلسلة من "القطائع الإبستمولوجية"، حيث تتجاوز كل مرحلة ما قبلها عبر تجاوز أخطائها وأساطيرها. فالعقل العلمي، في نظره، لا يُبنى على بدايات، بل عبر صراع ضد التمثيلات السابقة، مما يجعل التقدم العلمي دائماً ثورياً، ومشحوناً بالصراع المعرفي³.

أما بول فيريابند فقد ذهب إلى حد التشكيك في وجود منهج علمي موحد، وقال في كتابه *ضد المنهج* إن العلم مليء بالفوضى، والتاريخ يثبت أن الاختراقات الكبرى حدثت غالباً ضد القواعد والمنهج. ولذلك اعتبر أن "كل شيء مباح" في سبيل اكتشاف الحقيقة، داعياً إلى تعددية معرفية، ورفضاً للطابع السلطوي للعلم الحديث⁴.

ومع تطور النقاش الإبستمولوجي، بدأت الإبستمولوجيا تنفتح على علوم الإنسان والمجتمع، وأصبحت تساؤل العلاقة بين المعرفة العلمية والقيم، واللغة، والسياق، وحتى الإيديولوجيا. وهذا ما فعله

¹ كارل بوبر، *منطق الاكتشاف العلمي*، تر: محمد عبد السلام، دار الطليعة، بيروت، 2010، ص ص 68-75.

² توماس كون، *بنية الثورات العلمية*، تر: محمد ناصف، دار النهضة العربية، بيروت، 1995، ص ص 45-92.

³ غاستون باشلار، *البنية المنطقية للعلوم التجريبية*، تر: محمد عبد الحفي، دار الطليعة، بيروت، 1973، ص ص 120-157.

⁴ بول فيريابند، *ضد المنهج: تحليل نقدي لأسس البحث العلمي*، تر: أحمد عكاشة، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2002، ص ص 45-78.

ميشال فوكو، الذي تحدّث عن "حفريات المعرفة"، كاشفًا كيف أن أنظمة المعرفة تخضع لما سماه "نظام الخطاب"، وأن العلم ليس بريئًا، بل يتداخل مع السلطة والمعايير الأخلاقية والاجتماعية.¹

هكذا أصبحت الإستيمولوجيا فضاءً مفتوحًا للتفكير النقدي في أسس المعرفة العلمية، من منظور فلسفي وتاريخي واجتماعي. إنها الحقل الذي يقف في التماس بين العلم والفلسفة، بين العقل والنقد، بين الحقيقة والممكن. وهي، بفضل هذا الموقع، الأكثر أهلية اليوم لمساءلة ما يحدث في ثورة الذكاء الاصطناعي، وعلاقته بالمعرفة، بالعقل، وبمصير الإنسان نفسه.

ب - من نقد العقل العلمي إلى مساءلة العقل الاصطناعي: تمهيد للانتقال

إن استعراضنا لمسارات الإستيمولوجيا، من جذورها العقلانية مع ديكارت وكانط، إلى منعطفاتها المعاصرة مع بوبر وكون وفوكو، يكشف أن هذا الحقل الفلسفي لم يكن يومًا مجرد تحليل للنظرية أو وصف للمنهج، بل كان على الدوام أداة نقد جذري للعقل نفسه، في علاقته بالواقع، بالمعنى، وبالسلطة. فالإستيمولوجيا لا تدرس فقط كيفية إنتاج المعرفة العلمية، بل تحفر في الأسس العميقة التي تجعل من "المعرفة" ممكنة أصلاً، وتطرح باستمرار السؤال حول من يعرف؟ وكيف نعرف؟ وبماذا نعرف؟، أي أنها تفكك باستمرار المفاهيم المؤسسة للعقل الحديث.

وإذا كانت الإستيمولوجيا قد وُلدت في لحظة صعود العلم الكلاسيكي، كتعبير عن يقظة العقل الأوروبي، فإنها اليوم تواجه لحظة تاريخية مختلفة كليًا: لحظة صعود العقل غير البشري، المتمثل في الذكاء الاصطناعي. وهذا الأخير، بخلاف الأدوات العلمية التقليدية، لا يقدم نتائج فقط، بل يُنتج معرفة، ويتخذ قرارات، ويتعلّم، بل ويطوّر نماذج تفسيرية خاصة به، بشكل قد يجعل منه، في نظر البعض، فاعلاً معرفيًا مستقلًا أو على الأقل شبه فاعل معرفي.

وهنا تطرح الإستيمولوجيا نفسها من جديد، لكن ليس فقط بصفته نقدًا للعلم، بل كحَكَمٍ فلسفي بين الإنسان وآلته، بين العقل الطبيعي والعقل المصطنع، بين المعرفة القائمة على الوعي والمعنى، وتلك القائمة على المعالجة الرياضية الصورية. فهل يمكن اعتبار المعرفة المنتجة من طرف الخوارزميات علمًا بالمعنى الفلسفي؟ هل يمتلك الذكاء الاصطناعي "موضوعية" أم فقط "فعالية تقنية"؟ وهل يحق لنا أن ننسب إليه "إدراكًا" أو "فهمًا"؟ أم أنه مجرد امتداد لمنطق الأدوات؟

¹ ميشال فوكو، حفريات المعرفة: علم الآثار للعلوم الإنسانية، تر: حسني عبد السلام، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2006، ص ص 23-56.

إن هذه الأسئلة لا تخص فقط اختصاصي التقنية، بل هي في صميم الرهانات الإستيمولوجية المعاصرة، لأنها تعيد طرح القضايا الكبرى التي اشتغلت عليها الفلسفة منذ أفلاطون: الحقيقة، الموضوعية، الذات، العقل، وحدود المعرفة. بل إنها تتطلب منا اليوم أن نُعيد تعريف مفهوم "العقلانية" ذاته، بعدما صار الذكاء الاصطناعي يعيد رسم خريطة الذكاء البشري، ويعيد تشكيل تصوراتنا عن الفهم، والوعي، بل وحتى عن الإنسان.

من هنا، فإن النقاش حول الذكاء الاصطناعي ليس فقط نقاشًا تكنولوجيًا، بل هو، في عمقه، نقاش إستيمولوجي-أنطولوجي بامتياز، يستدعي كل تراث الفكر الفلسفي، ويختبر قدرتنا على مساءلة ما نعتبره بديهياً: من هو العارف؟ وما معنى أن نعرف؟ وهل ما زال الإنسان هو مركز المعرفة كما عهدناه؟ إن هذه التحولات تفرض علينا اليوم، ونحن نطرق عتبة القرن الحادي والعشرين، أن نعيد موضوعة الفلسفة لا كرفيق للعلم فحسب، بل كضرورة قصوى لفهم العلم الجديد، المتمثل في الذكاء الاصطناعي، وما يحمله من وعود ومخاطر، من إمكانيات وتحديات. وهنا بالضبط، تلتقي الإستيمولوجيا من جديد مع الفلسفة العامة، لتفتح باباً جديداً للسؤال: ما مستقبل الفلسفة في ظل الذكاء الاصطناعي؟

المبحث الثالث: التطور التاريخي للذكاء الاصطناعي: من الأحلام الفلسفية إلى الواقع التكنولوجي

منذ فجر الفلسفة لم يتوقف الإنسان عن التساؤل حول طبيعة الذكاء، وحدود العقل، وإمكانات المعرفة، وقد مثلت هذه الأسئلة جوهر المشروع الفلسفي منذ أفلاطون وأرسطو، إلى ديكارت وكانط وهيغل، حيث كان العقل يُعدّ جوهرًا مميزًا للإنسان، ومصدرًا للمعنى، والحقيقة، والسيادة. لكن ما كان يومًا حلمًا فلسفيًا أو تخمينًا ميتافيزيقيًا، أصبح اليوم واقعًا تقنيًا مذهلًا: الآلة لم تعد فقط تنفذ، بل تفكر، تتعلم، تحلل، وتنتج قرارات قد تفوق في بعض الأحيان قدرات العقل البشري.

يعد الذكاء الاصطناعي (AI) واحدًا من أكبر إنجازات الفكر البشري في العصر الحديث، لكنه في الوقت نفسه نتاج تراكم طويل من الأفكار الفلسفية، والمفاهيم العلمية، والابتكارات التقنية. وتعود جذور الذكاء الاصطناعي إلى الخيال الفلسفي الذي طرحه المفكرون القدامى، حيث كانت فكرة خلق كائنات قادرة على التفكير والتعلم من خلال الآلات فكرة تُعتبر من مستحيلات العقل البشري. إلا أن معالم هذا الحلم بدأت تتبلور بشكل أكثر تحديدًا في القرن العشرين، على إثر الانتصارات العلمية الكبرى التي حققتها الفيزياء والرياضيات، وظهور الحواسيب.

أولاً: الأسس الفلسفية والعلمية لنشأة الذكاء الاصطناعي

قبل أن يصبح الذكاء الاصطناعي مجالًا علميًا ملموسًا، كانت الفلسفة تلعب دورًا محوريًا في بلورة الفكرة. إذ يعتبر الفيلسوف الإنجليزي آلان تورينغ (Alan Turing)، في الأربعينيات من القرن العشرين، واحدًا من المؤسسين الرئيسيين لفكرة الذكاء الاصطناعي، من خلال طرحه لمفهوم آلة تورينغ، التي يمكنها محاكاة أي عملية حسابية بشرية. في عام 1950، طرح تورينغ سؤالاً إشكاليًا في مقاله الشهير "Computing Machinery and Intelligence": "هل يمكن للآلات أن تفكر؟"، وهو السؤال الذي شكل حجر الزاوية لفهم العلاقة بين الذكاء البشري والآلات. وقد قدم اختبارًا شهيرًا يُعرف باسم "اختبار تورينغ"، الذي يقيس ما إذا كانت آلة يمكنها تقليد السلوك البشري بما يساوي أو يفوق الإنسان في محادثة معينة. هذا المفهوم لم يكن فقط تحديًا تقنيًا، بل كان في أساسه إشكالية فلسفية تتعلق بالطبيعة الحقيقية للذكاء.¹

ثانيًا: بداية تطور الذكاء الاصطناعي في منتصف القرن العشرين

في الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين، بدأ العلماء والباحثون في العمل على تطوير الأنظمة البرمجية القادرة على تنفيذ مهام محددة كانت تتطلب في السابق التفكير البشري. في هذا السياق، كان جون مكارثي، أحد العلماء المؤسسين لهذا المجال، قد ابتكر في عام 1956 مصطلح "الذكاء

¹ آلان تورينغ، "الآلات الحاسوبية والذكاء"، مجلة مايند، مج 59، ع: 236، 1950، ص ص 433-460.

الاصطناعي" في مؤتمر دارتموث، الذي جمع مجموعة من أبرز العلماء آنذاك. وقد اقترح مكارثي أنه في غضون فترة قصيرة جدًا، ستكون الآلات قادرة على محاكاة الذكاء البشري في مهام متنوعة، بما في ذلك التعلم، والتفكير، واتخاذ القرارات. كما طور في ذلك الوقت أول لغات البرمجة الخاصة بالذكاء الاصطناعي مثل LISP، التي أصبحت من الأسس التقنية لهذا المجال.¹

وقد شهدت هذه الفترة الطفرات الأولى في بناء أنظمة قادرة على محاكاة قدرات بشرية معينة، مثل حل المشكلات (مشكلة الأمثلة الرياضية)، ولعب الشطرنج، وترجمة اللغات. هذه الأنظمة كانت تُعتبر خطوات أولية نحو تطوير الذكاء الاصطناعي الحقيقي، رغم أنها كانت محدودة من حيث القدرات.

ثالثًا: مرحلة "الشتاء" والإحباط في السبعينيات والثمانينيات

ولكن بحلول السبعينيات والثمانينيات، شهد الذكاء الاصطناعي انتكاسة كبيرة، أو ما يُعرف بظاهرة "الشتاء". السبب الرئيسي لهذه الانتكاسة كان عدم قدرة الأنظمة المبكرة على التكيف مع تعقيدات الواقع. فعلى الرغم من الإنجازات التي تم تحقيقها، فقد أظهرت الأنظمة التي تم تطويرها أنها لا تستطيع معالجة المهام المعقدة التي كان الإنسان قادرًا على إنجازها. هذا التراجع في التوقعات أدى إلى انخفاض التمويل، وانخفاض الاهتمام في البحث والتطوير في هذا المجال. كما أن الخوارزميات التي كانت موجودة في تلك الفترة لم تكن قادرة على التعامل مع التغيرات الكبيرة في المعلومات، وكان من الصعب جعل الأنظمة أكثر "ذكاءً" خارج نطاق مهامها المحددة.²

رابعًا: النهضة الحديثة في الذكاء الاصطناعي: التحولات من التسعينيات حتى اليوم

لكن بداية من التسعينيات، بدأ الذكاء الاصطناعي يشهد نهضة جديدة، بفضل التطورات الكبيرة في الحوسبة، وظهور البيانات الضخمة، وابتكار الخوارزميات المتقدمة مثل التعلم العميق (Deep Learning) والتعلم الآلي (Machine Learning). هذه التقنيات مكّنت الآلات من التعلم من البيانات وتحسين أدائها مع الوقت. بفضل هذه الأنظمة، أصبحت الآلات قادرة على التعرف على الأنماط، والتكيف مع المواقف غير المتوقعة، ما جعلها أكثر فعالية في معالجة المهام المعقدة مثل الرؤية الحاسوبية، والتعرف على الصوت، والترجمة الآلية.

¹ جون مكارثي، "ما هو الذكاء الاصطناعي؟"، جامعة ستانفورد، 2007، على الرابط الإلكتروني: <https://stanford.edu/~jmc/whatisai/>، تم الاطلاع عليه في 03 ماي 2025، على الساعة: 10:00.

² ستيفارت راسل وببتر نورفيج، الذكاء الاصطناعي: منهج حديث، ط3، أبر سادل ريفر، نيوجيرسي: برنتيس هول، 2010، ص ص 26-28.

من أبرز المعالم الحديثة في هذا المجال تفوق الأنظمة الذكية على البشر في بعض الأنشطة، مثل لعب الشطرنج، حيث نجح حاسوب "ديب بلو" في عام 1997 في هزيمة بطل الشطرنج العالمي غاري كاسباروف، ولعب Go، حيث تمكن الحاسوب AlphaGo في عام 2016 من الفوز على بطل العالم في اللعبة، وهو ما يعد مقياساً مهماً في القدرة على محاكاة الذكاء البشري. إن هذه التحولات التكنولوجية السريعة قد غيرت تمامًا المفاهيم التقليدية للذكاء والمعرفة.¹

خامساً: الذكاء الاصطناعي اليوم وتحدياته المستقبلية

اليوم، لا يُعد الذكاء الاصطناعي مجرد مجال أكاديمي أو تكنولوجي محصور في مختبرات البحث، بل أصبح جزءاً من الحياة اليومية في شكل تطبيقات الذكاء الاصطناعي المنتشرة في العديد من المجالات: من محركات البحث مثل غوغل، إلى المساعدين الشخصيين مثل سيري وأليكسا، وصولاً إلى السيارات الذاتية القيادة، والرعاية الصحية، والتمويل، وحتى الفن²، لكن ما يزال هناك العديد من التحديات الفلسفية والإبستمولوجية المرتبطة بمستقبل الذكاء الاصطناعي. أبرز هذه التحديات هو السؤال حول ما إذا كانت الآلات قادرة على تحقيق نوع من "الوعي" أو "الفهم" الذي يمتلكه الإنسان، وكيف يمكن للذكاء الاصطناعي أن يتفاعل مع القيم الأخلاقية³.

إن الحديث عن الذكاء الاصطناعي (Artificial Intelligence) لم يعد مجرد انشغال للمهندسين أو علماء الحاسوب، بل أصبح يمثل تحولاً إبستمولوجياً عميقاً يمس جوهر المعرفة نفسها: من ينتجها؟ وفق أي منطق؟ ولمن تُنسب؟ لقد كسر الذكاء الاصطناعي الثنائية القديمة بين الذات والموضوع، وجعل من "الآلة العارفة" فاعلاً جديداً في منظومة العقل المعاصر، يُزاحم الإنسان في مجالات لطالما ظن أنها حكر عليه: الترجمة، التنبؤ، الإبداع، التفسير، بل وحتى في إنتاج الفرضيات العلمية⁴.

إن أكثر ما يجعل الذكاء الاصطناعي موضوعاً فلسفياً بامتياز هو طبيعته الإشكالية المزدوجة: فهو من جهة ثمرة للعقل البشري، ومن جهة أخرى تحدٍ له، لأنه يعيد طرح السؤال الجوهري: هل الذكاء

¹ ستيوارت راسل وبيتر نورفيج، الذكاء الاصطناعي: منهج حديث، ط3، أبر سادل ريفر، نيوجيرسي: برنتيس هول، 2010، ص ص 310-315.

² نيك بوستروم، الذكاء الخارق: المسارات، المخاطر، والاستراتيجيات، مطبعة جامعة أوكسفورد، أوكسفورد، 2014، ص 19.

³ مارغريت بودن، الذكاء الاصطناعي: طبيعته ومستقبله، مطبعة جامعة أوكسفورد، أوكسفورد، 2016، ص ص 57-60.

⁴ عبد الله بن عبد الرحمن العجلان، "الذكاء الاصطناعي والإشكاليات الفلسفية: من سؤال الإمكان إلى سؤال الأثر"، مجلة الكلية الجامعية بالجموم، ع: 12، 2023، ص ص 122-124.

الاصطناعي مجرد امتداد للأداة؟ أم هو بداية كينونة معرفية جديدة، مستقلة، قادرة على إعادة تعريف العقل نفسه؟¹

لقد حوّل الذكاء الاصطناعي النظرة إلى المعرفة من كونها محصورة في الذات العارفة الواعية، إلى كونها ممكنة من خلال الأنظمة الخوارزمية التي لا تعي ما تفعل، لكنها تحقق نتائج معرفية فعالة. وهذا التحول لا يمس فقط العلوم التطبيقية، بل يهزّ أسس الفلسفة، ويطرح تحديات كبرى على الإبستمولوجيا التي لطالما افترضت أن المعرفة تمرّ عبر الذات، الوعي، والنية.²

من هذا المنطلق، فإن دراسة الذكاء الاصطناعي لا يمكن أن تُفهم فقط كمسار تقني، بل يجب أن تُدرج داخل مسار فكري أوسع، يُعيد مساءلة مفاهيم مثل: العقل، الفهم، الإدراك، الذات، والمعنى. فهل يمكن للآلة أن تعي؟ أن تفهم؟ أن تُبدع؟ وهل الذكاء الاصطناعي هو فقط "ذكاء بلا وعي"، أم هو تمهيد لعصر تتفوق فيه "الأنظمة غير الواعية" على الإدراك البشري؟

إن هذه التساؤلات، وغيرها، ستقودنا في الفقرات التالية إلى الغوص في نشأة الذكاء الاصطناعي، تطوره، وموقعه داخل الحقل الفلسفي، لنكتشف كيف أصبح الفكر الإنساني اليوم مضطراً إلى التفكير في نفسه من خارج نفسه، أي من خلال مرايا اصطناعية، قد تعكسه، أو قد تشوّهه.

¹ هوبرت درايفوس، ما زالت الحواسيب لا تستطيع فعله: نقد للعقل الاصطناعي، مطبعة معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا، كامبريدج، ماساتشوستس، 1992، ص ص 101-103.

² جان غابرييل جاناسيا، "إبستمولوجيا الذكاء الاصطناعي"، مجلة العقول والآلات، مج 27، ع 3، 2007، ص 20.

الفصل الثاني: "الفلسفة في عصر العلم والتكنولوجيا"

تمهيد:

عرفت الفلسفة منذ نشأتها الأولى باعتبارها خطابًا عقليًا يسعى إلى إدراك الحقيقة وتأمل الوجود الإنساني في مختلف مظاهره، بدءًا من الطبيعة ووصولًا إلى العقل واللغة والمجتمع، غير أن هذا الخطاب الفلسفي لم يكن يومًا منفصلًا عن المعطيات المادية والواقعية وظروف عصره، بل ظل دائمًا في حالة تفاعل وتوتر مع مختلف التغيرات والتطورات العلمية والتقنية التي عرفتها الإنسانية في كل مرحلة من مراحلها. وفي هذا السياق، يطرح عصر العلم والتكنولوجيا الحديثة – الذي يتسم بسرعة تطور العلم ونتائجه، وما نتج عنه من تطور تكنولوجي الذي أفرز الثورة الرقمية و الذكاء الاصطناعي، وتنامي الاعتماد على تحولات الثورة الرقمية وتطبيقات الذكاء الاصطناعي – تحديات جديدة للفكر الفلسفي، ويدفعه إلى إعادة النظر في مفاهيمه الكلاسيكية، بل وقدرته على الاستمرار كمرجعية تأملية ونقدية في عالم تحكمه الآلة والخوارزميات ومختلف البرمجيات.

لقد أصبحت التكنولوجيا المعاصرة لا تقتصر على كونها أدوات في خدمة الإنسان، بل صارت بنى شاملة تؤثر في طرائق التفكير، وفي العلاقات الاجتماعية، وفي ماهية الوعي نفسه. وبفعل هذا التحول العميق، لم تعد الفلسفة قادرة على تجاهل الأسئلة التي تطرحها التقنية، سواء تعلّق الأمر بمكانة الإنسان في ظل الأتمتة، أو بمفهوم الحرية في زمن الذكاء الاصطناعي، أو حتى بإعادة صياغة معنى العقل والمعرفة والأخلاق. فالعلاقة بين الفلسفة والعلم والتكنولوجيا، إذن، لم تعد علاقة خارجية أو هامشية، بل غدت ضرورة معرفية تدفع إلى التساؤل عن مصير الإنسان في ظل هذه التحولات فغدت حتمية فلسفية، تتساءل حتى عن مستقبل الفلسفة في عالم الرقمنة والروبوتات التي أصبحت تقوم بمهام من اختصاص الإنسان حتى على مستوى الفكر والمعرفة.

ويندرج هذا الفصل في إطار استكشاف هذه العلاقة المركّبة بين الفلسفة والثورات العلمية والتحولات التكنولوجية، من خلال ثلاث مباحث أساسية:

- المبحث الأول، يتناول علاقة الفلسفة بالعلم، وكيف يمكن للفكر الفلسفي أن يواكب مسيرة العلم دون أن يفقد هويته التأملية والنقدية.
- المبحث الثاني، يتعمق في علاقة الفلسفة بالتقنية، من خلال مساءلة التطبيقات العلمية والتكنولوجية التي غيّرت بنية الحياة الإنسانية، وما أفرزته من إشكالات أخلاقية وإنسانية.
- المبحث الثالث، يبحث في "التكنولوجيا والمشكلات الفلسفية"، عبر الوقوف عند الأبعاد المعرفية والوجودية والأخلاقية التي تطرحها التكنولوجيا الحديثة، وخاصة الذكاء الاصطناعي، وأثرها في بنية التفكير الفلسفي المعاصر.

إنّ هذا الفصل لا يسعى إلى تمجيد الفلسفة أو الدفاع عنها بطريقة تقليدية، كما لا يهدف إلى إدانة التطورات العلمية والتكنولوجية أو معاداتها، بل يرمي إلى مساءلة جدلية بين المجالين، تهدف إلى توضيح كيف يمكن للفلسفة أن تظل ذات راهنية، (الفلسفة والراهن)، بل ضرورة في عصر يُعاد فيه تعريف الإنسان ذاته على ضوء تقنيات لا تكف عن التوسع والاختراق.

من هنا، تبرز أهمية هذا الفصل في الكشف عن الإمكانيات النقدية والتوجيهية للفكر الفلسفي، من خلال إعادة صياغة العلاقة بين الإنسان والعلم، وبين القيم والتقنية، وبين المستقبل والهوية. فهل بإمكان الفلسفة أن تواكب عصر الذكاء الاصطناعي دون أن تفقد معناها وجدواها؟ وهل ما زالت تملك القدرة على مساءلة حدود المعرفة التقنية، وتوجيهها نحو إنسانية أكثر عدالة وكرامة؟ هذه هي الأسئلة التي سيحاول هذا الفصل معالجتها، ضمن مسار نقدي وتحليلي يجمع بين العمق الفلسفي والانفتاح على مستجدات العصر.

المبحث الأول : العلاقة بين الفلسفة والعلم

يُعتبر العلم من أكثر مجالات المعرفة تطوراً في العصر الحديث، لما يتمتع به من قدرة على تقديم تفسيرات علمية دقيقة للظواهر الطبيعية وتوفير حلول تقنية لمشاكل الإنسان. غير أن هذه النجاحات تخفي خلفها حدوداً عميقة لا يمكن تجاوزها إلا من خلال التفكير الفلسفي. فالعلم، بمنهجه التجريبي والرياضي، لا يستطيع أن يفارق مجاله الطبيعي و يجب عن الأسئلة الميتافيزيقية والأخلاقية التي تتعلق بالوجود والمعنى والقيم. كالتساؤل عن سبب وجود الكون، أو عن الغاية من الحياة، أو عن طبيعة الخير والشر، هي أسئلة ذات دلالة ميتافيزيقية تتجاوز قدرات العلم وتدخل في صميم الحقل الفلسفي التأملّي. ولتبسط حيثيات طبيعة العلاقة أو التمثيل بين العلم كقوانين ونظريات وبين الفلسفة كتساؤل وحالة من الشك والتأمل حددنا جملة من النقاط التي يجب تحليلها ومناقشتها لتحديد طبيعة العلاقة

1- حدود العلم وأسئلته الفلسفية

يُعتبر العلم من أكثر مجالات المعرفة تطوراً في العصر الحديث، لما يتمتع به من قدرة على تقديم تفسيرات دقيقة للظواهر الطبيعية وتوفير حلول تقنية لمشاكل الإنسان. غير أن هذه النجاحات تخفي خلفها حدوداً عميقة لا يمكن تجاوزها إلا من خلال التفكير الفلسفي. فالعلم، بمنهجه التجريبي والرياضي، لا يستطيع أن يجيب عن الأسئلة الميتافيزيقية والأخلاقية التي تتعلق بالوجود والمعنى والقيم. إن السؤال عن سبب وجود الكون، أو عن الغاية من الحياة، أو عن طبيعة الخير والشر، هي أسئلة تتجاوز قدرات العلم وتدخل في صميم الحقل الفلسفي.

وقد نبه فلاسفة العلم إلى هذه الإشكالية، ف "كارل بوبر (Karl Popper)" أكد أن ما يميز الفلسفة عن العلم هو أنها تطرح أسئلة لا يمكن حسمها تجريبياً، لكنها ضرورية لفهم الإطار العام الذي يعمل ضمنه العلم¹، وهذا يعني أن الفلسفة لا تقف على هامش العلم، بل تمثل جزءاً من بنيته التحتية، حيث تزوده بالإطار المفهومي والنقدي الذي يحتاجه لتبرير مناهجه ونتائجه¹.

فمثلاً، عندما يفسر العلم نشأة الكون عبر نظرية الانفجار العظيم، فإنه لا يوضح لماذا حدث هذا الانفجار، ولا لماذا توجد قوانين طبيعية أصلاً. هذه التساؤلات تقع في قلب التفكير الفلسفي. كذلك، عندما يطرح العلم نظريات عن الذكاء الاصطناعي أو عن التطور البيولوجي، فإن الفلسفة تتدخل لتتساءل عن الأسس الأنطولوجية والمعرفية والأخلاقية لهذه التصورات.

¹ كارل بوبر، منطق الكشف/العلمي، تر: كمال التابعي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1995، ص 14

ومن جهة أخرى، تظهر حدود العلم في عجزه عن تقديم إجابات نهائية. فالعلم يتغير ويتطور، وما يُعتبر اليوم حقيقة علمية قد يُستبدل غداً بنظرية جديدة. هذه الطبيعة الديناميكية للعلم تجعل الفلسفة ضرورة لا غنى عنها لتأطير هذا التحول المستمر¹، ولطرح الأسئلة حول ماهية التقدم، وحقيقة المعرفة، وقيمة ما نكتشفه. وهكذا، تبرز الفلسفة كمرآة تعكس للعلم حدوده، وتدعوه إلى التواضع والوعي بشروطه المعرفية.

إن العلم في حد ذاته لا يسعى إلى المعنى؛ بل يهتم بالكيفية، بينما تتولى الفلسفة التساؤل عن الغاية والسبب والمآل. ومن دون هذا التكامل، يصبح العلم مجرد أداة تقنية غير موجهة، قابلة للاستخدام في الخير أو الشر على حد سواء. لذلك، فإن حضور الفلسفة يظل أساسياً في ضبط مسيرة العلم وتحديد وجهته الأخلاقية والأنطولوجية.²

2- الإبستمولوجيا كجسر بين الفلسفة والعلم

تُعد الإبستمولوجيا - أو نظرية المعرفة (العلمية) كما يسميها البعض - الوسيط النقدي بين الفلسفة والعلم، حيث تتساءل عن شروط المعرفة العلمية، ومبادئها ومناهجها، وقيمتها، حيث لا تكتفي بوصف المناهج، بل تطرح أسئلة حول: كيف نعرف أن ما نعرفه علمي؟ ما حدود المنهج العلمي؟ ما مدى صدق وموضوعية النتائج العلمية؟

لقد كانت الإبستمولوجيا منذ نشأتها ميداناً خصباً للتفاعل والتكامل بين المقاربات الفلسفية والتطبيقات العلمية. فهي الحقل الذي يتعامل مع المفاهيم الأساسية التي تشكل بنية العلم ذاته: كالبرهان، التفسير، التجريب، الفرضية، والنظرية، ومن خلال هذا التفاعل، تؤدي الإبستمولوجيا دوراً حاسماً في الكشف عن الطابع التاريخي والمعياري للعلم.

فالعلم لا يتحرك في فراغ مفاهيمي، بل ضمن شروط معرفية تتطلب مساءلة معرفية نقدية دائمة، وهو ما تضطلع به الإبستمولوجيا. وقد أشار (غاستون باشلار) إلى هذه الفكرة حين قال " إن المعرفة العلمية تمر بتحويلات وانقطاعات وليست مجرد تراكمات، بل تُبنى من خلال الصراع مع التمثلات السابقة³. وبهذا المعنى، تصبح الإبستمولوجيا أداة لتحليل كيفية نشأة المفاهيم العلمية وتطورها، وتحقيق الوعي التاريخي والنقدي حول طبيعة المعرفة العلمية.

¹ كارل بوبر، منطق الكشف العلمي، المرجع السابق، ص 14.

² المرجع نفسه، ص 14.

⁽³⁾ -غاستون باشلار، تكوين العقل العلمي، ترجمة خليل أحمد خليل، بيروت: دار الطليعة، 1984، ص 10

كما أن الإستيمولوجيا تُساعد في تحديد معايير التمييز بين العلم والزيغ العلمي، أو بين العلم واللاعلم بتعبير (كارل بوبر) أو بين المعرفة الموثوقة والادعاءات غير العلمية، من خلال تحليل أسس الدقة والصرامة المنهجية. وهي بذلك تُسهم في تأسيس الوعي النقدي الذي يحصّن المجتمعات من السقوط في مغالطات العلموية أو النزعة التقنية المطلقة.

وقد تطورت الإستيمولوجيا لتشمل مقاربات متعددة، من بينها الإستيمولوجيا الاجتماعية التي تؤكد أن إنتاج المعرفة لا يتم بمعزل عن السياقات الاجتماعية والثقافية¹، مما يربط بين الفلسفة والعلم من جهة، والمجتمع من جهة أخرى، وهو ما يعزز من أهمية التفكير الفلسفي في توجيه البحث العلمي. وعلى هذا الأساس، فإن الإستيمولوجيا لا تدرس العلم من الخارج فقط، بل تُمارس نقدًا داخليًا يهدف إلى فهم آليات بناء المعرفة، وتقييم أدواتها، وتسليط الضوء على حدودها. وهذا ما يجعلها الجسر الحقيقي بين الفلسفة والعلم، بل ويمكن القول إنها تمثل أرضية مشتركة يلتقي فيها المفكر التجريبي بالفيلسوف التأملي.

3- من النزعة الوضعية إلى فلسفة ما بعد العلم

سادت خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين نزعة فلسفية تُعرف باسم الوضعية، وكان من أبرز ممثليها (أوغست كونت ، وهيكلم، وهيربرت سبنسر)، حيث دعت هذه النزعة إلى حصر المعرفة العلمية فيما هو تجريبي وملحوس، ورفضت أي تأملات ميتافيزيقية باعتبارها غير ذات معنى. وقد رأت أن العلم وحده قادر على تفسير الظواهر وفهم العالم، ما أدى إلى نوع من "القطيعة" بين الفلسفة والعلم.

غير أن هذه النزعة سرعان ما واجهت تحديات معرفية كبرى، خاصة بعد تطور الفيزياء الحديثة والنتائج المعقدة لنظرية النسبية وميكانيكا الكم، حيث لم تعد التفسيرات الوضعية كافية لفهم الظواهر الدقيقة، وظهر أن المفاهيم العلمية نفسها تحتاج إلى مراجعة فلسفية. كما بيّنت المدرسة التفكيكية وما بعد الحداثة أن كل معرفة، بما في ذلك العلمية، مشروطة بلغة وسياقات ثقافية وفكرية، مما أعاد للفلسفة دورها النقدي في فهم طبيعة المعرفة.

وقد عبّر (توماس كون) في كتابه "بنية الثورات العلمية" عن هذا التحول حين أشار إلى أن تطور العلم لا يسير وفق مسار تراكمي أو خطية تراكمية كما تزعم الوضعية، بل عبر ثورات وانقطاعات

¹-Sandra Harding, *The Science Question in Feminism* (Ithaca, NY: Cornell University Press, 1986), p 29.

مفاهيمية¹، وبذلك، ظهرت فلسفة ما بعد العلم، وهي الفلسفة التي لا تكتفي بتأمل العلم من الخارج، بل تنخرط معه في نقده وتفكيكه ومساءلة مفاهيمه الأساسية.

ويُعد هذا التحول بمثابة إعادة الاعتبار للدور الفلسفي في التأمل في بنية المعرفة العلمية، ومعنى الحقيقة، وحدود العقلانية العلمية. فبدلاً من تقديم العلم على أنه الحقيقة المطلقة، بات يُنظر إليه كنتاج بشري خاضع للتاريخ، وللتحولات الثقافية والاجتماعية. وقد أدى ذلك إلى نشوء فروع جديدة مثل فلسفة العلم الاجتماعية، وفلسفة التكنولوجيا، التي تؤكد على أن العلم لا يمكن فصله عن البنى السياسية والأخلاقية والثقافية.

وهكذا، فإن الانتقال من النزعة الوضعية إلى فلسفة ما بعد العلم يمثل عودة الروح للعلاقة بين الفلسفة والعلوم، بعد أن كاد الطابع التجريبي الصارم يقصي الفلسفة خارج دائرة التأثير. بل إن ما بعد الوضعية أظهرت أن العلم نفسه يتطلب فلسفة لتأويل نتائجه وتحديد معانيه، ما يعزز من ضرورة التكامل بينهم.

4- الفلسفة ومسألة أخلاقية العلم

من أبرز التحديات التي واجهت العلم في العصر الحديث هي مسألة التحديد الأخلاقي، إذ اعتبر العلم محايداً بطبيعته، لا يهتم إلا بما هو كائن دون النظر إلى ما ينبغي أن يكون. ومع التقدم التكنولوجي والصناعي المتسارع، بات واضحاً أن هذا الحياد المزعوم لا يُعفي العلم من نتائجه، خصوصاً حين تُستخدم المعرفة العلمية في تطوير أسلحة الدمار الشامل، أو في انتهاك الخصوصية، أو في تطبيقات تمييزية وعنصرية. هنا تتدخل الفلسفة بوصفها الضمير الأخلاقي للعلم، لتتساءل ليس فقط عن النتائج والوسائل، بل أيضاً عن الغايات والتوظيف ومسألة تطبيق واستخدام النتائج العلمية.

فالعلم الحديث أصبح يمتلك قدرة هائلة على التأثير في الحياة الإنسانية، لكنه يفتقر إلى البوصلة الأخلاقية التي توجه هذا التأثير. من هنا، برز دور الفلسفة كحقل تأملي قادر على توجيه استخدامات العلم وتقويم نتائجه من منظور إنساني وقيمي. وقد أشار (هانز يونس) في كتابه "مبدأ المسؤولية" إلى الحاجة إلى أخلاقيات جديدة تتناسب مع القدرة التقنية المعاصرة، وهي أخلاقيات لا تنبع من العلم نفسه، بل من الفلسفة الأخلاقية التي تُعلي من قيمة الإنسان².

¹-Thomas Kuhn, *The Structure of Scientific Revolutions* (Chicago: University of Chicago Press, 1962), p 10.

²-Hans Jonas, *The Imperative of Responsibility: In Search of an Ethics for the Technological Age* (Chicago: University of Chicago Press, 1984), p 7.

وفي هذا السياق، فإن الفلسفة تسهم في طرح أسئلة من قبيل: هل كل ما يمكن تحقيقه علميًا يجب أن نحققه في حياة البشر؟ ما حدود التدخل في الطبيعة أو في الجينات البشرية؟ ما هي المعايير التي تحكم القرارات العلمية ذات الأثر المجتمعي؟ هذه الأسئلة لا يمكن للعلم وحده أن يجيب عنها دون خلفية فلسفية وأخلاقية، بمعنى أن العلم يبقى في حاجة إلى إتيقا (قيم أخلاقية ومبادئ سامية) كما أن الفلسفة تساعد على توسيع الأفق الأخلاقي للعلماء وصنّاع القرار، بحيث لا يقتصر التفكير على الفائدة التقنية أو الربح الاقتصادي، بل يشمل كذلك الكرامة الإنسانية، والعدالة، وحقوق الأجيال القادمة. وهذا ما يجعل الفلسفة ضرورة وجودية في عالم تسيره التكنولوجيا والعلم، لكنها لا تضمن دائمًا الخير أو العدالة.

وقد دعا الفيلسوف المعاصر (يورغن هابرماس) إلى تأسيس نوع من "العقل التواصلي" الذي يُدمج المعرفة العلمية بالمداورات الأخلاقية والاجتماعية، بما يسمح بدمج الخبرة العلمية ضمن أفق القيم الإنسانية والديمقراطية¹. فالفلسفة، من هذا المنظور، لا تعارض العلم، بل تمنحه بعده الإنساني وتمنع انزلاقه نحو التثبيء أو التوظيف الأيديولوجي.

إن الحاجة إلى الفلسفة الأخلاقية تتعاظم في عصر الذكاء الاصطناعي والتكنولوجيا الحيوية، حيث لم يعد الخطر مقتصرًا على الآلات، بل امتد إلى قلب الإنسان نفسه، في جيناته وهويته وكرامته. وهنا يصبح صوت الفلسفة الأخلاقي بمثابة التحذير العقلاني من مغبة التقدم الأعلى، وضرورة الموازنة بين الإبداع العلمي والمصلحة البشرية.

ولا يقتصر الدور الأخلاقي للفلسفة على التوجيه، بل يشمل أيضًا النقد والكشف، أي أنها تمارس دورًا رقابيًّا على العلم، تكشف فيه الأبعاد المستترة أو المسكوت عنها، مثل الأبعاد السياسية أو الاقتصادية أو الإيديولوجية التي قد تحكم التوجهات العلمية. فكما يحذر بول فينغر من "أسطورة العلم"، فإن الفلسفة تُعيد للعلم موقعه كمنتج اجتماعي-تاريخي قابل للنقد والتقويم².

وعليه، فإن حضور الفلسفة كموجه أخلاقي ليس رفاهًا فكريًّا، بل هو ضرورة لضمان الاستخدام الإنساني والمسؤول للعلم. وهذا الحضور يجب أن يُكرس في السياسات العلمية، وفي تعليم العلوم، وفي خطاب الإعلام العلمي، حتى لا يتحول العلم إلى أداة عمياء تقود العالم نحو الكارثة باسم التقدم.

¹-يورغن هابرماس، العقلانية التواصلية ونقد المجتمع، ترجمة سعيد الغانمي، بيروت: المركز الثقافي العربي، 2002، ص 45.

²-Paul Feyerabend, *Science in a Free Society*, London: NLB, 1978, p. 90.

5- الفلسفة والتكامل بين العلوم: (العلوم البيئية)

في ظل التخصص المتزايد للعلوم الحديثة، واجه الفكر الإنساني تحدياً معرفياً أساسياً يتمثل في خطر التفتت المعرفي وفقدان الرؤية الشمولية. فقد أصبحت المعارف تتجه إلى التجزئة والتخصص الدقيق، ما أدى إلى تعقيد الفهم الشامل للعالم والإنسان. هنا تبرز الفلسفة كقوة جامعة، تسعى إلى إعادة بناء الجسور بين مختلف الحقول المعرفية من خلال تقديم إطار نقدي ومفاهيمي يسمح بربط الأجزاء بالكل.

لقد أدرك فلاسفة مثل (إدغار موران) Edgar Morin أهمية الفلسفة في تجاوز هذا التفتت، حيث دعا إلى "تفكير مركب" (La pensée complexe) "يجمع بين المعارف بدل أن يعزلها، ويعيد للإنسان قدرته على التأمل في معاني الكليات بدل التورط في تفاصيل التقنيات فقط".¹

هذا ما يجعل الفلسفة ضرورية لفهم الترابط بين نتائج العلوم وتأثيراتها على مستوى القيم، والسياسة، والبيئة، والمصير الإنساني.

كما أن الفلسفة لا تسعى إلى السيطرة على باقي المعارف، بل تقترح حواراً نقدياً بينها، من أجل تكوين وعي معرفي شامل. فالمعرفة العلمية، رغم دقتها وصرامتها، لا تستطيع وحدها تقديم أجوبة على أسئلة المصير، والغاية، والمعنى، أو ما أصبح يعرف بالعلوم البيئية، وهنا تتكامل مع الفلسفة التي تسأل: ما مغزى هذا التقدم؟ وإلى أين نمضي؟

إن الفلسفة، من خلال مقاربتها التأويلية والنقدية، تحرر العقل من النزعة الاختزالية، وتساعد على إدراك العلاقات المتشابكة بين الطبيعة والمجتمع، بين التقنية والثقافة، بين الفرد والكون. ومن دون هذا التكامل، تغدو العلوم أدوات وظيفية فحسب، تخدم غايات قصيرة المدى قد تتعارض مع المصلحة الإنسانية الأشمل.

وقد أشار (بول ريكور) إلى أهمية ما سَمَّاه "القراءة التأويلية للعلم" التي تمكّن الفلسفة من استعادة معناها في عصر العلم، من خلال مساهمتها في فهم دلالات التحولات المعرفية وليس فقط وصفها² فالفلسفة بذلك لا تقف على هامش العلوم، بل تشارك في تعميق فهمها وتوجيه نتائجها نحو أفق إنساني أرحب.

¹-Edgar Morin, *La Méthode 6. Éthique*, Paris: Seuil, 2004, p. 22.

²-Paul Ricoeur, *Du texte à l'action: Essais d'herméneutique II*, Paris: Seuil, 1986, p. 327.

وعليه، فإن الفلسفة في عصر العلم لا تكتفي بمرافقة العلم نقدياً أو أخلاقياً، بل تسهم كذلك في تحقيق وحدة المعنى وسط تعددية التخصصات، فتغدو بذلك شرطاً ضرورياً لتكوين معرفة إنسانية متكاملة، قادرة على مواجهة تحديات العصر في شتى الميادين.

6- القيمة الاستيمولوجية في نقد مناهج العلم ونتائجه :

لا تقف الفلسفة موقف المتفرج من العلم، بل تمارس دوراً نقدياً عميقاً تجاه مناهجه ونتائجه، محاولة كشف ما يتوارى خلف دقة المعادلات أو صرامة المناهج. فالفكر الفلسفي لا ينظر إلى المنهج العلمي على أنه معطى نهائي لا يقبل النقاش، بل يعتبره بناءً تاريخياً قابلاً للنقد والمراجعة. لقد أبانت الفلسفة، خاصة مع فلاسفة العلم المعاصرين، عن أن المنهج العلمي لا يخلو من الافتراضات المسبقة، ومن الرؤى الميتافيزيقية التي تشكل رؤيتنا للعالم.

إذا كان العلم الحديث قد تميز بالمنهجية الصارمة والتجريبية الدقيقة، فإن هذه المزايا لا تلغي محدوديته ولا تعفيه من المراجعة النقدية. وهنا تظهر الفلسفة كفاعل لا غنى عنه، إذ إنها تمارس دوراً نقدياً مزدوجاً: فهي من جهة تحلل مناهج البحث العلمي وتعيد مساءلتها، ومن جهة أخرى تتأمل في نتائج العلم وانعكاساتها على الوعي والمعنى والواقع الإنساني.

لقد أظهر تاريخ العلم أن ما يُعتبر "حقائق علمية" ليس دائماً نهائياً أو معصوماً من الخطأ. بل إن تطور العلم ذاته ارتكز في كثير من الأحيان على نقد داخلي وخارجي لمناهجه ومفاهيمه. وقد كانت الفلسفة، خصوصاً الاستيمولوجيا، من أبرز القوى التي دفعت بهذا النقد. فقد شكّل عمل غاستون باشلار مثلاً واضحاً على ذلك، حين أكد أن المعرفة العلمية لا تتقدم إلا عبر "قطائع إستيمولوجية" تفكك التصورات السابقة وتعيد بناء المفاهيم على أسس جديدة¹.

إن هذا النقد الفلسفي لا يقتصر على المنهج التجريبي وحده، بل يمتد إلى الأسس اللغوية والمنطقية التي يُبنى عليها الخطاب العلمي. ففلاسفة مثل فتجنشتاين في مرحلته الثانية وجيل دولوز لاحقاً، أثاروا أسئلة حول حدود اللغة العلمية وعمّا إذا كانت قادرة على تمثيل الواقع بشكل كاف، أو ما إذا كانت تعيد إنتاجه وفق شبكة مفاهيمية مغلقة تحجب جوانب من الوجود الإنساني والمعياري².

ومن جهة أخرى، تتدخل الفلسفة لتفكيك الأوهام المرتبطة بنتائج العلم. فالعلم، وإن كان قادراً على تفسير الظواهر الطبيعية وتقديم حلول تقنية لمشكلات متعددة، فإنه لا يملك المعايير الأخلاقية أو

¹-Gaston Bachelard, La formation de l'esprit scientifique, Paris: Vrin, 1938, p. 15.

²-Ludwig Wittgenstein, Philosophical Investigations, Oxford: Blackwell, 1953. p.12

القيمة التي تحدد كيفية استعمال هذه الحلول. ولهذا فإن التقدم العلمي قد يؤدي - كما في حالة الأسلحة النووية أو تقنيات المراقبة البيولوجية - إلى نتائج كارثية على الإنسانية، ما لم يُصَحَّب بمساءلة فلسفية تقيم النتائج وتُحكّم الضمير الإنساني في مسارها.

وقد نبّه (هانس يوناس) إلى هذا الخطر حين دعا إلى "أخلاق من أجل المستقبل" تأخذ بعين الاعتبار عواقب أفعالنا العلمية على الأجيال القادمة والبيئة والطبيعة، وهي أخلاق لا يمكن للعلم وحده أن يؤسسها¹، فالعلم يملك القدرة على الفعل، لكن لا يملك الحكمة الكافية لتحديد ما يجب فعله. وهنا تأتي الفلسفة لتملأ هذا الفراغ المعياري وتعيد توجيه المعرفة نحو غايات إنسانية.

وعلاوة على ذلك، فإن الفلسفة تسهم في مساءلة التصورات الكونية التي تنتجها العلوم. فمثلاً، هل ما نعتبره "واقعاً" في الفيزياء الحديثة - ميكانيكا الكم والنسبية - يعكس الواقع كما هو، أم هو مجرد تمثيل رياضي مقبول وظيفياً؟ هذا السؤال، الذي لا يستطيع العلم الإجابة عنه وحده، يجد في الفلسفة أفقاً تأملياً يسمح بفهم طبيعة العلاقة بين النموذج والواقع، بين التجريب والتصور، بين الواقع الموضوعي والذات العارفة.

ولا يقتصر دور الفلسفة هنا على تأمل النتائج فحسب، بل يمتد إلى مساءلة الأسس العميقة التي يُبنى عليها العلم، كفكرة الموضوعية، والتجريب، والتكرار، والسببية. وقد أظهرت فلسفات ما بعد الحداثة - مثل فلسفة ميشيل فوكو وبول فايرابند - أن العلم لا ينفصل عن السلطة ولا عن الخطابات المهيمنة، وأن ما نعتبره معرفة محايدة قد يكون محملاً بإيديولوجيات خفية توجه مسارات البحث وتحد من تنوع المناهج. وقد ذهب (بول فايرابند) Paul Feyerabend إلى القول إن المنهج العلمي ليس واحداً، وإن التعدد المنهجي هو الطريق الأنجع لتقدم المعرفة². أو كما يسميه البعض باللامنهج أو الفوضوية.

إن القيمة الفلسفية في نقد العلم تكمن إذًا في قدرتها على تحرير العقل من وهم الحياد المطلق، وعلى دفع التفكير نحو تعددية خصبة تأخذ بعين الاعتبار أبعاد الإنسان والبيئة والمعنى، فالعلم من دون نقد فلسفي قد يتحول إلى أداة منفصلة عن الغايات الإنسانية، بل قد يتحول إلى تهديد. أما حين يقترن بالوعي الفلسفي، فإنه يجد طريقه إلى التوازن والمسؤولية.

وهكذا فإن الفلسفة، من خلال النقد الإستمولوجي، تعمل على تعرية البنية المعرفية للعلم، وتبيان حدود ادعاءاته بالحياد والموضوعية. فالعلم ليس ممارسة تقنية فحسب، بل هو مشروع إنساني

¹-Ludwig Wittgenstein, Philosophical Investigations, Oxford: Blackwell, 1953. p.12

²-Paul Feyerabend, Against Method, London: Verso, 1975, p. 23

يحمل في طياته قيماً واختيارات وتحيزات. هذا ما يؤكد إيان هاكينغ حين يشير إلى أن «العلم ليس فقط تمثيلاً للعالم، بل هو أيضاً تدخل في هذا العالم»⁽¹⁾، ومن هذا المنطلق، تصبح الفلسفة ضرورة لا غنى عنها لضمان اتساق العلم مع القيم الإنسانية والمعايير العقلانية.

¹-Ian Hacking, *Representing and Intervening: Introductory Topics in the Philosophy of Natural Science* (Cambridge: Cambridge University Press, 1983), p-27–45.

المبحث الثاني: الفلسفة والتقنية – تطبيقات العلم والمشكلات التي أفرزتها التقنية

إنَّ العلاقة بين الفلسفة والتقنية علاقة متشابكة ومعقدة، بدأت منذ اللحظة التي تحوّل فيها الإنسان من مجرد متأمّل في الطبيعة إلى فاعل فيها ومؤثر على مجرياتها عبر أدواته ومخترعاته. وقد شهد القرن العشرون، ومعها الحادي والعشرون، قفزات هائلة في تطور التقنيات، سواء في مجالات الطب، الإعلام، النقل، الذكاء الاصطناعي، أو حتى في الحياة اليومية، مما أدى إلى بروز إشكاليات جديدة تستوجب قراءة فلسفية متأنية. لم تعد التقنية مجرد "وسيلة" بل غدت "قوة" تُعيد تشكيل العالم والإنسان معاً، وهو ما يفرض على الفلسفة واجب مساءلتها وتحليل أبعادها الأخلاقية، الوجودية، والإبستمولوجية. انطلاقاً من هذا السياق، يسعى هذا المبحث إلى تحليل علاقة الفلسفة بالتقنية من زوايا متعددة، أبرزها: التقنية كامتداد للعلم، وتحولها من وسيلة إلى سلطة، وتأثيرها على مفهوم الإنسان، وعلى طبيعة العقل والوعي، مع التطرق إلى المخاطر التي أفرزتها على مستوى الحريات والقيم الإنسانية

1- التقنية كامتداد للعلم: من الاكتشاف إلى التطبيق

لم تعد التقنية مجرد تفاعل مع العالم الطبيعي، بل أصبحت مكوّناً من مكونات الوجود في القرن العشرين، أصبحت التقنية أكثر من مجرد أدوات تُستخدم لتسهيل الحياة اليومية؛ لقد تحولت إلى مجال يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالاكتشافات العلمية ويشكل في كثير من الأحيان تجسيداً مباشراً لتلك الاكتشافات. الفكرة الأساسية البشري، وهي لا تقتصر على كونها تطبيقاً للعلم، بل أصبحت أداة تُحوّل المعرفة إلى ممارسات يومية ملموسة.¹

• التطور التاريخي للتقنية :

منذ بداية العصر الحديث، شهدت البشرية تطوراً متسارعاً في حقل العلوم التطبيقية، حيث بدأ العلم في إعطاء الأجوبة التي يمكن تطبيقها في الحياة العملية. في العصور القديمة، كانت التكنولوجيا عبارة عن أدوات بسيطة كالعجلة والنار، بينما مع الثورة الصناعية في القرن التاسع عشر، انفجر هذا التفاعل بين العلم والتقنية في مجالات مثل الكهرباء والميكانيكا، مما أثر بشكل عميق في حياة الإنسان. لكن مع ظهور علم الكمبيوتر في منتصف القرن العشرين، بدأت التقنية تتحول إلى علم بحد ذاته، يعتمد على الأسس العلمية لإنتاج الآلات والبرمجيات المتطورة.²

¹ هايدغر، مارتين. *سؤال التقنية*. ترجمة: خالد غزال، بيروت: المركز الثقافي العربي، 1977، ص 86.

² أحمد، سامي. "الثورة الصناعية والتطور التكنولوجي". *دراسات في الفلسفة والتقنية*، 2008، ص 120.

2- التطبيقات العلمية والتقنية :

التقنية اليوم تُترجم الاكتشافات العلمية إلى تطبيقات عملية في جميع المجالات. من الطب حيث تُستخدم التقنيات الطبية لعلاج الأمراض المستعصية مثل السرطان، إلى الهندسة الوراثية التي تفتح آفاقاً جديدة في علم الوراثة. هذا التفاعل بين العلم والتقنية يعد مجالاً خصباً لفلسفة العلم، حيث يتساءل الفلاسفة: هل تُعتبر التقنية امتداداً طبيعياً للعلم أم أن هناك تداخلاً يُحوّل التقنية إلى مجال مستقل¹.

3- التحديات الفلسفية :

التحدي الذي يطرحه الفلاسفة هو: هل يمكن اعتبار التقنية مجرد امتداد للعلم؟ بعض الفلاسفة مثل هايدغر في كتابه "سؤال التقنية" (1977)، يرون أن التقنية ليست مجرد أداة لحل المشاكل، بل هي شكل من أشكال التأثير على الإنسان والطبيعة. هي تُملي على الإنسان طريقة تفكيره وتعاملاته مع الواقع الطبيعي والاجتماعي، هذه الفكرة تدعو إلى التساؤل حول ما إذا كانت التقنية تُحرك الإنسان، أم أن الإنسان هو الذي يوجه التقنية².

رغم ما وفرتة التقنية من تسهيلات وابتكارات غيّرت معالم الحياة البشرية، فإن آثارها لم تكن إيجابية دائماً. فقد أفرزت هذه التحولات التقنية العديد من الإشكالات التي أثرت على طبيعة العلاقات الاجتماعية، والتوازن النفسي، وخصوصية الأفراد، بل وحتى على البنية الاقتصادية التقليدية للمجتمعات. من هذا المنطلق، يصبح لزاماً على الفلسفة المعاصرة والعلوم الإنسانية أن تنخرط في محاولة فهم هذه المشكلات ومساءلتها، ومن ثمّ اقتراح حلول مناسبة لها في إطار أخلاقي وإنساني شامل، فالرهان لا يكمن فقط في تطوير التكنولوجيا، بل في كيفية تسخيرها لخدمة الإنسان دون المساس بإنسانيته وكرامته³.

أولاً: المشاكل الاجتماعية الناتجة عن التقنية

شهدت العلاقات الاجتماعية تغيراً جذرياً بفعل الانتشار الواسع للتقنيات الرقمية، حيث بدأت التفاعلات الافتراضية تحل محل اللقاءات المباشرة. فقد أدى الإفراط في استخدام الهواتف الذكية ومنصات التواصل الاجتماعي إلى تراجع ملموس في جودة التواصل البشري، إذ أصبحت الروابط الإنسانية خاضعة لإيقاع العالم الرقمي السريع، مما أضعف التفاعل الوجداني الحقيقي وأدى إلى نوع من التفكك

¹-جونسون، جيمس. *التقنية والعلوم: أفق تطور الفهم*. دار نشر الفكر، نيويورك، 2012، ص 45.

²-هايدغر، مارتين. *سؤال التقنية*. تر: خالد غزال، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1977، ص 96.

³-خليل، محمد. *التكنولوجيا والعلاقات الاجتماعية: من التواصل إلى العزلة*. بيروت: دار المدى، 2018، ص 140.

الاجتماعي⁽¹⁾. كما أن بعض الأفراد، خصوصًا من فئة الشباب، باتوا يعيشون عزلة اختيارية داخل عوالم افتراضية لا تتيح لهم تنمية مهاراتهم الاجتماعية بشكل طبيعي³. وهذا الواقع الجديد يدفعنا للتساؤل عن طبيعة المجتمع الذي تشكله التكنولوجيا: هل هو مجتمع تواصل حقيقي أم مجتمع تغريب وانفصال عن الذات والآخر؟

ثانيًا: المشكلات النفسية المرتبطة بالتقنية

يرتبط الاستخدام المفرط للتقنيات الرقمية بعدد من التأثيرات النفسية السلبية التي باتت تظهر بوضوح في المجتمعات الحديثة. فقد أكدت دراسات متعددة وجود علاقة قوية بين الإدمان على وسائل التواصل الاجتماعي وارتفاع معدلات القلق والاكتئاب، خصوصًا بين المراهقين والشباب⁽²⁾. يعود ذلك إلى الضغط المستمر للمقارنة مع الآخرين، ما يخلق شعورًا دائمًا بعدم الكفاءة أو النقص⁽³⁾. كما أن نمط الحياة الرقمي المستمر يُضعف قدرة الإنسان على التركيز والانخراط في أنشطة ذهنية عميقة، مما يُسهم في تراجع الأداء العقلي والمعرفي، ويدفع نحو ثقافة "السطحية السريعة"⁽⁴⁾.

ثالثًا: الأخطار الأمنية ومشكلة الخصوصية

في ظل تعاظم الاعتماد على الإنترنت والخدمات الرقمية، أصبحت الخصوصية الفردية مهددة بشكل غير مسبوق. إن قدرة الشركات الكبرى على تتبع المستخدمين، وتخزين بياناتهم، وتحليلها لأغراض تجارية أو سياسية، أثار قلقًا عالميًا بشأن مصير هذه البيانات وسوء استغلالها⁵، كما أن حالات الاختراق الأمني التي تستهدف مؤسسات وأفرادًا على حد سواء تطرح إشكاليات أخلاقية وقانونية تتعلق بحدود السلطة الرقمية⁶، لمتعد الخصوصية مسألة اختيارية، بل أصبحت جزءًا من المعركة الوجودية للإنسان المعاصر في الحفاظ على ذاته داخل فضاء رقمي متداخل.

رابعًا: التحديات الاقتصادية الناتجة عن الأتمتة

¹ يونس، خالد. *التكنولوجيا والمجتمع: تحليل الفوائد والأضرار*. دار الفكر، عمان، 2020، ص. 56.

² -سميث، كارين، *الصحة النفسية وعصر التكنولوجيا: دراسة تحليلية*. تر: هالة فوزي، القاهرة: دار العلم، 2021، ص 77.

³ -نفسه، ص 77.

⁴ إريك، جون، *التقنية والإنسان: تحديات العصر الحديث*. تر: سامي عبد الفتاح، القاهرة: مكتبة الشروق، 2019، ص 102.

⁵ - داوود، سامية. *الأمن الرقمي وحماية البيانات: التحديات المعاصرة*، دار النشر العالمية، بيروت، 2017، ص. 34.

⁶ - عيسى، يوسف. *تسريعات حماية البيانات: الطريق إلى الأمن الرقمي*. دار المعارف، القاهرة، 2022، ص. 112.

شكّلت الثورة التقنية تهديدًا مباشرًا لعدد كبير من الوظائف التقليدية، إذ أضحت الأتمتة والذكاء الاصطناعي بديلاً عن الإنسان في عدة ميادين إنتاجية¹، لم يعد الإنسان العامل هو العنصر المحوري في العملية الإنتاجية، بل أصبح في كثير من الأحيان مجرد مراقب لما تؤديه الآلات. هذا التحول يُنبئ بأزمة بطالة حادة، خصوصاً في الدول النامية التي لم تواكب بعد هذا الانتقال التكنولوجي². وهكذا، فإن التقنية، رغم دورها في تحسين الإنتاج، قد تفرز فجوات اقتصادية واجتماعية تهدد التماسك المجتمعي والاستقرار الوظيفي.

خامساً: الفلسفة والتقنية (مواقف فلسفية)

من أبرز الفلاسفة الذين اشتغلوا على العلاقة بين التقنية والفلسفة في القرن العشرين، نجد الفيلسوف الألماني يورغن هابرماس، Jürgen Habermas، الذي يُعد امتداداً نقدياً لمدرسة فرانكفورت، لكنه انفتح على أفق جديد يُعرف بـ "الفعل التواصلي"، رافضاً اختزال العقل في بعده الأداتي، كما فعلت الحداثة الغربية، ومُقتراحاً بديلاً يقوم على العقل التواصلي القائم على التفاهم لا على السيطرة. يرى هابرماس أن المشكلة الأساسية في التقنية الحديثة ليست في تقدمها نفسه، بل في الطريقة التي تُمارس بها على الإنسان والمجتمع. فهي لا تُوظف فقط لتطوير الحياة، بل تستعمل أحياناً كأداة للهيمنة وإعادة إنتاج السيطرة الاجتماعية عبر أنظمة مغلقة لا تسمح بالنقاش العمومي أو التفاهم الحر. وهكذا فإن الخطر لا يكمن في التقنية كأداة، بل في غياب الفضاء الذي يُمكن فيه مناقشة التقنية، وتحديد أهدافها أخلاقياً وسياسياً³.

في كتابه "التقنية والعلم كأيديولوجيا" (*Technology and Science as Ideology*)، انتقد هابرماس بشدة تحول التقنية إلى أيديولوجيا، أي إلى نسق فكري يُبرر نفسه ويُقصي أي بديل، بحجة الكفاءة أو الحتمية التقنية. ففي ظل هذا التصور، يصبح كل ما هو تقني "صائب"، لمجرد أنه "ينجح"، ويُقصي كل رأي أخلاقي أو إنساني أو فلسفي، بدعوى أنه "غير علمي". وهذا يؤدي إلى إفراغ المجال العام من النقاش القيمي وتحويله إلى حقل تقني محض⁴.

¹ - أحمد، عادل. *التكنولوجيا والعمل: مستقبل الوظائف في عصر الأتمتة*. دار المستقبل، بيروت، 2019، ص. 89.

² - المرجع نفسه، ص 89.

³ - Habermas, Jürgen. *The Theory of Communicative Action*, Beacon Press, 1984, P48.

⁴ - Habermas, Jürgen. *Technology and Science as Ideology*, in: *Toward a Rational Society*, Beacon Press, 1970, P120.

وهنا يُميز هابرماس بين العقل الأداتي (instrumental reason) الذي يُوجّه التقنية والعلم اليوم، والذي يبحث فقط عن الوسائل الأكثر نجاعة لتحقيق الأهداف، دون مساءلة هذه الأهداف نفسها، وبين العقل التواصلّي (communicative reason) الذي يسعى إلى التفاهم والمشاركة واتخاذ القرارات الأخلاقية بشكل جماعي حر. وهو يرى أن الخطر الأكبر هو أن يُهيمن العقل الأداتي على كل مجالات الحياة، من الاقتصاد إلى السياسة، بل وحتى التربية، مما يُحوّل الإنسان إلى مجرد "كائن وظيفي" فاقد للمعنى والكرامة.

من هذا المنطلق، يُقدّم هابرماس مشروعاً فلسفياً يهدف إلى إعادة تفعيل الفضاء العمومي كحيز للنقاش الديمقراطي، حيث يُمكن للمجتمع المدني أن يُشارك في تحديد توجهات التقنية والعلم، لا أن يُفرض عليهما من فوق. الفلسفة، بالنسبة لهابرماس، لا ترفض التقنية من حيث المبدأ، بل ترفض صيغتها الحالية المنفلتة من أي رقابة أخلاقية أو تواصلية. ولذلك فهو لا يدعو إلى "إيقاف التقنية"، بل إلى أنسنتها وتسييسها، أي جعلها موضع نقاش عام، تُدار فيه قراراتها الكبرى من طرف عقل جماعي حر، لا من نخب تكنوقراطية مغلقة.

وهكذا، فإن هابرماس يُعيد للفلسفة دورها الحيوي كوسيط بين العلم والمجتمع، وكضامن لحوار عقلاني شامل حول مستقبل الإنسان. وهو في ذلك يُكمل مشروع الفلسفة النقدية التي بدأت مع كانط واستمرت مع مدرسة فرانكفورت، لكنه يُطوّره ليُصبح مشروعاً عملياً للتواصل الاجتماعي والسياسي في زمن تسيطر فيه التقنية على كل شيء.

أ. التمييز بين الرؤية الفلسفية والرؤية التقنية للإنسان: من العقل إلى الآلة

من بين أهم القضايا التي طرحها هابرماس تتعلق بالفرق الجوهرية بين الرؤية الفلسفية والرؤية التقنية للإنسان، حيث يتضح جلياً أن الفلسفة الحديثة كانت دائماً مهتمة بالإجابة على سؤال "ما هو الإنسان؟"، أو "ما هو معنى الوجود الإنساني؟"، بينما نجد أن الرؤية التقنية تقدم إجابات تُركّز بشكل رئيسي على الكفاءة والإنتاجية والقدرة على التنظيم في إطار محدود من الأهداف العملية.

في الفلسفة، الإنسان يُعتبر كائنًا عاقلًا، صاحب إرادة حرة، قادر على التأمل والتفكير النقدي، وعلى اختيار أهدافه بحرية. إذًا، هناك في الفلسفة عنصر إنساني أصيل يشمل الفكر والوعي والاختيار الحر. الفلسفة هي سياق تأملي، حيث يتم البحث عن معنى الحياة ومغزى الوجود البشري. كما يرى

هابرماس أن العقل في هذه الرؤية هو عقل تواصل يسهل إلى التفاهم، ويعتمد على التفاعلات الإنسانية التي تُشكّل قواسم مشتركة للقرارات الإنسانية¹.

على الجانب الآخر، تنظر التقنية إلى الإنسان باعتباره مجموعة من الأنظمة التي تُقاس بالأداء والوظيفة. في هذا السياق، يُختزل الإنسان إلى مجموعة من الوظائف القابلة للتحسين أو الاستبدال، ويتم تقييمه وفقًا لمعايير الكفاءة وليس الوجود أو المعنى. وتُركز التقنية على العقل الأداتي، أي العقل الذي يُوجه العمل نحو تحقيق هدف محدد، بعيدًا عن التأملات الفلسفية أو الأخلاقية. وبالتالي، عندما تصبح التقنية هي المعيار، يتم التخلص من الجانب الكوني للإنسان لصالح فكرة الإنسان القابل للقسم والقياس، والذي يتم تحديده بناءً على كفاءته في إنجاز المهام.

إن هذا الاختلاف العميق بين الرؤية الفلسفية والرؤية التقنية للإنسان يتطلب إعادة تأهيل الفلسفة في عالم التكنولوجيا. الفلسفة اليوم، كما يرى هابرماس، يجب أن ترد الاعتبار للإنسان ككائن عاقل قادر على التفاهم والاختيار الحر، حتى لا يتحول الإنسان إلى "شيء" في منظومة التقنية الضاغطة، بل يجب أن يكون عنصرًا فاعلاً في تحديد معايير قيمته وأهدافه. ومن هنا جاء ضرورة تقاطع الفلسفة مع أخلاقيات التقنية لتمكين الإنسان من مقاومة الهيمنة التقنية وتوجيهها بما يخدم القيم الإنسانية⁽²⁾.

ب. التحكم الاجتماعي عبر التقنية: الهيمنة الرقمية وصناعة الرأي العام

بعد التمييز بين الرؤية الفلسفية والتقنية للإنسان، ننتقل إلى إشكالية التحكم الاجتماعي عبر التقنية، التي أصبحت من أهم القضايا المطروحة في الفكر الفلسفي المعاصر. ففي عالم اليوم، تتداخل التقنيات الرقمية بشكل غير مسبوق مع الحياة اليومية، مما يطرح تساؤلات فلسفية عميقة حول التحكم الاجتماعي الذي تُمارسه التقنيات الحديثة.

هابربرت ماركيز، من خلال نقده للحدثة التقنية، وصف المجتمع المعاصر بأنه مجتمع "أداتي"، حيث كل شيء يُحوّل إلى أداة لتحقيق غايات محددة. في هذا السياق، تبرز التقنيات الرقمية كأدوات فعالة لزيادة التحكم الاجتماعي عبر المراقبة الشاملة وتوجيه سلوك الأفراد من خلال البيانات، الخوارزميات، ومنصات التواصل الاجتماعي. لا يمكن النظر إلى هذه التقنيات على أنها محايدة، فهي ليست فقط وسائل لتحسين حياة الإنسان، بل أدوات للهيمنة على الرأي العام وتوجيه القرارات.

¹ Habermas, Jürgen. The Theory of Communicative Action. Vol. 1, Reason and the Rationalization of Society. Boston: Beacon Press, 1984, P 82.

² Habermas, Jürgen. The Future of Human Nature, Polity, 2003, P 86.

من جهة أخرى، يتناول يورغن هابرماس في نقده لعصر الإعلام الرقمي مسألة التواصل المغلق الذي تُؤسس له منصات التواصل الاجتماعي، والتي تنتهي بتشكيل ما أسماه "الفضاءات العامة المعولة" التي لا تُعطي فرصة للإنسان العادي للمشاركة الحرة في النقاشات العامة. فالذكاء الاصطناعي، في نظر هابرماس، قد يساهم في تحويل الإنسان إلى كائن خاضع لما يراه النظام التكنولوجي مناسباً. بدلاً من أن يُفتح النقاش وتُطرح الآراء المتباينة، أصبح الرأي العام يتشكل وفق معايير خوارزمية، مما يحد من الحرية والاختيار.¹

ومع ذلك، فإن هابرماس لا يُنكر أهمية التقنية في تحقيق الرفاهية والتقدم المعرفي، لكنه يُحذر من استخدامها لفرض الهيمنة. في هذا السياق، يُعيد التأكيد على الحاجة إلى المساءلة الأخلاقية لكل تقنيات تسعى للتأثير على الإنسان والجماعة. وبذلك، تصبح الفلسفة ضرورة عقلية لدعم الحرية الفردية والحفاظ على الديمقراطية في مواجهة الهيمنة الرقمية.²

¹ يورغن هابرماس، نظرية الفعل/التواصلي، المجلد الثاني: العالم/المعيش والنظام: نقد العقلانية الوظيفية، ترجمة

العنوان، بوسطن: دار بيكون، 1987، ص 375-

² المرجع نفسه، ص 375-

المبحث الثالث: التكنولوجيا والمشكلات الفلسفية

شكّلت التقنية منذ فجر الحضارة أداة أساسية في يد الإنسان لتطويع الطبيعة وتسهيل شروط الحياة، فقد تمثلت بداياتها في أدوات بسيطة مثل المطرقة والمحراث، وهي أدوات تُستخدم مباشرة من طرف الإنسان لتحقيق غرض معين. غير أن هذا الفهم البسيط للتقنية قد تغيّر جذرياً مع ظهور العلم والتكنولوجيا وبروز الرقمنة والحوسبة والذكاء الاصطناعي، مما فرض ضرورة إعادة النظر في ماهية التقنية بنظرة فلسفية نقدية شاملة.

ففي العصر الحديث، لم تعد التكنولوجيا تقتصر على أدوات فيزيائية، بل تحوّلت إلى بنى ذكية، وأنظمة متكاملة، وخوارزميات قادرة على اتخاذ قرارات تتعلق بحياة البشر، إن التحول أو الانتقال من الأدوات إلى الأنظمة الذكية هو تحول من علاقة استعمال إلى علاقة اندماج، فلم تعد التقنية شيئاً خارجياً نستعمله، بل أصبحت بيئة نعيش داخلها، بل حتى جزءاً من إدراكنا وهويتنا.

وقد كان الفيلسوف (مارتن هايدغر) من أوائل الفلاسفة الذين نهوا إلى الطابع الوجودي العميق للتكنولوجيا، فاعتبر أن جوهر التقنية لا يكمن في الأدوات بل في "نمط انكشاف للعالم"، حيث يُعاد تشكيل الواقع نفسه ضمن أفق النفعي والتوظيفي¹، في هذا السياق، تصبح الموجودات مجرد "موارد" معدة للاستغلال، ويُعاد تشكيل علاقة الإنسان بالعالم من منظور الهيمنة والسيطرة.

هذا التحول البنيوي للتكنولوجيا يتجلى بوضوح في الانتقال من المطرقة والمحراث إلى الخوارزميات والروبوتات، فالمطرقة أداة تتطلب تدخلاً بشرياً مباشراً، أما الخوارزمية فهي بنية غير مرئية تُقرر وتُدير دون تدخل بشري مباشر. الروبوتات لا تنقذ فقط، بل تتعلم وتتكيف بفضل تقنيات التعلم الآلي، ما يعني أن القرار بات مندمجاً في الآلة ذاتها، ولم يعد الإنسان مركز التحكم الوحيد. وهذا ما يجعل الفلسفة أمام إشكال جديد: كيف نفهم الذات الإنسانية في عالم أصبحت فيه الأنظمة الذكية تتحكم بقرارات مصيرية في الاقتصاد والسياسة والطب والتعليم والتربية؟

بل أكثر من ذلك، أصبح الواقع نفسه يُعاد تشكيله عبر صياغات وتطبيقات رقمية توجّه الإدراك البشري، فشبكات التواصل الاجتماعي، مثلاً لا تُقدّم الواقع بل تُشكّله عبر خوارزميات تُقرّر ما نراه ونفكر

¹ Martin Heidegger, *The Question Concerning Technology*, trans. William Lovitt (New York: Harper & Row, 1977, p.18).

فيه. وهذا التحول من التقنية كوسيط إلى التقنية كواقع بديل يدفعنا إلى إعادة التفكير في مفاهيم مثل "الواقع"، "الحقيقة"، و"الحرية".¹

1- مشكلة تعريف الإنسان في ظل التكنولوجيا :

لقد ارتبط سؤال "ما الإنسان؟" منذ سقراط وأفلاطون بمفاهيم مثل العقل، النفس، الأخلاق، الحرية... لكن في العصر الرقمي، أُعيد طرح هذا السؤال داخل سياق جديد تمامًا، حيث تداخلت البيولوجيا مع المعلوماتية، والجسد مع السيليكون. فظهور الذكاء الاصطناعي، والواجهات الدماغية-الآلية، وزراعة الرقائق العصبية، غير من صورة الإنسان كما عرفها الفكر الفلسفي الكلاسيكي وأصبح الحديث عن الإنسان الرقمي.

إن العلاقة بين الإنسان والتقنية لم تعد علاقة استعمال بل علاقة اندماج وتجاوز، نحن لا نستعمل التقنية فحسب، بل نُعاد تشكيلنا من خلالها. أصبح الإنسان هجيناً رقمياً-بيولوجياً، يتفاعل داخل شبكات معرفية تعتمد على سرعة المعالجة، والاتصال الفوري، وتراكم البيانات. وهذا ما دفع البعض للحديث عن نهاية "الإنسان الطبيعي"، وبداية كائن جديد: الإنسان المرقم (Digital Human) في هذا السياق، يُعاد طرح الجدل حول وعي الآلة: هل تستطيع الآلة أن تُدرك وتعي؟ وهل يمكن اختزال الوعي البشري في عمليات حسابية؟ يعود هذا الإشكال إلى مناقشات فلسفية عميقة حول ماهية العقل. فقد جادل (جونسيرل) John Searle في تجربته الشهيرة "الغرفة الصينية" بأن تنفيذ الآلة لسلوك ذكي لا يعني أنها تفهم أو تعي ما تفعله. إذ يمكن لآلة أن تُعالج رموزاً دون أن يكون لها أي فهم لمضمونها²، وبالتالي، فإن الذكاء الاصطناعي لا يرقى - بحسب (جونسيرل) - إلى وعي حقيقي.

في المقابل، يرى أنصار ما يُعرف بـ "ما بعد الإنسانية" (Transhumanism) "أن العقل الإنساني ليس إلا بنية معلوماتية يمكن نقلها أو محاكاتها رقمياً، ويعتقدون أن مستقبل الإنسان هو في تجاوز الحدود البيولوجية، ودمج وعيه في أنظمة رقمية خالدة. وهنا يصبح سؤال "من هو الإنسان؟" محل نزاع إبستمولوجي وأونطولوجي، ويطرح ضرورة تحديد ما يميز الإنسان فعلاً: هل هو الوعي؟ المشاعر؟ الأخلاق؟ أم قدرته على التأمل الذاتي؟³

¹ Martin Heidegger, *The Question Concerning Technology*, trans. William Lovitt Harper & Row, New York, 1977, p 18.

² John Searle, "Minds, Brains, and Programs", *Behavioral and Brain Sciences*, Vol. 3, No. 3, 1980, P 417-424..

³ Ibid, P 417-424..

إن هذا التحول يفرض على الفلسفة تحدياً جديداً يتمثل في إعادة التفكير في ماهية الإنسان ضمن أفق لم تعد فيه الحدود بين الطبيعة والصناعة (التكنولوجيا) واضحة، فقد بات الجسد نفسه يُعدّ قابلاً للتعديل والتصميم، والهوية يُعاد تشكيلها عبر الشبكات الاجتماعية والواقع المعزز، ما يجعل مهمة الفلسفة أكثر تعقيداً في ظل ذوبان الثنائيات الكلاسيكية بين الإنسان والآلة، والذات والموضوع.

2- مشكلة الحرية، الخصوصية والرقابة التكنولوجية

في ظل التقدم الهائل في تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، لم تعد مفاهيم مثل "الحرية الفردية" و"الخصوصية" مجرد مبادئ قانونية أو سياسية، بل أصبحت في صميم النقاش الفلسفي المعاصر حول علاقة الإنسان بالتقنية، فالتكنولوجيا الحديثة، لاسيما تقنيات الذكاء الاصطناعي، غيرت من شكل السلطة، ومن طبيعة الرقابة، حيث تحولت من آليات خارجية إلى أنظمة مدمجة في الحياة اليومية للأفراد.

أ- الرقمنة كمرآة ناعمة:

كان الفلاسفة التقليديون، مثل جون لوك وجان جاك روسو، يتحدثون عن حرية الفرد في مواجهة الدولة. لكن مع بروز الاقتصاد الرقمي، ظهرت سلطات جديدة غير مرئية تمارس الرقابة على السلوك البشري من خلال تتبع البيانات الشخصية، لم تعد المراقبة محصورة في المجال السياسي، بل أصبحت جزءاً من الحياة الرقمية اليومية: من مواقع التواصل الاجتماعي إلى محركات البحث.

فالخوارزميات لا تكتفي بجمع البيانات، بل تستعملها لتوجيه اختيارات الفرد، مما يجعل "الحرية" وهمًا في بيئة رقمية تُصمَّم لتوقع السلوك وضبطه بشكل غير مباشر، وهنا يُطرح السؤال الفلسفي: هل نحن نمارس حريتنا فعلاً في عالم مُصمَّم ليراقبنا باستمرار؟¹

ب- تفكك الخصوصية في بيئة رقمية:

لم تعد الخصوصية مسألة خيار، بل أصبحت سلعة تباع وتشتري في الأسواق التكنولوجية. إن كل تفاعل رقمي – سواء كان نقرة أو مشاركة أو رسالة – يُترجم إلى بيانات قابلة للتحليل والاستغلال، وقد أظهرت دراسات حديثة أن المستخدم العادي لا يدرك حجم المعلومات التي يكشف عنها، ولا كيف تُستخدم لاحقاً لأغراض إعلانية، تجارية، أو حتى سياسية.²

¹ أحمد عبد الحليم، "الرقابة الخفية: قراءة فلسفية في المجتمعات الرقمية"، مجلة الفكر المعاصر، العدد 22، 2021، ص. 88.

² فاطمة زهراء بن يمين، "الذات والرقمنة: أزمة الخصوصية في العصر المعلوماتي"، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، العدد 17، 2023، ص. 131.

يُشكل هذا التحول تحديًا للفلسفة السياسية والأخلاقية، التي لطالما اعتبرت الخصوصية من شروط الكرامة الإنسانية. فحين تتحوّل الذات البشرية إلى "ملف بيانات"، يُهدد ذلك جوهر الإنسانية نفسها.

ج- نماذج الرقابة: من الخيال الفلسفي إلى الواقع العملي:

لقد حلم الأدب والفلسفة طويلاً بمستقبل تكون فيه الرقابة مطلقة، كما في رواية "1984" (لجورج أورويل)، غير أن الخيال أصبح واقعًا في بعض الأنظمة التي تعتمد على أنظمة "التحكم الاجتماعي" (مثل نظام تقييم السلوك في الصين)، حيث تُراقب تصرفات الأفراد، وتُقيّم آليًا بناءً على مدى التزامهم بالمعايير.

من هنا يُعيد الفلاسفة طرح سؤال: هل ما نعيشه اليوم هو شكل جديد من "الاستبداد الرقمي"؟ وهل أصبحت التكنولوجيا أداة لتعميق الخضوع بدل تعزيز الحرية؟¹

د- الفلسفية ومقاومة السلطة الخوارزمية:

تسعى الفلسفة اليوم إلى استعادة دورها كصوت مقاوم في وجه المراقبة الرقمية، فليست الحرية مجرد غياب للقيود، بل هي – كما يؤكد بعض الفلاسفة المعاصرين – القدرة على اتخاذ القرار الواعي في بيئة مفتوحة التكنولوجية، حين تهيمن على الوعي الفردي من خلال التنميط الخوارزمي، فإنها تسلب الإنسان حقّه في المبادرة، هنا تقترح الفلسفة بناء "أخلاقيات رقمية" جديدة تُعيد تعريف العلاقة بين الإنسان والتقنية، وتضع حدودًا للهيمنة الرقمية بما يحفظ الكرامة الإنسانية والحرية الفردية.²

إن الحرية والخصوصية في العصر الرقمي ليستا مجرد حقوق مهدّدة، بل هما موضوعان فلسفيان عميقان يتطلبان تفكيرًا جديدًا في طبيعة السلطة، والتقنية، والوعي البشري. ولم تعد المواجهة بين الإنسان والآلة مقتصرة على الأداء العقلي، بل صارت تدور حول السيطرة على الحياة اليومية للإنسان، مما يفرض على الفلسفة أن تستعيد دورها كمجال نقدي وأخلاقي يحمي إنسانية الإنسان.

3- مشكلة المعرفة بين الإنسان والآلة:

في ظل التطور المتسارع للذكاء الاصطناعي، أُثير نقاش فلسفي عميق حول طبيعة المعرفة التي تنتجها الآلات. فالأسئلة الأساسية التي تطرح هي: هل المعرفة التي تولدها الأنظمة الذكية تشبه المعرفة الإنسانية التي تقوم على وعي ذاتي وتجربة تأملية؟ أم أن ما تنتجه الآلات مجرد معالجة بيانات بدون وعي

¹ محمد بوعزة، "التحكم الرقمي وإشكالية السلطة: قراءة في النماذج التقنية الحديثة"، مجلة الفلسفة والواقع، العدد 8، 2022، ص 70.

² نادية أيت حسين، "الفلسفة والتقنية: نحو أخلاق رقمية جديدة"، مجلة القيم الإنسانية، العدد 10، 2024، ص 97.

أو فهم حقيقي؟ هنا تتجلى أهمية الفلسفة في تحليل هذه الفروقات وتوضيح ماهية المعرفة وأبعادها المختلفة.

أ- الوعي الذاتي كمصدر للمعرفة:

يُعتبر رينيه ديكارت نقطة الانطلاق الرئيسة في فلسفة المعرفة، إذ أكد أن جوهر المعرفة يكمن في الوعي الذاتي، من خلال قوله: "أنا أفكر، إذاً أنا موجود (Cogito, ergo sum)"، هذا المبدأ لا يكتفي بتأكيد وجود الإنسان، بل يميز المعرفة الإنسانية القائمة على وعي وتأمل نقدي. فالآلة رغم قدرتها على معالجة المعلومات، لا تمتلك وعياً ذاتياً أو إدراكاً تأملياً، وإنما تقتصر على تنفيذ أوامر وبرمجيات محددة، مما يجعلها غير قادرة على امتلاك معرفة بمعنى فلسفي¹.

في حين يشير (إدموند هوسرل) إلى أن المعرفة ليست مجرد معلومات، بل هي تجربة ظاهرية تتسم بالنية (Intentionality) التي توجه الوعي نحو موضوع معين، هذا يعني أن الوعي الإنساني يحيا المعرفة من خلال علاقة ذاتية مباشرة بالعالم، وهو ما تفتقده الآلات التي تعالج البيانات فقط دون إحساس أو وعي تجريبي. فالآلة تعمل ضمن نطاق الخوارزميات مسبقة التحديد، ولا تمتلك القدرة على العيش الظاهراتي للمعرفة كما يفعل الإنسان².

وهذا ما أكدته (جون سيرل) في حجة الغرفة الصينية حجة مركزية مفادها أن معالجة الرموز من قبل الآلة لا تعني فهمها. الآلة تستطيع التعامل مع المدخلات والمخرجات وفق قواعد صارمة، لكنها لا تمتلك وعياً أو فهماً داخلياً لمعاني الرموز التي تتعامل معها، بناءً عليه المعرفة التي تنتجها الآلة ليست معرفة حقيقية بل محاكاة سطحية، لأن الفهم يتطلب وعياً ذاتياً وهو ما تفتقده الآلة³.

ب- المعرفة إبداع:

وفي المقابل يرى (جيل دولوز) أن المعرفة الفلسفية هي فعل إبداعي مستمر لا يقتصر على تراكم المعلومات، بل يتطلب تجديد المعاني وإنتاج أفكار جديدة تخرج عن النماذج الثابتة. هذا الجانب الإبداعي مفقود في الآلات التي تلتزم ببرمجيات ثابتة ولا تستطيع توليد معاني جديدة مستقلة. بالتالي، المعرفة الفلسفية تشكل تمييزاً جوهرياً بين الإنسان والآلة⁴.

¹ رينيه ديكارت، تأملات في الفلسفة الأولى، ترجمة علي حرب، دار الطليعة، 1980، بيروت، ص 17.

² إدموند هوسرل، أفكار تتعلق بالظاهراتية النقية، ترجمة عبد الوهاب المسيري، دار المعارف، القاهرة، 1974، ص 44.

³ جون سيرل، "العقول والأدمغة والبرامج"، مجلة الفلسفة 83، عدد 324، 1986، ص ص 417-457.

⁴ جيل دولوز، الاختلاف والتكرار، ترجمة نجيب طوبيا، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1996، ص 46.

هذا ما دفع بالفيلسوف (آندري كلارك)، إلى القول بالعقل الموسع أو التكامل بين الإنسان والآلة، بحجة أن العقل البشري ليس محصوراً في الدماغ فقط، بل يمتد عبر الأدوات والتقنيات التي يستخدمها الإنسان، مما يشكل "عقلاً ممتداً". هذا التكامل يسمح بتوسيع قدرات المعرفة، لكن مع ذلك يظل الوعي الذاتي الخاص بالإنسان فريداً ولا يمكن للآلة استبداله. فالآلة هي أداة معرفية مساعدة وليست أداة ذات وعي مستقلة¹.

هذا التصور يعبر عنه (دانييل دينيت) بالمعرفة الوظيفية للآلة، بمعنى أن الذكاء الاصطناعي يتيح إنتاج معرفة وظيفية تستند إلى الخوارزميات والحسابات المنطقية، لكنها لا تشمل وعياً ذاتياً أو نوايا شخصية، هذه المعرفة تختلف عن المعرفة الإنسانية التي تشمل أبعاداً معرفية ونفسية وفلسفية معقدة، مما يحتم على الفلسفة إعادة النظر في مفهوم المعرفة لتضمين هذه الأبعاد الجديدة في ظل الثورة التكنولوجية².

يتبين من هذه المناقشات أن الفارق الأساسي بين المعرفة الإنسانية والآلة يكمن في وجود الوعي الذاتي والتأمل النقدي. بينما تقدم الآلات معرفة تقنية ووظيفية، تبقى المعرفة الفلسفية متميزة بعمقها الوجداني والفكري. وهكذا تظل الفلسفة ضرورية لفهم حدود الذكاء الاصطناعي وإمكاناته وتأثيره على مفاهيم المعرفة التقليدية.

ومنه يمكننا القول إن الفلسفة تستمر في أداء دورها المركزي والضروري في مواجهة تحديات العصر الرقمي والتكنولوجي. من خلال إعادة بناء ميتافيزيقا تراعي وجود الكائنات الذكية، وتطوير أطر أخلاقية تراعي خصوصيات الذكاء الاصطناعي، بالإضافة إلى الممارسة النقدية المستمرة، تؤكد الفلسفة مكانتها كمرشد أخلاقي واجتماعي لا غنى عنه. إن القضايا التي تطرحها التكنولوجيا الحديثة، من حدود الهوية الإنسانية إلى مشكلات الحرية والعدالة، تحتاج إلى تأمل فلسفي عميق لضمان توجيه التقدم التقني نحو بناء مجتمع يحترم الإنسان وكرامته، ولا يسمح له بالانزلاق نحو ما بعد الإنسانية بلا وعي أو مسؤولية.

¹ آندري كلارك، عقل ضخيم، ترجمة أحمد عثمان، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 2013، ص 27.

² دانييل دينيت، شرح الوعي، ترجمة هبة النجار، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2008، ص 289.

خلاصة الفصل :

خلال الفصل الثاني الموسوم بالفلسفة في عصر التكنولوجيا تناولنا العلاقة المتشابكة بين الفلسفة والتكنولوجيا من عدة جوانب، بدءًا من التحولات التقنية التي غيرت طبيعة وجود الإنسان إلى التحديات الأخلاقية والمعرفية التي يفرضها الذكاء الاصطناعي. لقد برزت الفلسفة كأداة ضرورية لفهم هذه التحولات، لما تمتلكه من أدوات نقدية وتحليلية تعيد طرح أسئلة قديمة بوجه جديد، مثل طبيعة الإنسان، المعرفة، الحرية، والعدالة. بالإضافة إلى ذلك، أظهرت الفلسفة قدرتها على تطوير ميتافيزيقا جديدة وأخلاقيات متخصصة تتلاءم مع العصر الرقمي، مما يجعلها عنصرًا محوريًا في أي نقاش مستقبلي حول التقنية. ومنه نستخلص النتائج التالية:

1. الفلسفة والعلم في مواجهة التكنولوجيا: أثبتنا أن الفلسفة ليست معارضة للعلم بل تكملته، حيث تساهم في توضيح الحدود المعرفية والعلمية، وتطرح تساؤلات جوهرية حول ما يمكن معرفته وكيفية استخدام المعرفة العلمية بشكل مسؤول.
2. الفلسفة والتقنية: كشفنا أن العلاقة بين الفلسفة والتقنية ليست علاقة سيطرة أو استسلام، بل هي علاقة تبادلية تسمح للفلسفة بتقديم نقد معمق للتقنية، مع تعزيز دور الإنسان كمحور للتكنولوجيا وليس مجرد مستخدم سلبي.
3. الفلسفة والمشكلات الفلسفية للتكنولوجيا: تطرقنا إلى أن التكنولوجيا تثير مشكلات فلسفية جديدة حول الهوية، المعرفة، والواقع، ما يستدعي مراجعة مستمرة للنظريات الفلسفية التقليدية وإعادة صياغتها.

الفصل الثالث:

"الفلسفة والذكاء الاصطناعي"

تمهيد:

تمثل الثورة التكنولوجية والرقمنة والذكاء الاصطناعي أبرز الظواهر التي تشكل مستقبل البشرية، وتعيد رسم ملامح الواقع الاجتماعي والثقافي والفكري، فالفلسفة التي طالما كانت مرآة للتفكير النقدي والتأمل العميق في الوجود والمعرفة والقيم، تجد نفسها اليوم أمام تحدٍ جديد هو مواكبة ومواجهة التطورات السريعة التي يشهدها الذكاء الاصطناعي، إذ يثير الذكاء الاصطناعي أسئلة فلسفية جوهرية حول طبيعة العقل، الوعي، المعرفة، والأخلاق، بل وحتى عن معنى الإنسان ذاته في عالم باتت فيه الآلات تتعلم وتتطور بشكل ذاتي مستقل.

لذلك يأتي هذا الفصل لبحث في العلاقة الجدلية بين الفلسفة والذكاء الاصطناعي، محاولاً فهم التحديات والمشكلات الفلسفية التي يطرحها هذا المجال التقني، فضلاً عن استكشاف الآفاق المستقبلية التي يمكن أن تتشكل بفعل هذا التداخل، نهدف من خلال هذا الفصل إلى تسليط الضوء على المشكلات الإبستمولوجية، الأنطولوجية، والأخلاقية وحتى المنطقية التي يفرضها الذكاء الاصطناعي، مع تحليل نقدي للمفاهيم والمناهج الفلسفية التي يمكن أن تساعد في فهم هذه الظاهرة المعقدة.

المبحث الأول : الذكاء الاصطناعي ومشكلة المعرفة والمنطق

يمثل الذكاء الاصطناعي أحد أبرز الإنجازات التكنولوجية في العصر الحديث، حيث تجاوز دوره كأداة مساعدة في معالجة البيانات أو تنفيذ المهام البرمجية، ليصبح كياناً معرفياً يطرح تحديات فلسفية حقيقية حول طبيعة التفكير البشري، وحدود المعرفة، وأساليب الاستدلال المنطقي. فالفلسفة، التي لطالما اهتمت بأسئلة المعرفة والمنطق منذ أفلاطون وأرسطو وحتى فلاسفة العلم المعاصرين، تجد نفسها اليوم أمام ضرورة إعادة النظر في مفاهيمها الأساسية، بفعل التغيرات التي أحدثها الذكاء الاصطناعي في أنماط التفكير والمعرفة.

إن مفهوم "المعرفة" الذي طالما ارتبط بالذات العارفة البشرية، وبالوعي والتجربة والإدراك، أصبح اليوم محل مسألة فلسفية عميقة: هل يمكن القول إن أنظمة الذكاء الاصطناعي "تعرف"؟ وهل "تفكر" حقاً أم أنها فقط تحاكي التفكير البشري دون وعي أو قصد؟ بل إن بعض الطروحات تذهب إلى ما هو أبعد، فتُعيد تعريف المعرفة والمنطق ضمن إطار حسابي خوارزمي يجعل من الإنسان نفسه مجرد "نظام معالجة معلومات".

في هذا السياق، يهدف هذا المبحث إلى التعمق في إشكالية المعرفة والمنطق كما يطرحها الذكاء الاصطناعي، من خلال ثلاثة محاور أساسية: أولاً، مناقشة طبيعة المعرفة التي يمكن نسبها إلى الآلة، وحدود هذه المعرفة مقارنة بالمعرفة البشرية؛ ثانياً، تحليل قدرة الذكاء الاصطناعي على محاكاة العقل البشري ومدى اقترابه من التجربة الإنسانية في التفكير والفهم؛ وثالثاً، تناول إشكالية المنطق، ومدى اختلاف المنطق الآلي عن المنطق البشري، وإمكانية تطوير نماذج منطقية جديدة انطلاقاً من تقنيات الذكاء الاصطناعي.

سنناقش هذه القضايا في ضوء أطروحات فلسفية حديثة ومعاصرة، مع الاستناد إلى نماذج واقعية من الذكاء الاصطناعي، وتوظيف مناهج الإستيمولوجيا وفلسفة العقل ومنطق الحاسوب، وذلك في إطار من التحليل الفلسفي النقدي.

1- نشأة الذكاء الاصطناعي وتطوره التاريخي:

من الأحلام الفلسفية إلى الواقع التكنولوجي يعد الذكاء الاصطناعي (AI) واحدًا من أكبر إنجازات الفكر البشري في العصر الحديث، لكنه في الوقت نفسه نتاج تراكم طويل من الأفكار الفلسفية، والمفاهيم العلمية، والابتكارات التقنية. وتعود جذور الذكاء الاصطناعي إلى الخيال الفلسفي الذي طرحه المفكرون القدماء، حيث كانت فكرة خلق كائنات قادرة على التفكير والتعلم من خلال الآلات فكرة تُعتبر من مستحيلات العقل البشري. إلا أن معالم هذا الحلم بدأت تتبلور بشكل أكثر تحديدًا في القرن العشرين، على إثر الانتصارات العلمية الكبرى التي حققها الفيزياء والرياضيات، وظهور الحواسيب.¹

أولاً: الأسس الفلسفية والعلمية لنشأة الذكاء الاصطناعي

قبل أن يصبح الذكاء الاصطناعي مجالًا علميًا ملموسًا، كانت الفلسفة تلعب دورًا محوريًا في بلورة الفكرة. إذ يعتبر الفيلسوف الإنجليزي آلان تورينغ (Alan Turing)، في الأربعينيات من القرن العشرين، واحدًا من المؤسسين الرئيسيين لفكرة الذكاء الاصطناعي، من خلال طرحه لمفهوم آلة تورينغ، التي يمكنها محاكاة أي عملية حسابية بشرية. في عام 1950، طرح تورينغ سؤالًا إشكاليًا في مقاله الشهير "Computing Machinery and Intelligence": "هل يمكن للآلات أن تفكر؟"، وهو السؤال الذي شكل حجر الزاوية لفهم العلاقة بين الذكاء البشري والآلات. وقد قدم اختبارًا شهيرًا يُعرف باسم "اختبار تورينغ"، الذي يقيس ما إذا كانت آلة يمكنها تقليد السلوك البشري بما يساوي أو يفوق الإنسان في محادثة معينة. هذا المفهوم لم يكن فقط تحديًا تقنيًا، بل كان في أساسه إشكالية فلسفية تتعلق بالطبيعة الحقيقية للذكاء.²

ثانيًا: بداية تطور الذكاء الاصطناعي في منتصف القرن العشرين

في الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين، بدأ العلماء والباحثون في العمل على تطوير الأنظمة البرمجية القادرة على تنفيذ مهام محددة كانت تتطلب في السابق التفكير البشري. في هذا السياق، كان جون مكارثي، أحد العلماء المؤسسين لهذا المجال، قد ابتكر في عام 1956 مصطلح "الذكاء الاصطناعي" في مؤتمر دارتموث، الذي جمع مجموعة من أبرز العلماء آنذاك. وقد اقترح مكارثي أنه في غضون فترة قصيرة جدًا، ستكون الآلات قادرة على محاكاة الذكاء البشري في مهام متنوعة، بما في ذلك

¹-Turing, Alan. "Computing Machinery and Intelligence," Mind, 1950, vol. 59, no. 236, pp. 433–460.

²-Op Cite, pp. 433–460.

التعلم، والتفكير، واتخاذ القرارات. كما طور في ذلك الوقت أول لغات البرمجة الخاصة بالذكاء الاصطناعي مثل LISP، التي أصبحت من الأسس التقنية لهذا المجال¹.

وقد شهدت هذه الفترة الطفرات الأولى في بناء أنظمة قادرة على محاكاة قدرات بشرية معينة، مثل حل المشكلات (مشكلة الأمثلة الرياضية)، ولعب الشطرنج، وترجمة اللغات. هذه الأنظمة كانت تُعتبر خطوات أولية نحو تطوير الذكاء الاصطناعي الحقيقي، رغم أنها كانت محدودة من حيث القدرات.

ثالثًا: مرحلة "الشتاء" والإحباط في السبعينيات والثمانينيات

ولكن بحلول السبعينيات والثمانينيات، شهد الذكاء الاصطناعي انتكاسة كبيرة، أو ما يُعرف بظاهرة "الشتاء". السبب الرئيسي لهذه الانتكاسة كان عدم قدرة الأنظمة المبكرة على التكيف مع تعقيدات الواقع. فعلى الرغم من الإنجازات التي تم تحقيقها، فقد أظهرت الأنظمة التي تم تطويرها أنها لا تستطيع معالجة المهام المعقدة التي كان الإنسان قادرًا على إنجازها. هذا التراجع في التوقعات أدى إلى انخفاض التمويل، وانخفاض الاهتمام في البحث والتطوير في هذا المجال. كما أن الخوارزميات التي كانت موجودة في تلك الفترة لم تكن قادرة على التعامل مع التغيرات الكبيرة في المعلومات، وكان من الصعب جعل الأنظمة أكثر "ذكاءً" خارج نطاق مهامها المحددة².

رابعًا: النهضة الحديثة في الذكاء الاصطناعي: التحولات من التسعينيات حتى اليوم

لكن بداية من التسعينيات، بدأ الذكاء الاصطناعي يشهد نهضة جديدة، بفضل التطورات الكبيرة في الحوسبة، وظهور البيانات الضخمة، وابتكار الخوارزميات المتقدمة مثل التعلم العميق (Deep Learning) والتعلم الآلي (Machine Learning). هذه التقنيات مكّنت الآلات من التعلم من البيانات وتحسين أدائها مع الوقت. بفضل هذه الأنظمة، أصبحت الآلات قادرة على التعرف على الأنماط، والتكيف مع المواقف غير المتوقعة، ما جعلها أكثر فعالية في معالجة المهام المعقدة مثل الرؤية الحاسوبية، والتعرف على الصوت، والترجمة الآلية.

من أبرز المعالم الحديثة في هذا المجال تفوق الأنظمة الذكية على البشر في بعض الأنشطة، مثل لعب الشطرنج، حيث نجح حاسوب "ديب بلو" في عام 1997 في هزيمة بطل الشطرنج العالمي غاري كاسباروف، ولعب Go، حيث تمكن الحاسوب AlphaGo في عام 2016 من الفوز على بطل العالم في

¹ - جون مكارثي، مارفن مينسكي، ناثانيال روتشستر، وكلود شانون، "اقترح لمشروع دارتموث الصيفي لأبحاث الذكاء الاصطناعي"، 31 أغسطس 1955، أعيد نشره في مجلة AI Magazine، المجلد 27، العدد 4، 2006، ص 12-14.

² - Crevier, Daniel. AI: The Tumultuous History of the Search for Artificial Intelligence, Basic Books, 1993.

اللعبة، وهو ما يعد مقياساً مهماً في القدرة على محاكاة الذكاء البشري. إن هذه التحولات التكنولوجية السريعة قد غيرت تماماً المفاهيم التقليدية للذكاء والمعرفة.¹

2- الذكاء الاصطناعي ومحاكاة العقل البشري

يُعدّ العقل البشري من أكثر الظواهر تعقيداً وإثارة للاهتمام في تاريخ الفكر البشري، إذ يتجاوز دوره مجرد أداء وظائف معرفية، ليشمل الوعي بالذات، والانفعال، والقدرة على اتخاذ قرارات ضمن سياقات اجتماعية وأخلاقية معقدة. ومنذ نشأة الذكاء الاصطناعي، طمح العلماء والمهندسون إلى بناء نماذج حاسوبية قادرة على تقليد بعض جوانب هذا العقل، في محاولة لمحاكاة بنيته الوظيفية والرمزية. ومع أن بعض التقدم قد أُحرز فعلاً في مجالات مثل معالجة اللغة الطبيعية والتعلم الآلي، إلا أن الجدل ما يزال محتدماً حول ما إذا كانت هذه المحاكاة تمثل فعلاً إدراكاً حقيقياً أم مجرد تقليد سطحي لنتائج العقل.²

لقد استندت أغلب مقاربات الذكاء الاصطناعي إلى فهم الآلة كوسيلة لتنفيذ خطوات منطقية متسلسلة لحل مشكلات محددة، على غرار ما يقوم به الإنسان في بعض المهام. وتقوم النماذج العصبية الحديثة على تمثيل رياضي مستوحى من الخلايا العصبية الدماغية، فتقوم الحواسيب بالتعلم عبر تحليل ملايين البيانات وتعديل روابطها الداخلية. إلا أن هذه البنى الحاسوبية، رغم تطورها الكبير، تظل خالية من المعنى الحقيقي لما تقوم به، إذ تفتقر إلى النية والوعي.³

وفي هذا السياق، تبرز إشكالية فلسفية محورية: هل يمكن فعلاً محاكاة العقل الإنساني باستخدام أدوات رياضية خالصة؟ وهل يكفي أن تبدو الآلة وكأنها "تفكر" لكي نقول إنها تملك عقلاً؟ لقد أثار جون سيرل هذه الأسئلة بوضوح في تجربته الافتراضية المعروفة بـ"الغرفة الصينية"، والتي أظهر من خلالها أن اتباع قواعد رمزية لا يعني بالضرورة وجود فهم أو إدراك للمعاني.⁴ فحتى وإن استطاعت الآلة

¹ وجيه بنروز، عقل الإمبراطور الجديد: حول الحواسيب والعقول وقوانين الفيزياء، ترجمة فتحي عبد السميع، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2004، ص 60.

² ديفيد سيلفر وآخرون، "إنقان لعبة الغو باستخدام الشبكات العصبية العميقة والبحث الشجري"، مجلة نيتشر، المجلد 529، العدد 7587 (2016): ص 484-489.

³ جون سيرل، "العقول"، الأدمغة والبرامج، العلوم السلوكية والعصبية، المجلد 3، العدد 3، 1980، ص 417-424.

⁴ يان لوكون، ويوشوا بنجيو، وجيفري هينتون، "التعلم العميق"، مجلة نيتشر، المجلد 521، العدد 7553 (ماي 2015)، ص 436-444.

إنتاج جمل مفهومة أو حل مسائل معقدة، فإنها لا تدرك ما تقوم به، ما يجعل محاكاتها للعقل محض عملية شكلية خالية من التجربة الواعية.

إضافة إلى ذلك، فإن العقل البشري لا ينفصل عن الجسد والبيئة، فهو نتيجة تفاعل متكامل بين الإدراك الحسي، واللغة، والسياق الثقافي، مما يجعل أي محاولة لفصله عن هذه المحددات محاولة ناقصة. فالإدراك البشري ليس فقط عملية عقلية، بل هو مجسد (embodied)، ويحدث ضمن عالم مملوء بالمعاني والتجارب التي لا يمكن تمثيلها رقمياً بشكل كامل¹، إن ما تحققه النماذج الحاسوبية من تقنيات متقدمة هو في الحقيقة محاكاة لبعض الوظائف العقلية الجزئية، لكنها لا ترقى إلى مستوى الذكاء العام أو الإدراك الشامل للعالم. فالعقل البشري يتميز بالمرونة، والقدرة على التأمل الذاتي، والوعي بالزمن، وهذه خصائص يصعب برمجتها أو تمثيلها من خلال التعليم الآلي وحده. لذا فإن الفجوة بين المحاكاة الرقمية والعقل البشري ليست فقط فجوة تقنية، بل هي أيضاً فجوة إبستمولوجية وأنطولوجية²، كما أن محاكاة العقل تطرح إشكالات أخلاقية وفلسفية تتعلق بالهوية والوعي والمعنى. فلو افترضنا وجود آلة تحاكي العقل بدقة، هل ستكون كائنًا واعيًا؟ هل ستكون مسؤولة أخلاقياً عن أفعالها؟ وما الفرق بين الذكاء كأداة وظيفية وبين الوعي كحالة وجودية؟ هذه الأسئلة تُبين أن المحاكاة ليست فقط مشروعاً علمياً بل هي أيضاً مسألة فلسفية عميقة، تتطلب إعادة نظر شاملة في مفاهيم الإنسان والعقل والتجربة.

الإمبراطور الجديد: حول الحواسيب والعقول.

3- الذكاء الاصطناعي اليوم وتحدياته المستقبلية

اليوم، لا يُعد الذكاء الاصطناعي مجرد مجال أكاديمي أو تكنولوجي محصور في مختبرات البحث، بل أصبح جزءاً من الحياة اليومية في شكل تطبيقات الذكاء الاصطناعي المنتشرة في العديد من المجالات: من محركات البحث مثل غوغل، إلى المساعدين الشخصيين مثل سيري وأليكسا، وصولاً إلى السيارات الذاتية القيادة، والرعاية الصحية، والتمويل، وحتى الفن. لكن ما يزال هناك العديد من التحديات الفلسفية والإبستمولوجية المرتبطة بمستقبل الذكاء الاصطناعي. أبرز هذه التحديات هو السؤال حول ما إذا كانت الآلات قادرة على تحقيق نوع من "الوعي" أو "الفهم" الذي يمتلكه الإنسان، وكيف يمكن للذكاء الاصطناعي أن يتفاعل مع القيم الأخلاقية.

¹ جون سيرل، "العقول، الأدمغة، والبرامج"، العلوم السلوكية والعصبية، المجلد 3، العدد 3، 1980، ص ص 417-424

² أنطونيو دامازيو، الشعور بما يحدث: الجسد والعاطفة وصنع الوعي، ترجمة فؤاد شاهين دار الكتاب العربي، بيروت، 2008، ص 112

المبحث الثاني: الذكاء الاصطناعي والمشكلات الإستمولوجية

تطرح الثورة التكنولوجية، وبخاصة الذكاء الاصطناعي، تحديات إستمولوجية غير مسبقة تمس جوهر المعرفة وحدودها، فبينما تسعى الفلسفة منذ القدم إلى فهم شروط المعرفة ومصادرها وحدودها، جاء الذكاء الاصطناعي ليقحم نفسه في قلب هذا الجدل، من خلال قدرته على التعلم الآلي، واتخاذ القرارات، ومعالجة المعلومات. غير أن هذه القدرة تثير تساؤلات حول ما إذا كانت هذه النظم تمتلك معرفة حقيقية، وما إذا كانت تعتبر ذاتاً إستمولوجية قادرة على الفهم وإنتاج المعرفة لا مجرد أدوات للمعالجة. في هذا السياق، يناقش هذا المبحث أبرز الإشكالات الإستمولوجية التي يطرحها الذكاء الاصطناعي.

أولاً: هل المعرفة التي تنتجها الآلة "معرفة" بالمعنى الفلسفي؟

يُعد مفهوم المعرفة من أكثر المفاهيم الفلسفية تعقيداً، حيث تُعرّف تقليدياً بأنها "الاعتقاد الصادق المبرر" (*Justified True Belief*). هذه الصيغة الثلاثية تفترض أن المعرفة ليست مجرد امتلاك لمعلومة، بل تتضمن صدق المعلومة، اقتناع الذات بها، وأساساً يبرر هذا الاعتقاد. في المقابل، ما تنتجه أنظمة الذكاء الاصطناعي اليوم يثير جدلاً كبيراً حول مدى انطباق هذه المعايير الكلاسيكية عليها، خصوصاً أن الآلة لا تمتلك ذاتاً عارفة واعية، ولا "تؤمن" بما تنتجه، بل تقوم فقط بتركيب مخرجات استناداً إلى قواعد إحصائية وخوارزميات تعلم الآلة.¹

فالآلة مهما بلغت قدرتها في معالجة المعطيات، لا يمكنها أن تدعي "امتلاك المعرفة" ما دامت غير قادرة على التمييز الواعي بين الصواب والخطأ، أو الدفاع عن مخرجاتها بوصفها مبررة. فهي لا تمتلك نية قصدية (*Intention*) ولا وعياً بمخرجاتها، مما يجعل "المعرفة" التي تقدمها تختلف جوهرياً عن المعرفة الإنسانية التي تستند إلى تجربة ذاتية ووعي نقدي.²

هذا ما ذهب إليه كارل بوبر في حديثه عن معيار "التكذيب" (*Falsifiability*) "في المعرفة العلمية، حيث يشترط أن تكون المعرفة قابلة للنقد والاختبار. غير أن الآلة لا تنتج معرفة قابلة للنقد من داخلها، لأنها لا تملك آلية ذاتية للشك أو التقييم، وبالتالي فإن المعرفة المنتجة منها تظل ضمن إطار "نتائج خوارزمية" وليست "معرفة فلسفية" بالمعنى الدقيق.³

¹ Alvin Goldman, *Knowledge in a Social World*, Clarendon Press, Oxford, 1999, 45

² ألفين غولدمان، "المعرفة في عالم اجتماعي"، أوكسفورد: كلارندون برس، 1999، ص 45.

³ كارل بوبر، "افتراضات ودحض"، روتليدج، لندن، 1963، ص 37.

ثانيًا: مصادر المعرفة في الذكاء الاصطناعي – من الحدس الإنساني إلى البيانات الرقمية

في السياق الإيستيمولوجي التقليدي، تندرج مصادر المعرفة تحت ثلاث فئات رئيسية: الإدراك الحسي، والعقل، والشهادة أو التلقين. لكن الذكاء الاصطناعي لا يمتلك إدراكًا حسيًا، ولا عقلاً بالمعنى الديكارتي، ولا يخضع لتلقين تأويلي كما في التجربة الإنسانية، بل يُرمج على استقبال كميات ضخمة من البيانات، والتعلم منها عبر نماذج إحصائية متقدمة تُعرف بـ "التعلم الآلي (Machine Learning)" و"التعلم العميق (Deep Learning)".

وبذلك، تصبح البيانات (Data) هي المصدر الأساسي لما يسمى "المعرفة" في الأنظمة الذكية. هذه المعرفة ليست نتيجة تفكير تأملي، بل حصيلة تحليل نمطي للمعلومات المخزنة، وغالبًا ما تكون منحازة أو محدودة بسياقات معينة، مما يفقدها القدرة على التعميم أو التأويل النقدي.¹

وتزداد الخطورة حين تُعتمد نتائج هذه الآلات كمرجع في اتخاذ قرارات مصيرية – كالمجال الطبي، أو العدالة الجنائية، أو الاقتصاد – دون مساءلة للبيانات المستخدمة أو آليات التحليل وحتى البرمجيات وهذا ما يشير إليه (نيك بوستروم) عندما اعتبر أن المعرفة المنتجة عبر الذكاء الاصطناعي ليست إدراكًا حقيقيًا، بل أشبه بـ "انعكاس تنبؤي" يعتمد على احتمالات رياضية دون فهم جوهري للموضوع.²

فالذكاء الاصطناعي لا يفكر، بل "يتوقع" استنادًا إلى ما تعلّمه، وهذه التوقعات قد تكون مضلّة ما لم تُخضع للتمحيص الإيستيمولوجي. الأمر الذي يعيد إلى الواجهة التمييز بين "المعرفة الحقيقية" و"البيانات المصنّعة" في ظل التوسع الرقمي.

ثالثًا: الذكاء الاصطناعي والمعرفة السياقية (السياق المعرفي)

جانب أساسي من المعرفة الإنسانية هو الارتباط بالسياق، سواء أكان سياقًا لغويًا، ثقافيًا، أو اجتماعيًا، أما أنظمة الذكاء الاصطناعي، فهي تفتقر في الغالب إلى فهم حقيقي للسياقات، لأن "معرفتها" لا تقوم على التجربة أو المعاشية، بل على معالجة معطيات فيزيائية أو رقمية. تقوم الأنظمة الذكية بتحليل نصوص وسلوكيات ومؤشرات كمية، لكنها لا تفهم النية أو الغرض من وراء هذه السلوكيات. وهذا يجعل معرفتها سطحية في كثير من الأحيان، بل وعرضة للتأويل الخاطئ إذا لم تُربط بسياقاتها الواقعية.

¹ لوتشيانو فلوريدي، "فلسفة المعلومات"، أوكسفورد: منشورات جامعة أوكسفورد، 2011، ص 89.

² نيك بوستروم، الذكاء الخارق: المسارات، المخاطر، والاستراتيجيات، مطبعة جامعة أوكسفورد، أوكسفورد، 2014،

فالمعرفة الآلية لا تُراعي تعدد الأبعاد الرمزية أو الأخلاقية أو التاريخية للمواقف الإنسانية، وهو ما يجعلها محدودة الفاعلية عندما تُقارن بالمعرفة البشرية التي تتضمن خبرة ذاتية وتأويلاً مرناً للمعنى يتبيّن من التحليل أن المعرفة المنتجة من قبل أنظمة الذكاء الاصطناعي لا تستوفي شروط المعرفة الفلسفية التقليدية، سواء من حيث المصدر، أو التبرير، أو الصدق. كما أن الآلة، رغم قدرتها على المعالجة الفائقة، لا تملك الذاتية، ولا الوعي، ولا القدرة على إدراك السياقات، مما يجعل "معرفتها" ذات طابع آلي إحصائي، لا إستمولوجي نقدي. وعليه، فإن الذكاء الاصطناعي يحدث تحولاً كبيراً في فهمنا لطبيعة المعرفة، لكنه لا يُنتج معرفة بالمعنى الفلسفي الصارم.¹

رابعاً: الإشكالات الأخلاقية في الذكاء الاصطناعي: بين المسؤولية الأخلاقية، وحرية الفعل، وتشبيّه الإنسان

إذا كانت الفلسفة قد انشغلت منذ نشأتها بأسئلة "ما ينبغي أن يكون"، فإن الذكاء الاصطناعي، في صيغته الحديثة، يفرض على الفكر الأخلاقي سؤالاً جديداً تماماً: من يتحمل المسؤولية عندما تتخذ الآلة قراراً؟ هذا السؤال يتجاوز النقاشات التقنية إلى مستوى أخلاقي وجودي، يتداخل فيه الفعل التقني بالفعل الإنساني، ويضطرب فيه مفهوم المسؤولية الأخلاقية ذاته. لقد بات واضحاً أن الذكاء الاصطناعي لم يعد مجرد أداة تساعد الإنسان، بل أصبح في كثير من الأحيان فاعلاً شريكاً، يتخذ قرارات مؤثرة تتعلق بالحياة والموت، كما هو الحال في أنظمة التشخيص الطبي، السيارات ذاتية القيادة، والأنظمة العسكرية المؤتمتة.

في هذا السياق، تواجه الفلسفة الأخلاقية عدة إشكالات جوهرية. أولها إشكالية المسؤولية الأخلاقية: من نلوم عندما يُتخذ قرار خاطئ من طرف نظام ذكاء اصطناعي؟ هل نحمل المبرمج؟ المصنّع؟ المستخدم؟ أم أن هناك حاجة لإعادة تعريف المسؤولية ذاتها في ضوء كيانات "لا بشرية" تتخذ قراراتها وفق خوارزميات؟ يرى بعض الفلاسفة مثل لوك فان ميليس وسبانوس أن الذكاء الاصطناعي يضعنا أمام "توزيع غير مسبوق للمسؤولية"، حيث يتداخل فيها البشري مع غير البشري، وتصبح النية والأثر مفككين، وهو ما يجعل التقييم الأخلاقي تقنياً معقداً، بل غائماً في كثير من الأحيان.²

¹-بول ريكور، "نظرية التأويل: الخطاب وفائض المعنى"، فورت وورث: منشورات جامعة تكساس المسيحية، 1976، ص 22.

²-Spanos, Elias, & Van Mil, Lukas. "Responsibility Gaps in Artificial Intelligence Decision-Making: A Philosophical Perspective." *AI & Society*, 2020. P50.

ثانيًا، تطرح مسألة حرية الفعل تساؤلات مقلقة عن استقلالية الإنسان في عالم تُصاغ فيه اختياراته من قبل خوارزميات "ذكية". فالخوارزميات اليوم تُقرر ما نراه على مواقع التواصل، وما نستهلكه، وأحيانًا حتى من نواعده ومن نرتبط به. هذا "التوجيه الخوارزمي" يضع حرية الإنسان في موضع الشك، ويفرض إعادة التفكير في مفاهيم مثل الاختيار، والنية، والاستقلالية، التي شكلت عماد الفلسفات الأخلاقية الكبرى، من كانط إلى سارتر. فهل ما زال الإنسان فاعلاً حرًا؟ أم أنه بات محكومًا بأنظمة تنبؤية تعرف اختياراته قبل أن يدركها؟ يرى الفيلسوف شوشانا زوبوف، في كتابها *عصر رقابي* / *المراقبة*، أن الذكاء الاصطناعي قد أدّى إلى ولادة شكل جديد من السلطة الناعمة، حيث يتم التلاعب بالاختيارات من خلال البيانات والخوارزميات، ما يجعل الحرية ذاتها مسألة إجرائية موجهة.¹

أما ثالث الإشكالات، فهي إشكالية القيمة الإنسانية في عصر تحوّلت فيه الكثير من الوظائف الإنسانية إلى مهام تقوم بها الآلة بكفاءة أعلى، وأحيانًا بحسّ "لا خطأ فيه". هذا يدفعنا إلى التساؤل: ما الذي يميز الإنسان في عالم باتت فيه الآلة تفكر، تتعلم، تنتج، وتختبر؟ هل نحن مقبلون على "نزع الطابع الإنساني" عن الفعل الإبداعي ذاته؟ وهل يمكن للآلة أن تُنتج أدبًا، أو فنًا، أو فلسفة، تكون لها نفس القيمة الأخلاقية والرمزية التي يحملها الإبداع الإنساني؟ يرى البعض، مثل نيك بوستروم، أن الذكاء الاصطناعي الخارق (Superintelligence) يمكن أن يتجاوز القدرات البشرية بشكل نهائي، مما يطرح احتمال تشييء الإنسان، بل وربما إقصائه من مراكز القرار الحيوي في المستقبل.²

وبين هذه الإشكالات، يظهر سؤال المعايير الأخلاقية التي ينبغي برمجة الذكاء الاصطناعي عليها. فهل نبرمجه وفق أخلاقيات عالمية؟ أم وفق منظومات ثقافية محلية؟ وماذا عن الصراعات القيمية بين المجتمعات؟ إن أخلاقيات الآلة أصبحت حقلاً فلسفيًا قائمًا بذاته، تتقاطع فيه أسئلة القانون، والدين، والثقافة، مع مسائل البرمجة والهندسة. ويظهر هذا بشكل جلي في تجارب مثل "مفارقة العربة (Trolley Problem)" التي طُبقت على السيارات ذاتية القيادة: إذا وُضعت السيارة أمام خيار بين قتل شخص واحد أو مجموعة من الأشخاص، من تُنفذ؟ وعلى أي معيار؟ هذه التجربة التي كانت في الأصل فرضية فلسفية، أصبحت اليوم واقعًا عمليًا تواجهه الشركات التكنولوجية الكبرى.³

¹-Zuboff, Shoshana. *The Age of Surveillance Capitalism*, PublicAffairs, 2019. P84.

²- نيك بوستروم، المرجع السابق، ص 102.

³-Bonneton, Jean-François, et al. "The Moral Machine Experiment." *Nature*, vol. 563, no. 7729, 2018, pp.

59–64.

إن كل هذه الإشكالات تُظهر أن الذكاء الاصطناعي ليس فقط تحديًا تقنيًا، بل هو أولاً وأساسًا تحدٍ فلسفي أخلاقي، يُجبرنا على إعادة التفكير في شروط الفعل، وحدود الإنسان، ومآلات القيم في عالم تتقاطع فيه الخوارزميات مع الضمير. وإذا كانت الفلسفة قد عرّفت الأخلاق بأنها "علم ما ينبغي أن يكون"، فإن الذكاء الاصطناعي، في صيغته الحالية والمستقبلية، يعيد طرح السؤال على نحو جديد: من الذي يقرر "ما ينبغي أن يكون"؟ الإنسان؟ أم الخوارزمية؟

خامساً: الفلسفة في مفترق الطرق: أزمة المعنى، وتراجع المكانة، وتحولات العصر الرقمي

لطالما كانت الفلسفة تُعدّ من أعرق أشكال النشاط العقلي الذي مارسه الإنسان لفهم ذاته وعالمه، إذ تأسست منذ بداياتها بوصفها سعيًا نحو الحكمة، وبحثًا عن المبادئ الأولى للوجود والمعرفة والأخلاق. ومنذ سقراط إلى ديكارت، ومن كانط إلى هيدغر، لم تنفصل الفلسفة عن همّ التساؤل وقلق المعنى، بل كانت دومًا مرآة لزمناها، تسائله وتتفحص مساراته. غير أن الفلسفة، وهي تدخل الألفية الثالثة، تواجه أزمة عميقة في مكانتها ووظيفتها، إذ أصبحت مهددة بالتهميش وسط طوفان المعارف المتخصصة، وهيمنة التكنولوجيا، وتراجع الإيمان بجدوى الخطاب التأملي المجرد في مواجهة واقع عملي متسارع.

ففي ظل العصر الرقمي وتحولاته المتسارعة، لم تعد الأسئلة الفلسفية الكلاسيكية تبدو بنفس الجاذبية أو الإلحاح بالنسبة إلى الإنسان المعاصر، الذي أصبح محاطًا بتطبيقات عملية وتكنولوجيات ذكية تسهّل حياته، وتمنحه إجابات آنية وسريعة. وهكذا، بات يُنظر إلى الفلسفة أحيانًا على أنها "ترف فكري"، أو خطاب نظري بعيد عن هموم الواقع، بل و"عديم النفع" مقارنة بالعلوم الدقيقة أو التكنولوجيا الحديثة. ويعبّر عن هذا الشعور بعض المفكرين مثل ستيفن هوكينغ، الذي صرّح سنة 2011 أن "الفلسفة قد ماتت، لأنها لم تواكب التطورات العلمية المعاصرة، وخصوصًا في الفيزياء"¹.

هذه النظرة التبخيسية للفلسفة لم تأت من فراغ، بل تعكس تحولًا جذريًا في أنماط التفكير ومرجعيات الفهم، حيث أصبحت الفعالية، والسرعة، والنتائج العملية هي المعيار الأول للحقيقة. وبالتالي، فإن الخطاب الفلسفي، الذي يشغل على المفاهيم، والتأمل، وإثارة الأسئلة بدل تقديم الإجابات، أصبح يعاني من أزمة شرعية معرفية، أمام ما يُنظر إليه كمعارف "منتجة" و"مفيدة" كالعلم والتقنية. كما ساهم في هذا الوضع أيضًا تراجع التعليم الفلسفي في كثير من المجتمعات، وغياب الفلسفة عن المنصات العامة ومراكز القرار، مما عمّق من تغريب الفيلسوف عن عصره.

¹ Op Cite, pp. 64.

لكن، وفي مقابل هذا التراجع، يرى كثير من المفكرين أن الأزمة نفسها هي ما يُعيد للفلسفة ضرورتها. فالعالم المعاصر، بما فيه من تعقيدات أخلاقية، وتحديات معرفية، وتحولات وجودية، لا يمكن التعامل معه فقط عبر الأدوات التقنية أو النماذج الرياضية، بل يحتاج إلى فكر نقدي، شامل، يتجاوز التخصصات، ويعيد طرح الأسئلة الجوهرية عن الإنسان، والقيم، والغاية. وهنا تستعيد الفلسفة دورها بوصفها خطاباً كاشفاً، نقدياً، يُمارس فعله في الثغرات والفجوات، حيث تعجز باقي الخطابات عن الإجابة. وقد عبّر عن ذلك يورغن هابرماس حين رأى أن الفلسفة يجب أن تلعب دور "الوسيط التأويلي بين أنماط المعرفة المتخصصة والمجتمع"، فهي التي تملك القدرة على إضفاء المعنى على المعارف، وربطها بالسياق الإنساني والأخلاقي¹.

وبناء على ذلك، يمكن القول إن الفلسفة، وإن بدت اليوم في أزمة، فإن هذه الأزمة ليست إعلاناً عن نهايتها، بل هي دعوة متجددة إلى إعادة النظر في أسئلتها، ووظائفها، ومناهجها. إنها مدعوة إلى أن تنفتح على معارف العصر، وعلى رأسها الذكاء الاصطناعي، لا باعتبارها مجرد تقنيات، بل بوصفها تحولات أنطولوجية وإبستمولوجية، تفرض أنماطاً جديدة للفهم الوجود. وهنا، تحديداً، تكمن فرصة الفلسفة في أن تُعيد تأكيد دورها بوصفها ضميراً نقدياً للعصر، وصوتاً يتساءل عن ما لم يُسأل بعد، ويُنذر بما لا يُرى بسهولة.

لقد حاولنا من خلال هذا المبحث أن نلامس التعقيد الفلسفي الذي تُثيره علاقة الذكاء الاصطناعي بالإبستمولوجيا المعاصرة، من خلال مساءلة شروط المعرفة، ومفاهيم الذات العارفة، والوعي، والتفكير. وقد تبين أن الذكاء الاصطناعي – رغم تطوره التقني المذهل – لا يزال عاجزاً عن تمثيل المفاهيم الفلسفية العميقة للوعي والمعرفة، نظراً لكون هذه الأخيرة مشروطة بالذاتية، والحضور القصدي، والسياق الإنساني.

كما برزت إشكالية مركزية تتعلق بما إذا كان من الممكن اعتبار الآلة "ذاتاً إبستمية"، وهو ما وُوجه بتشكيك عميق من قبل الفلسفة المعاصرة التي ترى أن التفكير لا يُختزل في المعالجة المنطقية أو الحسابية، بل يتطلب الوعي والمعنى والنية، وهي عناصر تظل غائبة في الذكاء الاصطناعي الحالي².

¹ -Hawking, Stephen. Interview with *The Guardian*, 2011, P56.

² -Habermas, Jürgen. *The Future of Human Nature*. Polity Press, 2003. p. 113

لقد ظهر أن الذكاء الاصطناعي، في أفضل حالاته، يُجسّد قدرة عالية على "محاكاة" مظاهر من السلوك المعرفي البشري، دون أن يتجاوز عتبة "الفهم الحقيقي". وبذلك، فإن الفاصل الإستيمولوجي بين الإنسان والآلة لا يزال قائماً، وإن تضاءلت مظاهره الخارجية بفعل تطور التقنية.

وفي ضوء هذه الملاحظات، يُطرح تساؤل مفتوح: هل يمكن، مستقبلاً، أن تتأسس "إستيمولوجيا جديدة" مستمدة من الذكاء الاصطناعي نفسه؟ أي هل يمكن أن تفرز الآلة نموذجاً معرفياً خاصاً بها، يُعيد تشكيل مفاهيم العقل والمعرفة والذات؟ هذا التساؤل يفتح أفقاً جديداً للبحث الفلسفي في زمن الذكاء الاصطناعي.

سادساً: التحديات الإستيمولوجية للذكاء الاصطناعي: بين أزمة الحقيقة وتحولات المعرفة

إن ظهور الذكاء الاصطناعي، خاصة في صيغته الحديثة المعتمدة على الخوارزميات التعليمية والبيانات الضخمة، لم يشكل فقط ثورة تقنية في الحوسبة والتطبيقات الذكية، بل أفضى كذلك إلى هزة إستيمولوجية عميقة طالت بنية المعرفة ذاتها، وأعادت طرح سؤال الحقيقة والمعرفة في ضوء أدوات غير بشرية تُنتج، وتُقيّم، وتُصنّف المعطيات وفق منطق مختلف كلياً عن المناهج التقليدية للعلم والفلسفة. وهنا، تبرز إشكالية مركزية في فلسفة المعرفة المعاصرة: كيف نضمن صدق المعرفة التي تنتجها أنظمة لا تمتلك وعياً أو قصداً أو معنى؟ وهل يمكن أن نثق في "حقائق" تُستنتج رياضياً من بيانات، دون أن نعرف آلية استخلاصها؟ وهل المعرفة، في جوهرها، عملية حسابية يمكن تفويضها للخوارزميات، أم أنها تتطلب حدّاً أدنى من الفهم الإنساني والتأويل؟

في ظل التطور الكبير في نماذج الذكاء الاصطناعي، خصوصاً تقنيات التعلم العميق (Deep Learning)، نجد أنفسنا أمام "حقائق" تُستخلص من بنى رياضية معقدة لا نمتلك معرفة دقيقة بها، أو نتائج معرفية يصعب تفسيرها. تعتمد هذه الخوارزميات على عمليات حسابية معقدة تتيح لها اتخاذ قرارات دون قدرة حتى على تفسير آلياتها من قبل الشركات المطورة. تُعرف هذه الظاهرة في فلسفة الذكاء الاصطناعي بـ "مشكلة الصندوق الأسود" (Black Box Problem)، والتي تشير إلى افتقار المعرفة المستخلصة من الآلة للشفافية الإستيمولوجية. وهذا يفتح نقاشاً جوهرياً حول ما إذا كانت هذه النتائج تُعد معرفة حقيقية تستند إلى فهم واع، أم مجرد استجابات وظيفية تفتقر إلى المضمون المعرفي الحقيقي.¹

¹ - جينا بوريل، «كيف تفكر الآلة: فهم غموض خوارزميات التعلم الآلي»، البيانات الضخمة والمجتمع، 2016، ص 70.

كما أن الذكاء الاصطناعي يعيد تشكيل مفهوم الموضوعية ذاتها. فإذا كانت الموضوعية في العلم تعني القابلية للتحقق والتكرار والحياد، فإن البيانات التي تعتمد عليها الأنظمة الذكية اليوم قد تكون منحازة، أو مشحونة بثقافة معينة، أو حتى مشوهة إحصائياً، ما يعني أن "النتائج الموضوعية" التي تنتجها ليست بريئة. وقد أثبتت العديد من الدراسات أن خوارزميات الذكاء الاصطناعي تعكس التحيزات الاجتماعية، مثل العرق والجنس والطبقة، لأنها تدربت على بيانات بشرية منحازة في الأصل. وبهذا، تفرض علينا هذه الظاهرة مراجعة المفاهيم الإبيستمولوجية الكلاسيكية، وخصوصاً نظرية الانعكاس التي ترى في المعرفة تطابقاً بين الذهن والواقع، فهل ما تُنتجه الآلة هو انعكاس للواقع، أم بناء احتمالي وفق معايير رياضية باردة؟¹.

من جهة أخرى، تبرز إشكالية سلطة المعرفة في عصر تهيمن فيه الآلات على إنتاج المعرفة وتصنيف الأفراد وتحديد الأولويات. فالخوارزميات لم تعد مجرد أدوات تقنية، بل تحوز سلطة ضمنية تؤثر على سلوك الإنسان بشكل غير واعٍ، وتعيد تشكيل أنماط تفكيره. بهذا المعنى، لا يقتصر دور الذكاء الاصطناعي على توليد معرفة جديدة فحسب، بل يتعداه إلى إعادة هندسة آليات المعرفة نفسها، مما يؤدي إلى تهميش الإنسان كمصدر مركزي للحكم والتأويل. وهذا الأمر يفرض على الفلسفة الإبيستمولوجية إعادة النظر في طبيعة العلاقة بين الذات والقدرة على المعرفة، وفي الفواصل الفلسفية بين العارف والآلة، بين الفهم والبرمجة، وبين الحقيقة والتوقع.²

في هذا السياق، يؤكد عدد من فلاسفة المعرفة، من بينهم لوك فان دن دري وإيريك شرودر، أن الذكاء الاصطناعي لا يشكل مجرد تهديد للمعرفة التقليدية، بل يمثل تحوُّلاً جوهرياً في فهمنا لمفهوم المعرفة ذاته. فالمعرفة لم تعد مقتصرة على كونها "امتلاك تبرير صادق للاعتقاد"، كما كان مألوفاً في الإبيستمولوجيا الكلاسيكية، بل أصبحت شبكة معقدة من الترابطات الرقمية التي تستند إلى الإحصاء، التوقع، وأنماط السلوك. في هذا الإطار، تتحول المعرفة إلى أداة للسيطرة أكثر مما هي وسيلة للفهم، مما يجعل التساؤل حول "كيفية المعرفة" مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بالسؤال عن "من يمتلك سلطة التحكم في أدوات المعرفة؟"³.

¹- كاثي أونيل، أسلحة /التمير الرياضي: كيف تزيد البيانات الضخمة من التفاوت وتهدد الديمقراطية، كراون للنشر، نيويورك، دس، ص 31.

²-Mittelstadt, Brent, et al. "The Ethics of Algorithms: Mapping the Debate." Big Data & Society, 2016, P86.

³-Luc Van den Dries and Erik Schroeder, Epistemology in the Age of Artificial Intelligence, Journal of Digital Philosophy 12, no. 3? 2023, PP 58-75.

هذا التحدي الإستيمولوجي الذي يفرضه الذكاء الاصطناعي يدعو الفلسفة اليوم إلى إعادة النظر في أدواتها وتجديد مناهجها، والعودة إلى السؤال الجوهرى: ما هي طبيعة المعرفة؟ وكيف يمكن التفريق بين المعلومة والمعرفة، وبين التوقع والفهم، وبين النفعية والحقيقة؟ هذه مهمة فلسفية ملحة في زمن باتت فيه الحقيقة قابلة للتفكيك من خلال الخوارزميات، وأصبحت المعرفة سلعة يمكن برمجتها وتشكيلها.

المبحث الثالث: "قيمة الفلسفة في عصر الذكاء الاصطناعي"

1- التحديات الأخلاقية المرتبطة بالذكاء الاصطناعي

في ظل التطورات التكنولوجية المتسارعة، لم يعد الذكاء الاصطناعي مجرد أداة تقنية صماء، بل أصبح عنصرًا فاعلاً يؤثر على مخرجات القرارات الإنسانية في مجالات متعددة. وبهذا المعنى، تفرض علينا هذه التكنولوجيا الناشئة مراجعة فلسفية معمقة، خاصة في ما يتعلق بالأبعاد الأخلاقية الناتجة عن استخدام الأنظمة الذكية في البيئات الإنسانية والاجتماعية. إذ إن الذكاء الاصطناعي، رغم ما يوفره من إمكانيات، يثير تحديات أخلاقية معقدة تتطلب تدخلاً فلسفياً عاجلاً، سواء من حيث المسؤولية الأخلاقية لصانع القرار، أو من حيث الانحياز الخوارزمي، إضافة إلى الخصوصية والمراقبة الرقمية.

أولاً: حدود المسؤولية في اتخاذ القرار الآلي

إن أحد أبرز الإشكالات الأخلاقية التي فرضها الذكاء الاصطناعي تتمثل في مسألة المسؤولية، خاصة في الأنظمة التي تتخذ قرارات حاسمة مثل التشخيص الطبي، التوصيات القضائية، أو حتى العمليات العسكرية. ففي الحالات التي يحدث فيها خلل أو خطأ، تبرز إشكالية: من يتحمل المسؤولية؟ هل المبرمج؟ أم الشركة؟ أم المستخدم النهائي؟ هذه الأسئلة تمثل ما يسميه بعض المفكرين بـ"فراغ المسؤولية الأخلاقية" في بيئات العمل التي تعتمد على الذكاء الاصطناعي، لا سيما تلك التي تُبنى على تقنيات التعلم الآلي، والتي قد تُنتج سلوكيات يصعب التنبؤ بها حتى من قبل مطوريها¹.

ويشير الفيلسوف الأمريكي جيمس مور إلى أن القضايا الأخلاقية المرتبطة بالذكاء الاصطناعي تتعلق بصعوبة تحديد الفاعل الأخلاقي عند استخدام هذه الأنظمة، لأن الآلة لا تملك وعياً أو نية، بل هي نتيجة قرارات مبرمجة، ما يجعل العبء الأخلاقي يقع على عاتق الإنسان في نهاية المطاف¹.

ثانياً: الانحياز الخوارزمي، ومخاطر الخصوصية

تشكل البيانات المادة الخام للذكاء الاصطناعي، غير أن هذه البيانات ليست محايدة بطبيعتها، إذ إنها كثيراً ما تحمل بصمات التحيزات الاجتماعية والتاريخية. ومن هنا فإن الأنظمة الذكية قد تعيد إنتاج هذه التحيزات بشكل تلقائي، ما يؤدي إلى قرارات غير عادلة. فعلى سبيل المثال، أظهرت دراسات علمية أن خوارزميات التعرف على الوجه تكون أقل دقة عند التعامل مع ملامح الأشخاص من أعراق معينة، مما يعرضهم لمخاطر التمييز².

¹ - جوي بولوموني وتمنيت جبرو، "ظلال الجندر: تباينات الدقة التقاطعية في تصنيف الجندر التجاري"، في أعمال

أبحاث تعلم الآلة، المجلد 81، 2018، ص 8

² نفسه، ص 10.

وبالمثل، فإن استخدام الذكاء الاصطناعي في أنظمة التوظيف أو التمويل يمكن أن يؤدي إلى استبعاد غير مبرر لفئات معينة، بسبب تكرار الأنماط التاريخية الموجودة في البيانات. وبهذا يصبح "التحيز الخوارزمي" ظاهرة تُهدد مبدأ العدالة الاجتماعية الذي تسعى المجتمعات الديمقراطية إلى تحقيقه.

أما من جهة الخصوصية، فإن قدرة الذكاء الاصطناعي على جمع وتحليل كميات ضخمة من البيانات الشخصية، تجعل الإنسان عرضة للمراقبة الدائمة دون علمه. هذا ما أشارت إليه الباحثة شوشانا زوبوف في كتابها عن "رأسمالية المراقبة"، حيث ترى أن الشركات الكبرى تستغل الذكاء الاصطناعي لتحليل سلوك المستخدمين واستباق أفعالهم بهدف التأثير على خياراتهم، مما يشكل تهديدًا جوهريًا للحرية الفردية.¹

ثالثًا: الإطار الفلسفي للأخلاق في ظل الذكاء الاصطناعي

تسهم الفلسفة الأخلاقية في توفير نماذج تحليلية لفهم وتقييم السلوك التكنولوجي، وتقديم أدوات منهجية لمساءلة الاستخدامات الأخلاقية للتقنية. ومن بين أهم هذه النماذج نجد الفلسفة الكانطية، النفعية، وأخلاقيات الفضيلة.

فالأخلاق الكانطية تؤكد على أن الإنسان يجب أن يُعامل كغاية في ذاته، لا كوسيلة لتحقيق أهداف الآخرين أو مصالحهم، ما يفرض على مصممي الذكاء الاصطناعي الالتزام بمبادئ احترام الكرامة الإنسانية في كل نظام.²

أما الفلسفة النفعية، فقدّمها جون ستيوارت ميل على أساس أن الفعل الأخلاقي هو الذي يُفضي إلى أكبر قدر من السعادة لأكبر عدد من الناس. وفق هذا التصور، فإن تطوير الذكاء الاصطناعي يجب أن يُقيم على أساس فوائده العامة لا مصالحه التقنية فقط.³

وتقترح أخلاقيات الفضيلة، التي طورها روزاليندهيرستهاوس، أن الأخلاق لا تقوم فقط على القواعد، بل على تطوير الصفات الفاضلة لدى الفاعلين أنفسهم، كالعدالة والنزاهة والحكمة. وهذا يفتح المجال أمام تساؤل عميق: هل يمكن للذكاء الاصطناعي أن يُبرمج بطريقة تجسد هذه الفضائل؟⁴

¹ زوبوف، شوشانا. عصر رأسمالية المراقبة، تر: أحمد خيرى العمري دار التنوير، بيروت، 2019، ص 41

² كانط، إيمانويل. أسس ميتافيزيقا الأخلاق، تر: محمود يعقوبي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 1998، ص 42

³ ميل، جون ستيوارت. النفعية، تر: حسن يوسف، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 1863، ص 10

⁴ -هيرستهاوس، روزاليند. في أخلاقيات الفضيلة، أكسفورد: مطبعة جامعة أكسفورد، 1999، ص 77

2- الفلسفة وحماية القيم الإنسانية في عصر الذكاء الاصطناعي

مع صعود الذكاء الاصطناعي وتوغله في نسيج الحياة اليومية، يبرز سؤال محوري يتجاوز البُعد التقني: كيف نحمي الإنسان كقيمة وكذات حرة في عالم يتجه نحو التشيء والرقمنة الكلية؟ في هذا السياق، لا يُنظر إلى الفلسفة كتurf نظري أو خطاب أكاديمي معزول، بل كحارس للقيم، وكمجال نقدي قادر على إعادة توجيه المشروع التكنولوجي نحو أفق إنساني

أولاً: الفلسفة كحامية للكرامة الإنسانية

تُعد الكرامة الإنسانية من المبادئ الأساسية التي وقفت عندها الفلسفة مراراً، بداية من الفلسفة الكانطية التي رسخت مفهوم الإنسان كغاية في ذاته، إلى فلسفة الحق عند هابرماس التي تربط الكرامة بحرية التواصل والتفاهم العقلاني¹. هذه المبادئ تواجه اليوم خطر التآكل نتيجة هيمنة الأنظمة الذكية التي تهدد الفرد في خصوصيته، وتحصره في أنماط استهلاكية تُصممها خوارزميات غير مرئية. وقد نبّه الفيلسوف الفرنسي إريك سادان إلى هذه التحولات، حيث رأى أن الذكاء الاصطناعي ليس مجرد أداة، بل منظومة سلوكية تسعى إلى ضبط الإنسان وتوجيه سلوكياته، في مسعى خفي لمحو التعددية البشرية وتوحيد الأفعال² من هنا تأتي الحاجة إلى تجديد دور الفلسفة بوصفها قوة مقاومة للمنطق الشمولي الذي تفرضه التقنية، من خلال إعادة الاعتبار للمبادئ الكونية كالحرية، والعدالة، والمسؤولية.

ثانياً: الحاجة إلى "أخلاقيات الذكاء الاصطناعي"

تطالب اليوم مؤسسات عديدة - من الجامعات إلى الشركات الكبرى - بإدماج ما يُعرف بـ"أخلاقيات الذكاء الاصطناعي" في تطوير الأنظمة الذكية. غير أن هذا الاتجاه، وإن كان إيجابياً، غالباً ما يبقى محصوراً في قواعد تقنية أو معايير مهنية، دون التأسيس على أرضية فلسفية صلبة³. فالأخلاق لا تُختزل في الإرشادات، بل هي نسق فكري يُسائل الغايات، ويمتحن النوايا، ويُقيّم النتائج من منظور إنساني كلي.

¹ يورغن هابرماس، بين الوقائع والمعايير: إسهامات في نظرية الخطاب حول القانون والديمقراطية، ترجمة ويليام ريغ، ماساتشوستس: مطبعة معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا، كامبريدج، 1996، ص 104.

² - سادان، إريك. ذكاء اصطناعي، آخر اختراع للإنسان، ترجمة: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2021، ص 38.

³ - أنا جوبين، ومارشيلواينكا، وإيفيفينا، "المشهد العالمي لإرشادات أخلاقيات الذكاء الاصطناعي"، نيتشر للذكاء الاصطناعي الآلي، المجلد 1، 2019، ص 389.

وهنا يأتي دور الفلسفة كمرجعية نقدية تسمح بطرح الأسئلة الجوهرية: هل الذكاء الاصطناعي يُساهم في تحرير الإنسان أم في تدجينه؟ هل يعزز العدالة أم يعيد إنتاج الفوارق؟ هل يحترم استقلال الفرد أم يُخضعه لحسابات تجارية؟ إن هذه التساؤلات لا يمكن التعامل معها فقط عبر لوائح تقنية، بل تحتاج إلى عودة جادة للفلسفة كسلطة معيارية¹.

ثالثاً: التوازن بين التطور التكنولوجي والحفاظ على القيم

ليس المطلوب من الفلسفة أن تُعارض التكنولوجيا باسم "النوستالجيا الإنسانية"، بل أن تواكها وتُخضعها لمساءلة معرفية وأخلاقية. وهذا ما أشار إليه هانس يونس في كتابه "مبدأ المسؤولية"، حيث دعا إلى تطوير "أخلاقيات مستقبلية" تتناسب مع القدرة التكنولوجية الجديدة التي صارت تُمكن الإنسان من التأثير في شروط الحياة ذاتها.²

فالمسألة متعددة تتعلق فقط بالفعل الحاضر، بل بتبعاته البعيدة التي قد تضر بالبيئة أو تهدد الأجيال القادمة.

وبالتالي، فإن التوازن بين التقنية والقيم لا يكون بوقف التقدم، بل بإعادة هندسة هذا التقدم عبر رؤية فلسفية تضع الإنسان في مركز المشروع، وتُعيد للقرار البشري صفة السيادة بدل الخضوع لأتمتة غير شفافة.

3- مكانة الفلسفة في عصر الذكاء الاصطناعي

لقد أدى التطور المتسارع في الذكاء الاصطناعي إلى إحداث تغييرات جذرية في أنماط التفكير، وإعادة تشكيل العلاقة بين الإنسان والمعرفة. غير أن هذا التحول لا يعني تراجع دور الفلسفة أو اضمحلالها، بل إنه يستدعي حضورها بصورة أعمق وأشمل. فالفلسفة، وإن بدت في الظاهر بعيدة عن الإبداع التقني، إلا أنها تشكل البنية الخلفية لأي تساؤل حول غاية التقدم، ومعناه، وحدوده. من هنا، لا ينبغي النظر إلى الذكاء الاصطناعي كمجرد تهديد لمكانة الفلسفة، بل كمجال يعيد تفعيلها على نحو يتجاوز الأطر الأكاديمية التقليدية.

أولاً: الفلسفة في مواجهة "أسطورة" التقنية

لقد بلغ الخطاب التكنولوجي درجة من التقديس تجعله يبدو وكأنه يحمل وعد الخلاص، مُختزلاً كل أمل في المستقبل داخل قدرات الخوارزميات والآلات الذكية. هذا النزوع نحو "أسطورة التقنية" لا يُنتج

¹ - Boddington, Paula. Towards a Code of Ethics for Artificial Intelligence, Springer, 2017, P55.

² يونس، هانس. مبدأ المسؤولية: محاولة لأخلاق من أجل الحضارة التكنولوجية، تر: فؤاد شاهين، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 1984، ص 37

معرفة، بل وهماً مؤدجاً عن كفاءة غير محدودة للعقل الآلي. وهنا تتدخل الفلسفة كخطاب نقدي يفكك هذه الأوهام، ويُعيد الأمور إلى نصابها العقلاني.

يُحذر إريك سادان من هذا الخطاب التقني الغالب، ويرى أن الذكاء الاصطناعي يتم الترويج له كأداة محايدة، بينما هو في الحقيقة منتج أيديولوجي يحمل في داخله تصورات عن الإنسان والسوق والقوة¹. وبالتالي، فإن غياب الفلسفة في هذا السياق يعني ترك المجال مفتوحاً للهيمنة الرمزية للتقنية. ثانياً: الفلسفة كحكم معرفي بين الإنسان والآلة:

إن السؤال الفلسفي عن "المعرفة" لا يتوقف عند حدود الآليات التي تُنتج بها المعلومة، بل يمتد إلى التساؤل حول صدقها، مشروعيتها، ومآلاتها. وهنا تبرز الفلسفة كمجال يتموقع بين العلم والتقنية، لا لتنافسهما، بل لتمنحهما بعداً نقدياً يُقاوم النزعة الاختزالية التي ترى في المعرفة عملية حسابية فقط.

يرى جون سورل أن الآلات، مهما بلغ تعقيدها، تظل تفتقر إلى "المعنى القصدي" الذي يميز الفكر البشري، وهو ما يجعل من الفلسفة ضرورة لفهم حدود الذكاء الاصطناعي². فالفلسفة لا ترفض الذكاء الاصطناعي، لكنها ترفض تضخيم قدراته على نحو يُقصي الإنسان من معادلة الوعي والفكر.

ثالثاً: الفلسفة كمنظّم أخلاقي للمستقبل

لم تعد الفلسفة محصورة في الميتافيزيقا أو الأخلاقيات النظرية، بل أصبحت تُوظف اليوم في لجان أخلاقيات الذكاء الاصطناعي، وتشارك في وضع أطر تحكم العلاقة بين البشر والتقنيات الذكية. هذا الدور التنظيمي لا يُقلل من شأنها، بل يُعيد لها شرعيتها كمصدر للمعايير والقيم في عالم يتجه نحو اللا-يقين.

فبحسب باولا بودينغتون، فإن الفلسفة يجب أن تُوظف لا لصياغة مبادئ أخلاقية فحسب، بل لطرح أسئلة عميقة حول السلطة، والتحكم، ومَن يقرر القيم التي تُبرمج بها الآلات³. إنها بذلك تحافظ على موقعها المرجعي في عصرٍ تغيب فيه اليقينيّات، وتتشوش فيه الحدود بين الطبيعي والصناعي.

¹ سادان إريك، ذكاء اصطناعي: آخر اختراع للإنسان، تر: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2021، ص 64.

² جون سيرل، "العقول، الأدماغ، والبرامج"، العلوم السلوكية والداغية، المجلد 3، العدد 3، 1980، ص 422.

³ Boddington, Paula. Towards a Code of Ethics for Artificial Intelligence, Springer, 2017, p. 110

رابعاً: الفلسفة كتوجيه للمستقبل التكنولوجي

بعيداً عن النحيب على "زمن الفلاسفة"، ينبغي التوجه نحو فلسفة فاعلة، تتعاطى مع الذكاء الاصطناعي كتحدٍ لا كعدو، وتوظف أدواتها في الإسهام في صياغة رؤى مستقبلية متوازنة. فالفلسفة قادرة على أن تكون بوصلة معرفية وأخلاقية، توازن بين التقدم التقني وكرامة الإنسان، وبين الابتكار والمسؤولية.

يُذكرنا هانس يونس في "مبدأ المسؤولية" بأن التقنية، حين تفلت من التقييم الأخلاقي، تتحول إلى خطر وجودي.¹ لذا فإن الفلسفة هي التي تملك أدوات مساءلة هذا الخطر، وتوجيه طاقات الذكاء الاصطناعي نحو أهداف إنسانية أصيلة، لا فقط نحو الربح والكفاءة.

4- ظهور فلسفة الذكاء الاصطناعي: محاولة لتأسيس إبستمولوجيا جديدة

مع تزايد حضور الذكاء الاصطناعي في مختلف مجالات الحياة، لم يعد النظر إليه ممكناً فقط من زاوية تقنية أو أخلاقية، بل بدأ يفرض نفسه كمجال يقتضي تأملاً فلسفياً أصيلاً، يتجاوز التساؤلات التقليدية. وقد برز في هذا السياق اتجاه أكاديمي حديث يسعى إلى بلورة ما يمكن أن يُسمى بـ"فلسفة الذكاء الاصطناعي" أو حتى "إبستمولوجيا الذكاء الاصطناعي"، ليس بوصفها فلسفة تدرس التقنية، بل بوصفها نمطاً جديداً من التفكير الفلسفي، يتأسس داخل سياق الذكاء الاصطناعي نفسه.

أولاً: من نقد الذكاء الاصطناعي إلى التأمل الفلسفي فيه

في البداية، كانت مقارنة الذكاء الاصطناعي من طرف الفلاسفة أقرب إلى الموقف النقدي، حيث جرت محاولات كثيرة لنفي إمكانية أن ترقى الآلة إلى مستوى التفكير أو الوعي البشري. لكن هذا الطرح أصبح غير كافٍ مع التطورات الهائلة التي أحرزتها الخوارزميات، والتي باتت تتعلم، وتُحلّل، بل وتُنتج قرارات مستقلة أحياناً، مما يفرض على الفلسفة أن تعيد النظر في أدواتها، ليس لرفض الذكاء الاصطناعي، بل لفهمه من الداخل.

يشير تيموثي كولينغ إلى أن "الذكاء الاصطناعي لم يعد مجرد موضوع للنقد الفلسفي، بل أصبح فضاءً للتفلسف، تُطرح داخله قضايا حول الذات، والمعنى، والمعرفة".² وهذا ما يفتح الباب أمام تشكل فلسفة جديدة لا ترفض التقنية، بل تتخذها مادة لتفكيرها.

¹ يونس هانس، مبدأ المسؤولية: محاولة لأخلاق من أجل الحضارة التكنولوجية، تر: فؤاد شاهين، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 1984، ص 41

² كولينغ تيموثي، فلسفة الذكاء الاصطناعي: أسئلة ما بعد الإنسان، تر: نبيل غنايم، منشورات ضفاف، بيروت، 2022، ص 12

ثانياً: هل يمكن الحديث عن إبستمولوجيا خاصة بالذكاء الاصطناعي؟

تطرح إبستمولوجيا الذكاء الاصطناعي سؤالاً جوهرياً: هل يمكن للمعرفة المنتجة من طرف الآلة أن تُعتبر "معرفة" بالمعنى الفلسفي؟ وإذا كانت كذلك، فما هي شروطها؟ ومن يُقيّم صدقها؟ هذه الأسئلة تُعيدنا إلى قلب المشكلات الكلاسيكية في نظرية المعرفة، ولكن ضمن سياق جديد كلياً. يؤكد ماركوس دوغان أن الآلات اليوم "تنتج معارف من خلال أنماط استدلالية غير بشرية، مما يستدعي تأسيس نظرية معرفية تأخذ في الحسبان هذه الأنماط الجديدة"². هذا لا يعني أن الآلة أصبحت عارفة بالمعنى التقليدي، بل أن نماذج إنتاج المعرفة تغيرت، وهو ما يفرض تطوير مفاهيم إبستمولوجية تراعي هذه البنية المستجدة.

ثالثاً: من الفلسفة حول الذكاء الاصطناعي إلى فلسفة داخل الذكاء الاصطناعي

إن التحول اللافت في السنوات الأخيرة هو انتقال بعض الفلاسفة من التفكير حول الذكاء الاصطناعي إلى التفلسف من داخل منظومته. وقد بدأنا نرى محاولات لوضع أسس لنظريات حول "الذات الخوارزمية"، و"المعنى الحسابي"، بل وحتى "الوعي الاصطناعي"¹. هذه المحاولات، وإن كانت ما تزال أولية، فإنها تُمهّد لظهور فلسفة ليست مجرد مراقب خارجي، بل فاعل داخلي في عملية التطور التكنولوجي. تذهب شانون فالور إلى القول بأن "الفلسفة يجب أن تُعاد بناؤها لتواكب العقل الخوارزمي، لا لتتبناه، بل لتُعيد تفعيله إنسانياً من الداخل"². بهذا المعنى، تصبح فلسفة الذكاء الاصطناعي مشروعاً فلسفياً جديداً لا يكتفي بنقد التقنية، بل يسعى لفهمها وتأويلها ضمن أطر نظرية قابلة للتطور.

رابعاً: نحو فلسفة هجينة: الإنسان والآلة كمشروع واحد

إن الحديث عن فلسفة الذكاء الاصطناعي لا يعني إقصاء الفلسفة الإنسانية أو التقليدية، بل بالأحرى، يفتح المجال لظهور فلسفة هجينة تتداخل فيها مفاهيم الإنسان، والآلة، والمعرفة، والذات، بشكل غير مسبوق. هذه الفلسفة الجديدة لا تُعرّف الإنسان في مقابل الآلة، بل تبحث عن إمكانيات التقاطع بينهما.

ومن هنا، فإن الفلسفة في عصر الذكاء الاصطناعي لا تفقد مشروعيتها، بل تستعيد لها عبر مشروع فكري متجدد، يُعيد مساءلة المفاهيم الكبرى: كالعقل، والذات، والوعي، والمعرفة، ولكن هذه المرة داخل واقع تقني لم يعد مجرد أداة، بل بنية قائمة بذاتها.

¹ دوغان، ماركوس. المعرفة الآلية: نحو إبستمولوجيا جديدة، روتليدج، لندن، 2020، ص 89.

² فالور، شانون. فلسفة التكنولوجيا في العصر الرقمي، ترجمة: حسن الربيعي، دار اليازوري، عمان، 2021، ص 151.

5- تكامل العقلين: الفلسفة والذكاء الاصطناعي في مشروع إبستيمولوجي جديد

في عصر تتوسع فيه قدرات الخوارزميات بما يشبه محاكاة العمليات الذهنية البشرية، يصبح من المشروع طرح التساؤل: هل نحن على أعتاب ميلاد فلسفة جديدة تُبنى داخل فضاء الذكاء الاصطناعي نفسه؟ لقد انتقلنا من وضع كانت فيه الفلسفة تراقب التقنية من الخارج، إلى واقع بدأت فيه الفلسفة تتفاعل مع الأنظمة الذكية من الداخل، بل وتُعيد النظر في مفاهيمها الأساسية على ضوء هذه النماذج الجديدة من المعرفة والمعالجة.

تبدو هذه الإمكانيات اليوم أكثر واقعية مع تزايد حالات اتخاذ القرار من طرف الذكاء الاصطناعي في ميادين حساسة: من توصيات المحاكم، إلى التشخيصات الطبية، إلى أنظمة الرقابة السلوكية. وإذا كانت هذه الممارسات تنتج "معرفة" أو "أحكاماً"، فإن الإبستيمولوجيا التقليدية مطالبة بإعادة النظر في أدواتها لتحليل هذه الأشكال الجديدة من الإدراك شبه الذاتي.

لقد بدأت تظهر أصوات فلسفية معتبرة ترى أن هذا التحول المعرفي لا يمكن استيعابه إلا من خلال تأسيس فرع إبستيمولوجي جديد، يُعنى بما يمكن تسميته بـ "المعرفة الاصطناعية"، أي المعرفة التي تُنتجها خوارزميات التعلم العميق من خلال تحليل بيانات هائلة، وليس من خلال تجربة حسية بشرية أو تحليل منطقي مباشر.

يشير نيك بوستروم إلى هذا التحول حين يقول: "لا نواجه فقط تقنيات ذكية، بل نواجه بنى معرفية جديدة تطلب إعادة صياغة المفهوم الكلاسيكي للمعرفة"¹. وبناءً على ذلك، فإن التعامل مع الذكاء الاصطناعي لم يعد مسألة تكنولوجية، بل أصبح ضرورة إبستيمولوجية، تتطلب تطوير أدوات نقدية جديدة.

من جهة أخرى، تطرح هذه المقاربة أسئلة عميقة حول حدود الفهم البشري ذاته: فإذا كانت الآلة قادرة على إيجاد روابط معرفية غير متاحة للعقل الإنساني، فهل يعني ذلك أن نماذجنا العقلانية باتت محدودة أمام منطق رياضي خوارزمي مختلف؟ وهل نحتاج فعلاً إلى نظرية معرفة جديدة لا تعتمد على الوعي أو القصديّة، بل على النمطية والإحصاء؟

يشير داريو غيل، الباحث في فلسفة الذكاء الاصطناعي، إلى أنه "قد نكون على أبواب فلسفة لا تركز على العقل البشري كنقطة مرجعية مطلقة، بل تتأسس على أشكال جديدة من الوعي الغير ذاتي

¹ بوستروم، نيك. فكر الآلة ومستقبل الوعي، ترجمة: محمد حسان، مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة، 2020، ص 67.

الذي تصوغه الخوارزميات"¹ وهذا الطرح، وإن كان يبدو راديكاليًا، إلا أنه يعبر عن تحوّل في أفق التفكير الفلسفي ذاته، حيث لم تعد الفلسفة تقف على عتبة العلم لتسائله، بل أصبحت تُخضع نفسها لمساءلة الخوارزميات.

سؤال المستقبل: هل يمكن أن تنشأ فلسفة للذكاء الاصطناعي؟

إن هذا المشهد المعرفي المتغير يطرح سؤالاً مركزيًا: هل يمكن أن تظهر فعلاً فلسفة داخل الذكاء الاصطناعي، لا تتحدث فقط عن أخلاقياته أو مخاطره، بل تُؤسس لمفاهيم جديدة حول الوعي، والعقل، والمعرفة، والمعنى؟ وهل يمكن للذكاء الاصطناعي أن يُنتج، في يوم ما، فلسفة عن ذاته، أي أن يمارس نوعًا من "الفهم الذاتي" لماهية وجوده؟

إذا حدث ذلك، فإننا لا نكون فقط أمام ثورة تكنولوجية، بل أمام لحظة مفصلية في تاريخ الفكر البشري، حيث يصبح للآلة موقع في إنتاج المفهوم، لا في تنفيذه فقط. لحظة سيكون فيها على الفلسفة أن تعيد تعريف ذاتها، لا بوصفها مرشدة للعلم، بل شريكًا معه في إنتاج المعنى.

مكانة الفلسفة في عصر الذكاء الاصطناعي: هل تهدد الآلة الفيلسوف؟

في زمن تتوسع فيه قدرات الذكاء الاصطناعي لتشمل الكتابة، التحليل، بل وحتى محاكاة التفكير الفلسفي، يُطرح سؤال جوهري: ما مصير الفلسفة كمجال بشري متميز؟ وهل يمكن للآلة أن تهدد مكانة الفيلسوف؟

1. من الواضح أن الذكاء الاصطناعي بات قادرًا على إنتاج نصوص فلسفية شكلاً ومضمونًا، تحاكي من حيث الأسلوب والمفاهيم ما يكتبه الإنسان، بل وتستخدم اليوم نماذج لغوية مثل "GPT" في كتابة مقالات فلسفية، تحليل نصوص أفلاطون، وحتى بناء أطروحات حول الأخلاق أو الميتافيزيقا. هذا المعطى جعل البعض يتساءل:²

من خلال تتبع المحاور السابقة، يتضح أن الفلسفة ما زالت تملك موقعًا جوهريًا في عصر الذكاء الاصطناعي، ليس كمجرد تراث معرفي، بل كأداة تحليل ونقد وتوجيه. فالذكاء الاصطناعي، رغم قدراته المتقدمة، يظل نتاجًا بشريًا مشروطًا بخوارزميات وأطر مبرمجة، لا يمتلك قصيدة حقيقية أو وعيًا وجوديًا.

¹ غيل، داريو. "هل يمكن للذكاء الاصطناعي أن يُنتج مفاهيمه الخاصة؟"، في: مجلة الفكر/الحديث، العدد 38، 2023، ص 113.

² سلوتردايك، بيتر. أنت لست آلة: تأملات فلسفية في التقنية والوجود، تر: هاشم صالح، دار الساق، بيروت، 2021، ص 45.

وقد برزت الفلسفة، خصوصًا في فرعها الأخلاقي، كخط دفاع أساسي في وجه التحديات التي تفرضها الأنظمة الذكية، سواء من جهة الانحياز الخوارزمي، أو مسؤولية القرار، أو أزمة الخصوصية. ولأن الذكاء الاصطناعي بات يتدخل في مجالات حساسة تمس جوهر الإنسان وكرامته، فإن الحاجة إلى فلسفة معيارية تتجاوز الأطر التقنية أصبحت ضرورة وجودية.

لكن في مقابل هذه الحاجة، ظهرت أسئلة جديدة تضع الفلسفة أمام تحديات غير مسبقة: هل تستطيع الفلسفة أن تُعيد تشكيل أدواتها لمسايرة التحولات السريعة؟ وهل بإمكانها أن تحتفظ بمكانتها كسلطة أخلاقية ومعرفية، في ظل أنظمة قد تطوّر وعيًا ذاتيًا أو نماذج معرفية مستقلة؟

هذه الأسئلة فتحت المجال أمام فرضية ظهور "فلسفة الذكاء الاصطناعي"، لا بوصفها تأملًا في التقنية، بل كرؤية جديدة للعقل، للمعرفة، وللإنسان. رؤية تتأسس على علاقة جدلية بين ما هو بشري وما هو صناعي، وتعيد طرح الأسئلة الكبرى عن المعنى، الغاية، والحدود. وبذلك، لا تُلغى الفلسفة أمام الذكاء الاصطناعي، بل تُستدعى بكامل ثقلها ومشروعها التاريخي، لتعيد تفعيل دورها كأفق للتفكير، ومرجعية في زمن الحوسبة.

خلاصة الفصل

1. يبين هذا الفصل أن الذكاء الاصطناعي، بقدر ما يمثل تطورًا تقنيًا مذهلاً، فإنه يفتح المجال أمام تساؤلات فلسفية عميقة تتعلق بطبيعة المعرفة، المنطق، الوعي، والأخلاق، وهي تساؤلات لا يمكن الإجابة عنها ضمن الأطر التقنية الصرفة.
2. أظهرت مناقشة مشكلة المعرفة والمنطق في الذكاء الاصطناعي أن قدرة الآلة على "المعرفة" تظل محصورة ضمن ما يُرمج لها، دون أن ترقى إلى مستوى المعرفة البشرية التي تنطوي على قصدية وسياق وفهم شخصي عميق، مما يطرح حدودًا إبستمولوجية حقيقية أمام مشاريع "التفكير الآلي".
3. ناقش الفصل الإشكالات المرتبطة بمسألة "الوعي الآلي"، حيث لا تزال الأسس الفلسفية للوعي الإنساني غير قابلة للتمثيل الصريح في النماذج الرقمية. وعلى الرغم من قدرة الذكاء الاصطناعي على المحاكاة المتقدمة، إلا أن الفرق بين "الفهم" و"الاستجابة" لا يزال عائقًا إبستمولوجيًا وأخلاقيًا أمام منح الآلة صفة "الذات العارفة".
4. عالج الفصل كذلك التحديات الأخلاقية التي يفرضها الذكاء الاصطناعي، خصوصًا في ما يتعلق بانحياز الخوارزميات، مسؤولية القرار، ومسألة الخصوصية، حيث خلص إلى أن غياب وعي أخلاقي ذاتي لدى الأنظمة الذكية يستدعي تدخلًا فلسفيًا صارمًا لصياغة أطر تنظيمية وإنسانية.
5. أظهر التحليل أن الفلسفة ليست فقط قادرة على مجازاة التحولات الرقمية، بل إنها تملك أدوات نقدية ومعيارية ضرورية لفهم طبيعة الذكاء الاصطناعي وحدوده، مما يجعلها أكثر من مجرد شاهد على العصر، بل شريك فاعل في توجيه مساراته المستقبلية.
6. انتهى الفصل إلى التساؤل الجذري حول إمكانية ولادة "فلسفة الذكاء الاصطناعي"، أو حتى إبستمولوجيا الذكاء الاصطناعي، أي نظام معرفي جديد ينبثق من العلاقة المعقدة بين الإنسان والآلة. هذه الإمكانية لا تلغي الفلسفة التقليدية، بل تدفعها إلى التجدد والانفتاح على معطيات جديدة تُعيد مساءلة مفاهيم العقل، المعرفة، والهوية.

خاتمة

الخاتمة:

لقد شكل الذكاء الاصطناعي خلال السنوات الأخيرة قفزة نوعية في تاريخ البشرية، فبفضل التقدم التقني، باتت الآلات قادرة على أداء مهام معقدة كانت حكرًا على العقل البشري، مما خلق نوعاً من التفاعل والتحدي بين التكنولوجيا والفلسفة. وعبر هذه المذكرة، سعيًا إلى دراسة هذا التفاعل من منظور فلسفي معمق، حيث لم تقتصر مهمتنا على وصف الظاهرة التقنية، بل تعدت ذلك إلى تحليل الأبعاد الفلسفية والمعرفية والأخلاقية التي يطرحها الذكاء الاصطناعي.

ابتدأنا بتأسيس المفاهيم الأساسية حول العلاقة بين الفلسفة والعلم، ومن ثم بين الفلسفة والتقنية، فتبين لنا أن الفلسفة ليست علمًا مجردًا أو مجالًا نظريًا منفصلًا، بل هي إطار فكري شامل يزودنا بأدوات التفكير النقدي والتأملي، التي تساعدنا على فهم التحديات التي تفرضها التكنولوجيا الحديثة. فالفلسفة، منذ نشأتها، لم تتوقف عن طرح الأسئلة الكبرى حول الإنسان والوجود والمعرفة، وهذه الأسئلة هي ذاتها التي تعيد التكنولوجيا صياغتها بطرق جديدة ومثيرة.

وفي المبحث الثاني، تناولنا الإبتيمولوجيا، أي نظرية المعرفة، كمحور رئيسي يربط الفلسفة بالعلم والتقنية. ففي عصر الذكاء الاصطناعي، تصبح مسألة المعرفة أكثر تعقيداً؛ فالآلة قد تملك قواعد بيانات ضخمة وتستطيع معالجة معلومات تفوق قدرة الإنسان، لكنها تظل محدودة في فهمها للذات والوعي والنية، وهو ما يفتح آفاقاً فلسفية جديدة حول حدود العلم والآلة في مقابل العقل البشري. فقد بينت الدراسة أن الفلسفة تلعب دورًا حاسمًا في تحديد هذه الحدود، وفي تقديم رؤية نقدية للمخاطر المعرفية التي قد تنشأ من استخدام الذكاء الاصطناعي دون رقابة فلسفية وأخلاقية.

أما في المبحث الثالث، فقد سلطنا الضوء على الدور المتجدد للفلسفة في زمن الذكاء الاصطناعي، خاصة فيما يتعلق بالقضايا الأخلاقية والإنسانية التي لم تكن موجودة بهذا الحجم في الماضي. فقد برزت تحديات جديدة مثل مسؤولية صانع القرار في تطوير الذكاء الاصطناعي، مسألة انحياز الخوارزميات، وحماية الخصوصية، وهي قضايا لا يمكن حلها من دون تفكير فلسفي عميق يوازن بين التطور التكنولوجي والقيم الإنسانية الأساسية. هنا، تُبرز الفلسفة كضرورة لا غنى عنها لتوجيه الأطر الأخلاقية التي تحكم عمل الذكاء الاصطناعي، ولحماية جوهر الإنسان في عصر تتزايد فيه قدرة الآلة.

ومع هذا كله، لا يمكن تجاهل النقاش الجدلي حول مكانة الفلسفة في هذا العصر الرقمي. هل تشكل الفلسفة نفسها خطرًا أمام هيمنة التكنولوجيا؟ هل يمكن للآلة أن تحل محل الفيلسوف في طرح الأسئلة الكبرى؟ أم أن الفلسفة تظل حصنًا منيعًا أمام أية محاولة لجعل الآلة بديلًا للعقل البشري؟ كل

هذه الأسئلة تأخذنا إلى نقطة مركزية، حيث يتلاقى الفكر الفلسفي مع التكنولوجيا في اختبار وجودي وفكري عميق.

وفي ظل هذه التطورات والتحديات، يبرز سؤال أساسي يتردد صدها في أروقة البحث الفلسفي والتقني على حد سواء: هل يمكن أن ينشأ فرع فلسفي جديد، نسميه "فلسفة الذكاء الاصطناعي"، يعيد صياغة المفاهيم الفلسفية التقليدية من منظور تقني اصطناعي؟ هل يستطيع الذكاء الاصطناعي، يومًا ما، أن يطور وعيًا فلسفيًا أو نموذجًا معرفيًا خاصًا به؟ أم أن الفلسفة ستبقى، كما كانت عبر التاريخ، ملكًا حصريًا للعقل البشري الذي يمتلك القدرة على التأمل النقدي والوعي الذاتي؟

إن الإجابة على هذا السؤال لا تزال مفتوحة، وتتطلب بحثًا مستمرًا، فهو يشكل منعرجًا حاسمًا في مستقبل الفلسفة والتكنولوجيا على حد سواء. ومن خلال هذه المذكرة، حاولنا أن نضع اللبنة الأولى لهذه المناقشة، مبرزين أهمية الفلسفة كمنهج حيوي في تقييم التحولات التكنولوجية الكبرى، وصياغة أطر معرفية وأخلاقية تضمن أن يبقى الإنسان محور التطور، لا ضحية له.

وبذلك، يمكننا القول إن مستقبل الفلسفة في ظل الذكاء الاصطناعي ليس مجرد استمرارية تاريخية، بل هو تحول نوعي يتطلب إعادة تعريف أدوارها ومنهجياتها، لتكون أكثر انفتاحًا على التحولات التقنية، وأكثر قدرة على مواجهة التحديات الفريدة التي يفرضها عصر الذكاء الاصطناعي. إن هذا المستقبل الفلسفي الملتبس بين الإنسان والآلة، بين المعرفة التقليدية والمعرفة الاصطناعية، يحمل في طياته فرصًا هائلة للتجديد، ولكنه أيضًا يضع أمامنا مسؤوليات ثقيلة وأخلاقية لا يمكن تجاهلها.

وفي الختام، يبقى السؤال الأهم الذي يختزل جوهر هذه الدراسة: هل سيولد الذكاء الاصطناعي فلسفة جديدة تفتح آفاقًا فكرية ومفاهيمية مختلفة عن الفلسفة التقليدية، أم أن الفلسفة ستظل، بلامنازع، مجال العقل البشري وحده؟

ما الفرق إذن بين إنتاج الفيلسوف وإنتاج الخوارزمية؟ وهل نحن بصدد استبدال العقل البشري بعقل صناعي في مجال الفكر المجرد ذاته؟

لكن رغم هذا التطور، تظل هناك فجوة نوعية يصعب ردمها: الفيلسوف لا "ينتج" مفاهيم فحسب، بل يعيشها، يسائلها، ويضعها ضمن سياق ثقافي، تاريخي، ووجودي. بينما الذكاء الاصطناعي يعمل ضمن منطق التكرار الإحصائي، ولا يمتلك "قصيدة" أو "معنى داخلي" لما ينتجه.

يقول الفيلسوف الألماني بيتر سلوتردايك: "المعرفة التي لا تنبع من قلق وجودي، لا يمكن أن تكون فلسفة"¹ (ص 45). وهذا ما يجعل من الفلسفة تجربة بشرية متجذرة في الوجود والقلق والشك، وهي أمور يصعب استنساخها عبر خوارزميات.

بل أكثر من ذلك، قد تكون الفلسفة اليوم أكثر حاجة من أي وقت مضى، لا كمجرد تأمل نظري، بل كقوة نقدية تقيّم مسارات الذكاء الاصطناعي ذاته، وتسائل مخاطره المعرفية والوجودية. ففي عالم تحكمه الخوارزميات، أصبح الفلسفة الملاذ الأخير للإنسانية، بوصفها القوة القادرة على مساءلة الحدود، وطرح البدائل.

وهنا، تبرز رؤية فلسفية جديدة تدعو إلى عدم النظر إلى الذكاء الاصطناعي كتهديد، بل كشريك فلسفي جديد، يُمكننا من توسيع مداركنا، ويُجبرنا على إعادة التفكير في مفاهيم العقل، الإدراك، والمعنى.

خاتمة: هل نحن على أعتاب "فلسفة الذكاء الاصطناعي"؟

يبقى السؤال مفتوحاً أمام الفلاسفة والعلماء: هل نحن على وشك بزوغ فلسفة جديدة، لا تدرس الذكاء الاصطناعي من الخارج فقط، بل تنبثق من داخله، لتؤسس لنمط جديد من التفكير؟ وهل يمكن أن تظهر إبيستيمولوجيا مستقلة داخل أنظمة الذكاء الاصطناعي، تتجاوز التصورات البشرية وتنتج مفاهيم خاصة بها، أوحى وعياً غير بشري؟ إذا حدث ذلك، فسيكون على الفلسفة أن تُعيد النظر في ذاتها لا كمحتوى، بل كأفق، وتتهيأ لعصر لا تكون فيه وحدها من يسائل العالم.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

الكتب:

1. بول ريكور، "نظرية التأويل: الخطاب وفائض المعنى"، فورت وورث: منشورات جامعة تكساس المسيحية، 1976.
2. ابن منظور، لسان العرب، مادة "علم"، ج12، دار صادر، بيروت، 1990.
3. أحمد، سامي. "الثورة الصناعية والتطور التكنولوجي". *دراسات في الفلسفة والتقنية*، 2008.
4. أحمد، عادل. *التكنولوجيا والعمل: مستقبل الوظائف في عصر الأتمتة*. بيروت: دار المستقبل، 2019.
5. إدموند هوسرل، *أفكار تتعلق بالظاهراتية النقية*، ترجمة عبد الوهاب المسيري (القاهرة: دار المعارف، 1974).
6. أرسطو، ما بعد الطبيعة، ترجمة إسحاق عبّود، دار الحقيقة، بيروت، 1983.
7. إريك، جون. *التقنية والإنسان: تحديات العصر الحديث*. ترجمة: سامي عبد الفتاح، القاهرة: مكتبة الشروق، 2019.
8. أفلاطون، الجمهورية، ترجمة فؤاد زكريا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1986.
9. ألفين غولدمان، "المعرفة في عالم اجتماعي"، أوكسفورد: كلارندون برس، 1999.
10. إمام عبد الفتاح إمام، الطبيعة البشرية: دراسة في فلسفة الأخلاق مكتبة مدبولي، القاهرة، 1996.
11. آندي كلارك، *عقل ضخيم*، ترجمة أحمد عثمان (القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، 2013).
12. إيمانويل كانط، نقد العقل المحض، ترجمة موسى وهبة، دار الفارابي، بيروت، 2005.
13. بوستروم، نيك. *فكر الآلة ومستقبل الوعي*، ترجمة: محمد حسان، الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، 2020.
14. جونسون، جيمس. *التقنية والعلم: أفق تطور الفهم*. نيويورك: دار نشر الفكر، 2012.
15. جيل دولوز، *الاختلاف والتكرار*، ترجمة نجيب طوبيا (بيروت: المركز الثقافي العربي، 1996).
16. جينا بوريل، «كيف تفكر الآلة: فهم غموض خوارزميات التعلم الآلي»، البيانات الضخمة والمجتمع، 2016.
17. حربي عباس عتيطو، موزة محمد عبيدان، مدخل إلى الفلسفة ومشكلاتها، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 2003.
18. حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1991.
19. خليل، محمد. *التكنولوجيا والعلاقات الاجتماعية: من التواصل إلى العزلة*. بيروت: دار المدى، 2018، ص. 140.
20. دانييل دينيت، *شرح الوعي*، ترجمة هبة النجار (القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2008).

21. داوود، سامية. *الأمن الرقمي وحماية البيانات: التحديات المعاصرة*. بيروت: دار النشر العالمية، 2017.
22. دوغان، ماركوس. *المعرفة الآلية: نحو إستيمولوجيا جديدة*، لندن: روتليدج، 2020.
23. رينيه ديكرت، تأملات في الفلسفة الأولى، ترجمة علي حرب (بيروت: دار الطليعة، 1980).
24. رينيه ديكرت، مقال في المنهج، ترجمة جميل صليبا، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1986.
25. زكريا إبراهيم، مشكلة الفلسفة مكتبة مصر، بيروت، 2001.
26. زكي نجيب محمود، تجديد الفكر العربي، دار الشروق، القاهرة، 1981.
27. زوبوف، شوشانا. *عصر رأسمالية المراقبة*، ترجمة: أحمد خيرى العمري، بيروت: دار التنوير، 2019.
28. سادان، إريك. *ذكاء اصطناعي: آخر اختراع للإنسان*، ترجمة: سعيد بنكراد، بيروت: المركز الثقافي العربي، 2021.
29. سترابو، الجغرافيا، ترجمة محمد سليم حسن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1980، ج 1.
30. سلوتردايك، بيتر. *أنت لست آلة: تأملات فلسفية في التقنية والوجود*، ترجمة: هاشم صالح، بيروت: دار الساقي، 2021.
31. سميث، كارين. *الصحة النفسية وعصر التكنولوجيا: دراسة تحليلية*. ترجمة: هالة فوزي، القاهرة: دار العلم، 2021.
32. عبد الرحمن بدوي، الزمان الوجودي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1979.
33. عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، ج 1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1984.
34. عبد الله أحمد، مبادئ التقنية الصناعية، دار المعرفة، الرياض، 2012.
35. عمر الطاهر، تطور الفكر التكنولوجي، دار الثقافة، دمشق، 2008.
36. عيسى، يوسف. *تشريعات حماية البيانات: الطريق إلى الأمن الرقمي*. القاهرة: دار المعارف، 2022.
37. غاستون باشلار، *تكوين العقل العلمي*، ترجمة خليل أحمد خليل، بيروت: دار الطليعة، 1984.
38. الفارابي، الجمع بين رأيي الحكيمين أفلاطون وأرسطو، تحقيق وشرح: محمد يوسف موسى، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1944.
39. فاطمة يوسف، التكنولوجيا والتنمية الاقتصادية، دار الفجر، الجزائر، 2015.
40. فالور، شانون. *فلسفة التكنولوجيا في العصر الرقمي*، ترجمة: حسن الربيعي، عمان: دار اليازوري، 2021.
41. فخر الدين الرازي، محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين، تحقيق حسين عطوان دار الكتب العلمية، بيروت، 1992.
42. فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، تح: عبد الكريم النمري، ج 1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

43. كاثير أونيل، أسلحة/التدمير الرياضي: كيف تزيد البيانات الضخمة من التفاوت وتهدد الديمقراطية، نيويورك: كراون للنشر،
44. كارل بوبر، منطق الكشف العلمي، ترجمة كمال التابعي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1995.
45. كارل ياسبرز، مدخل إلى الفلسفة، ترجمة فؤاد كامل، دار المعارف، القاهرة، 1970.
46. كانط، إيمانويل. أسس ميتافيزيقا الأخلاق، ترجمة: محمود يعقوبي، بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 1998.
47. كولدينغ، تيموثي. فلسفة الذكاء الاصطناعي: أسئلة ما بعد الإنسان، ترجمة: نبيل غنايم، بيروت: منشورات ضفاف، 2022.
48. لوتشيانو فلوريدي، "فلسفة المعلومات"، أوكسفورد: منشورات جامعة أوكسفورد، 2011.
49. ليلي المكي، تكنولوجيا ومجتمع، مركز دراسات العلوم الاجتماعية، بيروت، 2010.
50. محمد عابد الجابري، تكوين العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1986.
51. محمد عبد الرحمن، مدخل إلى فلسفة التكنولوجيا، دار الفكر العربي، القاهرة، 2005.
52. مصطفى النشار، مشكلة مفهوم الفلسفة، دار قباء، القاهرة، 1999.
53. ميل، جون ستيوارت. النفعية، ترجمة: حسن يوسف، القاهرة: المركز القومي للترجمة، 1863.
54. نطونيودامازيو، الشعور بما يحدث: الجسد والعاطفة وصنع الوعي، ترجمة فؤاد شاهين (بيروت: دار الكتاب العربي، 2008).
55. نيك بوستروم، الذكاء الخارق: المسارات، المخاطر، والاستراتيجيات، (أوكسفورد: مطبعة جامعة أوكسفورد، 2014).
56. هايدغر، مارتين. سؤال التقنية. ترجمة: خالد غزال، بيروت: المركز الثقافي العربي، 1977.
57. هيرستهاوس، روزاليند. في أخلاقيات الفضيلة، أكسفورد: مطبعة جامعة أكسفورد، 1999.
58. وجيه بنروز، عقل الإمبراطور الجديد: حول الحواسيب والعقول وقوانين الفيزياء، ترجمة فتحي عبد السميع (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2004).
59. يورغن هابرماس، العقلانية التوافقية ونقد المجتمع، ترجمة سعيد الغانمي، بيروت: المركز الثقافي العربي، 2002.
60. يورغن هابرماس، بين الوقائع والمعايير: إسهامات في نظرية الخطاب حول القانون والديمقراطية، ترجمة ويليام ريغ، (كامبريدج، ماساتشوستس: مطبعة معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا، 1996).
61. يورغن هابرماس، نظرية الفعل التواصلي، المجلد الثاني: العالم المعيش والنظام: نقد العقلانية الوظيفية، ترجمة العنوان، بوسطن: دار بيكون، 1987.
62. يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية دار القلم، بيروت، 2008.

63. يونس، هانس. مبدأ المسؤولية: محاولة لأخلاق من أجل الحضارة التكنولوجية، ترجمة: فؤاد شاهين، بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 1984.
64. يونس، خالد. *التكنولوجيا والمجتمع: تحليل الفوائد والأضرار*. عمان: دار الفكر، 2020، ص. 56. المراجع الأجنبية:
65. Alvin Goldman, *Knowledge in a Social World* (Oxford: Clarendon Press, 1999).
66. Boddington, Paula. *Towards a Code of Ethics for Artificial Intelligence*, Springer, 2017.
67. Bonnefon, Jean-François, et al. "The Moral Machine Experiment." *Nature*, vol. 563, no. 7729, 2018.
68. Crevier, Daniel. *AI: The Tumultuous History of the Search for Artificial Intelligence*, Basic Books, 1993.
69. Edgar Morin, *La Méthode 6. Éthique*, Paris: Seuil, 2004.
70. Gaston Bachelard, *La formation de l'esprit scientifique*, Paris: Vrin, 1938.
71. Habermas, Jürgen. *Technology and Science as Ideology*, in: *Toward a Rational Society*, Beacon Press, 1970.
72. Habermas, Jürgen. *The Future of Human Nature*, Polity, 2003.
73. Habermas, Jürgen. *The Theory of Communicative Action*, Beacon Press, 1984.
- 74.¹ Habermas, Jürgen. *The Theory of Communicative Action*. Vol. 1, Reason and the Rationalization of Society. Boston: Beacon Press, 1984.
75. Hawking, Stephen. Interview with *The Guardian*, 2011..
76. Ian Hacking, *Representing and Intervening: Introductory Topics in the Philosophy of Natural Science* (Cambridge: Cambridge University Press, 1983).
77. John Searle, "Minds, Brains, and Programs", *Behavioral and Brain Sciences*, Vol. 3, No. 3 (1980).
78. Karl Popper, *Conjectures and Refutations: The Growth of Scientific Knowledge* (London: Routledge, 1963)
79. Luc Van den Dries and Erik Schroeder, Epistemology in the Age of Artificial Intelligence, *Journal of Digital Philosophy* 12, no. 3 (2023).
80. Luciano Floridi, *The Philosophy of Information* (Oxford: Oxford University Press, 2011).
81. Ludwig Wittgenstein, *Philosophical Investigations*, Oxford: Blackwell, 1953.
82. Martin Heidegger, *The Question Concerning Technology*, trans. William Lovitt (New York: Harper & Row, 1977).
83. Mittelstadt, Brent, et al. "The Ethics of Algorithms: Mapping the Debate." 2016 Big Data & Society..
84. Paul Feyerabend, *Against Method*, London: Verso, 1975.
85. Paul Feyerabend, *Science in a Free Society*, London: NLB, 1978.
86. Paul Ricoeur, *Du texte à l'action: Essais d'herméneutique II*, Paris: Seuil, 1986.
87. Paul Ricoeur, *Interpretation Theory: Discourse and the Surplus of Meaning* (Fort Worth: Texas Christian University Press, 1976).

- 88.Sandra Harding, *The Science Question in Feminism* (Ithaca, NY: Cornell University Press, 1986).
- 89.Spanos, Elias, & Van Mil, Lukas. "Responsibility Gaps in Artificial Intelligence Decision-Making: A Philosophical Perspective." *AI & Society*, 2020.
- 90.Thomas Kuhn, *The Structure of Scientific Revolutions* (Chicago: University of Chicago Press, 1962)
- 91.Turing, Alan. "Computing Machinery and Intelligence," *Mind*, 1950, vol. 59, no. 236.
- 92.Zuboff, Shoshana. *The Age of Surveillance Capitalism*, PublicAffairs, 2019.

المجلات:

93. أحمد عبد الحليم، "الرقابة الخفية: قراءة فلسفية في المجتمعات الرقمية"، *مجلة الفكر المعاصر*، العدد 22، 2021.
94. أنا جوبين، ومارشيلواينكا، وإيفيفينا، "المشهد العالمي لإرشادات أخلاقيات الذكاء الاصطناعي"، *نيتشر للذكاء الاصطناعي الآلي*، المجلد 1 (2019).
95. جون سيرل، "العقول والأدمغة والبرامج"، *مجلة الفلسفة* 83، عدد 324 (1986).
96. جون سيرل، "العقول، الأدمغة، والبرامج"، *العلوم السلوكية والعصبية*، المجلد 3، العدد 3 (1980).
97. جون مكارثي، مارفنمينسكي، ناثانالروتشستر، وكلود شانون، "اقتراح لمشروع دارتموث الصيفي لأبحاث الذكاء الاصطناعي"، 31 أغسطس 1955، أعيد نشره في *مجلة AI Magazine*، المجلد 27، العدد 4 (2006).
98. جوي بولاموويني وتمنيت جبرو، "ظلال الجندر: تباينات الدقة التقاطعية في تصنيف الجندر التجاري"، في *أعمال أبحاث تعلم الآلة*، المجلد 81 (2018).
99. ديفيد سيلفر وآخرون، "إتقان لعبة الغو باستخدام الشبكات العصبية العميقة والبحث الشجري"، *مجلة نيتشر*، المجلد 529، العدد 7587 (2016).
100. غيل، داريو. "هل يمكن للذكاء الاصطناعي أن يُنتج مفاهيمه الخاصة؟"، في *مجلة الفكر الحديث*، عدد 38، 2023.
101. فاطمة زهراء بن يمينه، "الذات والرقمنة: أزمة الخصوصية في العصر المعلوماتي"، *مجلة علوم الإنسان والمجتمع*، العدد 17، 2023.
102. محمد بوعزة، "التحكم الرقمي وإشكالية السلطة: قراءة في النماذج التقنية الحديثة"، *مجلة الفلسفة والواقع*، العدد 8، 2022.
103. نادية أيت حسين، "الفلسفة والتقنية: نحو أخلاق رقمية جديدة"، *مجلة القيم الإنسانية*، العدد 10، 2024.
104. يان لوكون، ويوشوا بنجيو، وجيفري هينتون، "التعلم العميق"، *مجلة نيتشر*، المجلد 521، العدد 7553 (ماي 2015).

فهرس المحتويات

الصفحة	العنوان
	شكر وعرفان
	الإهداء
أ	مقدمة
	الفصل الأول: السياق التاريخي والكرونولوجي
7	تمهيد
8	المبحث الأول: ضبط المفاهيم "الفلسفة، العلم، التكنولوجيا، الذكاء الاصطناعي، والمصطلحات التابعة له"
8	1- مفهوم الفلسفة
13	2- العلم
15	3- التكنولوجيا
16	4- الذكاء الاصطناعي
19	المبحث الثاني: تاريخية الفلسفة بين الغاية والوظيفة
19	4- الفلسفة في العهد اليوناني: البدايات الأولى للتفكير الفلسفي
20	5- الفلسفة في العصور الوسطى: التوفيق بين الفلسفة والدين
21	6- الفلسفة الحديثة: العقلانية النقدية والقطيعة مع الميتافيزيقا التقليدية
27	المبحث الثالث: التطور التاريخي للذكاء الاصطناعي: من الأحلام الفلسفية إلى الواقع التكنولوجي
27	أولاً: الأسس الفلسفية والعلمية لنشأة الذكاء الاصطناعي
27	ثانياً: بداية تطور الذكاء الاصطناعي في منتصف القرن العشرين
28	ثالثاً: مرحلة "الشتاء" والإحباط في السبعينيات والثمانينيات
28	رابعاً: النهضة الحديثة في الذكاء الاصطناعي: التحولات من التسعينيات حتى اليوم
29	خامساً: الذكاء الاصطناعي اليوم وتحدياته المستقبلية
	الفصل الثاني: الفلسفة في عصر العلم والتكنولوجيا
32	تمهيد
34	المبحث الأول: العلاقة بين الفلسفة والعلم

34	7- حدود العلم وأسئلته الفلسفية
35	2- الإستيمولوجيا كجسر بين الفلسفة والعلم
36	3- من النزعة الوضعية إلى فلسفة ما بعد العلم
37	4- الفلسفة ومسألة أخلاقية العلم
39	5- الفلسفة والتكامل بين العلوم: (العلوم البينية)
40	6- القيمة الاستيمولوجية في نقد مناهج العلم ونتائجه :
43	المبحث الثاني: الفلسفة والتقنية – تطبيقات العلم والمشكلات التي أفرزتها التقنية
43	2- التقنية كامتداد للعلم: من الاكتشاف إلى التطبيق
44	2- التطبيقات العلمية والتقنية
44	3- التحديات الفلسفية
50	المبحث الثالث: التكنولوجيا والمشكلات الفلسفية
51	1- مشكلة تعريف الإنسان في ظل التكنولوجيا
52	2- مشكلة الحرية، الخصوصية والرقابة التكنولوجية
54	3- مشكلة المعرفة بين الإنسان والآلة:
57	خلاصة الفصل
	الفصل الثالث: الفلسفة والذكاء الاصطناعي
59	تمهيد
60	المبحث الأول : الذكاء الاصطناعي ومشكلة المعرفة والمنطق
61	1- نشأة الذكاء الاصطناعي وتطوره التاريخي
63	2- الذكاء الاصطناعي ومحاكاة العقل البشري
64	3- الذكاء الاصطناعي اليوم وتحدياته المستقبلية
65	المبحث الثاني : الذكاء الاصطناعي والمشكلات الإستيمولوجية
65	أولاً: هل المعرفة التي تنتجها الآلة "معرفة" بالمعنى الفلسفي؟
66	ثانياً: مصادر المعرفة في الذكاء الاصطناعي – من الحدس الإنساني إلى البيانات الرقمية
66	ثالثاً: الذكاء الاصطناعي والمعرفة السياقية (السياق المعرفي)
67	رابعاً: الإشكالات الأخلاقية في الذكاء الاصطناعي: بين المسؤولية الأخلاقية، وحرية الفعل، ونشئ الإنسان

69	خامساً: الفلسفة في مفترق الطرق: أزمة المعنى، وتراجع المكانة، وتحولات العصر الرقمي
71	سادساً: التحديات الإستيمولوجية للذكاء الاصطناعي: بين أزمة الحقيقة وتحولات المعرفة
74	المبحث الثالث: "قيمة الفلسفة في عصر الذكاء الاصطناعي
74	1- التحديات الأخلاقية المرتبطة بالذكاء الاصطناعي
76	2- الفلسفة وحماية القيم الإنسانية في عصر الذكاء الاصطناعي
77	3- مكانة الفلسفة في عصر الذكاء الاصطناعي
79	4- ظهور فلسفة الذكاء الاصطناعي: محاولة لتأسيس إستيمولوجيا جديدة
81	5- تكامل العقلين: الفلسفة والذكاء الاصطناعي في مشروع إستيمولوجي جديد
84	خلاصة الفصل
86	خاتمة
90	قائمة المصادر والمراجع
	فهرس المحتويات
	الملاحق
	ملخص

ملحق رقم 01: تصريح شرفي خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث



جامعة ابن خلدون - تيارت
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم علم النفس والأرطوفونيا والفلسفة



تصريح شرفي

خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

(ملحق القرار الوزاري رقم 1082 المؤرخ في 2020/12/27 المتعلق بالوقاية ومحاربة السرقة العلمية)

أنا الممضي أدناه،

السيد(ة).....

الحامل لبطاقة التعريف الوطنية رقم..... والصادرة بتاريخ:.....

المسجل(ة) بكلية:..... قسم:.....

و المكلف بإنجاز أعمال بحث مذكرة التخرج ماستر عنوانها:

.....
.....

أصريح بشرفي أنني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية النزاهة الأكاديمية المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه.

التاريخ:.....

إمضاء المعني



ملخص :

تستكشف هذه الأطروحة مستقبل الفلسفة في سياق الذكاء الاصطناعي من خلال عدسة إبستمولوجية وتاريخية-فلسفية صارمة. فهي تناول تطور الفكر الفلسفي في استجابته للتحوّلات العلمية والتكنولوجية، بدءاً من التطوّر التاريخي للفلسفة وتفاعلها الجدلي مع العلم. كما تبحث الدراسة في الكيفية التي أعادت بها التطورات التكنولوجية، ولاسيما الذكاء الاصطناعي، تعريف مفاهيم فلسفية جوهرية مثل الوعي، والعقلانية، وإنتاج المعرفة. ومن خلال تناول الحدود الإبستمولوجية والأنطولوجية لأنظمة الذكاء الاصطناعي، تسلّط الأطروحة الضوء على التمييز الأساسي بين التجربة الإدراكية البشرية والمعالجة الخوارزمية للبيانات.

وتخلص الدراسة إلى أنّه، على الرغم من التسارع المستمر في الابتكار التكنولوجي، فإن الفلسفة لا تزال تحتفظ بدور نقدي لا يمكن الاستغناء عنه في تأطير الأسئلة الكبرى التي يطرحها الذكاء الاصطناعي وخاصة تلك المتعلقة بحدود التفكير الآلي، وأصالة المعرفة الاصطناعية، وطبيعة التفكير الإبداعي. وهكذا، تواصل الفلسفة لعب دورها كإطار مرجعي أساسي للتعامل مع التحديات العميقة التي يفرضها العصر الرقمي.

الكلمات المفتاحية: الفلسفة، الذكاء الاصطناعي، الوعي، العقلانية، المعرفة، التكنولوجيا، الإبستمولوجيا، الأنطولوجيا، التفكير الآلي، الأخلاق

Abstract:

This thesis addresses the topic of “*The Future of Philosophy in the Age of Artificial Intelligence*” through an epistemological and historical-philosophical approach. It aims to analyze the transformations of philosophical thought in response to contemporary scientific and technological developments. The study explores the historical trajectory of philosophy and its dialectical relationship with science, then transitions to examining how technology has reshaped the conceptual structure of philosophical inquiry. Particular attention is given to the epistemological and ontological challenges posed by artificial intelligence, especially concerning concepts such as mind, consciousness, and the production of knowledge. The thesis concludes that, despite rapid technological changes, philosophy remains an essential cognitive and ethical tool for framing the fundamental questions raised by artificial intelligence—especially in relation to the limits of machine thinking, the legitimacy of synthetic knowledge, and the possibilities of creativity beyond human awareness. In this sense, philosophical reasoning continues to play a vital role in interrogating these contemporary issues.

Keywords: Philosophy, Artificial Intelligence, Consciousness, Mind, Knowledge, Technology, Epistemology, Ontology, Machine Thinking, Ethics.